

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
فاس - سايس



مركز دراسات الدكتوراه
"اللغات والتراث والتهيئة المحلية"
المتعدد التخصصات
تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث
محور الدراسات الإسلامية

مناهج المهتمين إلى الإسلام في علم مقارنة الأديان السموئل المغربي أنموذجاً

أطروحة لنيل الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

إشراف الدكتور: سيدي محمد زهير

إنجاز الطالبة: رجاء المفيد

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حمداً يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد، الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، بالهدى ودين الحق، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الأكرمين، وأصحابه الغر الميامين، الذين فقههم الله في دينه، فدعوا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدى الله بهم العباد، وفتح على أيديهم البلاد، وجعلهم أمة يهدون بالحق إلى الحق تحقيقاً لسابق وعده، فشكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية خلقه، وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي فضل دين الإسلام على سائر الأديان، وجعله ديناً قيماً لا نسخ يعتريه إلى آخر الزمان، فشهدت العقول السليمة والأفئدة المستقيمة أنه واحد أحد ليس له ثان. المنزه عن الضد والند والشريك والأعوان، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين، ناسخاً لشرائع الأنبياء المتقدمين بأوضح الحجج وأعظم البراهين، فطوبى لمن وفق لاتباع شريعته والافتداء بدينه وسنته.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدْلُهُمْ بِالْقِيَامِ هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رُبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹. وقال جل في علاه أيضاً:

﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكُتُبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾¹.

لقد حرص القرآن الكريم على دعوة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام، والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، مبينا أن دعوته التي جاء بها موافقة في جوهرها لما جاء به الأنبياء السابقون، وأن معجزته الكبرى - القرآن الكريم - جاءت مصدقة للكتب السماوية السابقة ومهيمنة عليها. إلا أنه لم يكره أحدا على قبول عقائده، بل أكد على أهمية الإقناع والاقناع في مجال قبول العقائد.

ومن خلال هاتين الآيتين يقدم لنا القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الأول في مجال مقارنة الأديان، وهو حافل بالحديث المفصل المستوعب عن الأديان، والعقائد، والملل، والنحل المختلفة والمتنوعة. وبعرض مقالاتهم بدقة، ثم ناقشها وبين وجوه الزلل، والخلل والبطلان، والزيغ فيها. وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام.

ولقد وجد علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي اتباعا لمنهج القرآن الكريم في مناقشة الأديان السابقة سواء أكانت صحيحة أم باطلة، فكانت المعلومات الغزيرة والمتنوعة عن الأديان التي وردت في القرآن الكريم، تدل دلالة واضحة على عظيم أهمية هذا العلم في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، فتنبه لذلك علماء المسلمين الأوائل فكتبوا في الأديان

1 - سورة العنكبوت الآية 46.

قاصدين بذلك الدعوة إلى الله من خلال ذلك، واهتموا بهذا العلم، فألفوا الكتب المتعددة لبيان الملل المختلفة عن الإسلام.

إن علم مقارنة الأديان يعرفنا كيف جرت مسيرة التحول والتطور الدينيين لدى الشعوب، وبدأت موحدة أم كانت وثنية؟ ثم يعرفنا كيف انتشرت الوثنية على تلك المساحات الشاسعة من تراب هذه الأرض، وكيف انتقل التفكير الديني من المجرد إلى المجسم؟ ثم كيف عاد إلى التجريد المتقدم المرتبط بالعقائد السماوية الكبرى؟ .

وينطلق هذا العلم من تعريف الدين نفسه، والمقدمات المهمة في حقله، ومن ثم التطرق إلى فلسفة الأديان والأهداف التي تلعبها الأديان في العالم والشعوب والسياسات والعلاقات. كما أن من أهم عناصر هذا الحقل إبراز المناهج الموضوعية المختلفة في دراسة الأديان. وبالطبع فإن دراسة أديان العالم عقيدة ومؤسسا وكتبا وتاريخا من لب التخصص. ومن أهم قضايا هذا الحقل أيضا ربط الأحداث والمواقف وظواهر الحياة بالأديان. ومن الجدير بالذكر أن عملية المقارنة ليست شرطا في هذا الحقل وإن حمل اسم "مقارنة الأديان" أحيانا، فهو ممكن لكن ليس لازما.

والخزانات العلمية الإسلامية والغربية مملوءة بإسهامات المفكرين المسلمين وغير المسلمين في هذا المجال، ومنهم المهتمون إلى الإسلام منذ الإشراقات الأولى للحضارة الإسلامية، فانبرى العديد من علماء المسلمين للدفاع عن الدين الإسلامي وتحصينه من التحريف الذي طال الديانات الأخرى، وسخروا لذلك علومهم وكتبهم وأساليب جدالية تفوقوا فيها على غيرهم من

الغربيين. إلا أن هناك دراسات وإسهامات لم تحظ بالاهتمام الكافي من الدارسين والمتخصصين خصوصا في العصر الحديث، ومنها أعمال العالم المسلم المهتدي السموأل بن يحيى المغربي، الذي لعب دورا مهما في التأصيل لهذا العلم، على أساس منهج علمي راق مستلهم من اختصاصه في مجال الرياضيات، ومن القرآن الكريم باعتباره أول من أعطى الإرهاص الحقيقي والإشارات الأولى في تناول الأديان الأخرى بمنهجية محكمة.

وبعد اطلاعي على بعض المؤلفات في هذا المجال، وجدت أن العلماء أكدوا أن البحث في هذا العلم تعزز بكتب لعلماء مسلمين كانوا في الأصل يهودا أو نصارى، وهم المهتدون إلى الإسلام من أهل الكتاب. ومنهم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ت 570هـ) وهو محور موضوع هذا البحث، الذي كان يهوديا ثم اهتدى إلى الإسلام، حيث ألف بعد اعتناقه الإسلام كتابه المشهور "بذل المجهود في الرد على اليهود"، وهو رد على اليهود أبرز فيه تحريفهم للتوراة، وأشار إلى أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا هي تشويه للوحي الأصلي الذي أنزل على موسى عليه السلام.

ولقد شكلت البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم مبدأ أساسيا في عقيدة المسلم، لأن القرآن العظيم قد ذكر في العديد من الآيات أن الرسل السابقين، والكتب المنزلة، قد بشرت بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بذل المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى جهدا في إبراز هذه البشارات، والتتبيه إلى مواضعها. وجاء كتاب "مسالك النظر في نبوة سيد البشر" للمؤلف سعيد بن حسن الإسكندراني (ت 698هـ). الذي كان من علماء

بني إسرائيل ثم أسلم، ليقدم لنا سبب إسلام هذا المهتدي، والبشارات بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى.

ونجد أيضا، المهتدي الحبر أبي محمد عبد الحق الإسلامي السبتي الذي كان يهوديا وأسلم خفية سنة 780هـ ثم أعلن إسلامه سنة 796هـ وفيها ألف كتابه "الحسام المحدود في الرد على أحبار اليهود"، وعبد السلام المهتدي الذي كتب "الرسالة الهادية في الرد على الموسوية" ردا على اليهود بعدما أسلم، والحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي الذي ألف "الرسالة السبعية الحاوية الضوابط الإرشادية"، وهي رسالة ألفها بعد إسلامه على محورين كل محور يحمل قضية، فالقضية الأولى تعالج بطلان الديانة اليهودية وتحريف التوراة، والقضية الثانية تتحدث عن وجوب اتباع رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ويوسف بن عبد الله الإسلامي المغربي الذي انتقل إلى الإسلام بعد 1020هـ، فكتب "النور الباهر في نصرة الدين الطاهر". والقس أنسلم تورميذا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي من أعلام القرن التاسع، فألف كتابه "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" عام 823هـ. وبذلك تنوعت واختلفت كتابات العلماء في هذا العلم، فتنوعت مناهجهم في دراسة الأديان، فهناك المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج الجدلي أو النقدي ومنهج الرد، وهناك المنهج التحليلي المقارن، ونجد أيضا المنهج التحليلي النقدي، ويسميه البعض منهج الإلزام في مقارنة الأديان، وهو منهج يعبر عن سمو فكري، وقدرة علمية، وسماحة خلقية تميز بها علماء الإسلام، إذ أنهم يضعون إلزاما على أنفسهم ألا يوردوا على أهل الكتاب حجة إلا من

خلال كتبهم المسلمة عندهم، مع أن أهل الإسلام يعتقدون أنها محرفة، ولا حجة فيها يقينا، ولكنها مجارة الخصم الضعيف، والأخذ بيده إلى الحق من الطريق القريب .

وسيتم التفصيل بإذن الله في هذه الدراسة في كل منهج من هذه المناهج على حدة وسيتم ذكر أهم روادها.

ومنهج السموأل في كتابه "إفحام اليهود" كما سيتبين من خلال هذه الدراسة هو الإلزام، إذ هو بارع في معرفة نصوص اليهود، وقد كان من أئمتهم قبل أن يسلم؛ فلذلك عمد إلى الاحتجاج عليهم بما عندهم من نصوص، وهو يوضح هذا في كتابه بقوله :

"على أن الأئمة (المسلمين) - ضوعف ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلخوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جعل إلى إفحامهم طريق مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزليهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم".

فهذا التراث الغني الذي خلفه المهتدون إلى الإسلام، استفاد منه العديد ممن جاءوا بعدهم من المسلمين وغير المسلمين، وتكمن أهمية هذا التراث في كون أصحابه كانوا على علم دقيق بالديانة التي كانوا يعتنقونها قبل الإسلام.

موضوع البحث:

إن موضوع هذا البحث هو دراسة لمنهج السموأل المغربي كمنهج رائد في الرد على المخالفين اليهود من خلال كتابه "بذل المجهود في الرد على اليهود"، وهو منهج من المناهج

المهتدين إلى الإسلام في علم مقارنة الأديان، ونموذج أبرز فيه مؤلفنا تحريفهم للتوراة، حيث أكد أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا ليست هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

سياق البحث:

إن الثقافة المتبادلة حاجة إنسانية، والعقائد تفرض نفسها كي تكون إحدى سمات تلك الثقافة الكونية التي يجب أن يتسم بها العقل البشري. ولعل الجهل بهذه السمة يشكل أحد المعوقات أمام جو من التفاهم الإنساني. ولعل ذلك جعل كثيرا من سوء التفاهم يسيطر على العقول والنفس حتى تحدث الحروب والنزاعات ومن ثم ارتهان البشر للإبادة والقتل والتشريد، وعليه فإن علم مقارنة الأديان يلقي الأضواء على عقائد الشعوب القديمة، ويدفعنا لإدراك نظرتها للألوهية والنبوات والعالم الآخر. ثم يعرفنا كيف دخلت الأساطير إلى عالم عقائدهم. وقد عرفت جذور هذا العلم لأول مرة في الفكر الإسلامي، بأسماء متنوعة وبمناهج عدة، تهدف إلى إبراز مكانة الإسلام بين الأديان، فهو مرتبط بالدفاع عن الإسلام والدعوة إلى الله. وقد تناول القرآن الكريم فيما تناول دين الإسلام وأديان غير الإسلام بالحديث بين دفتيه، فاتجه علماء المسلمين إلى دراسة الأديان، وعهد الوقوف عليه في كتب أصول الدين والعقائد، من باب الرد على المخالف، وعرف أيضا باسم "الملل والنحل" بيانا ووصفا. وقد اشتهر ضد التراث الإسلامي في هذا الباب بمؤلفات المهتدين إلى الإسلام الذين تركوا لنا تراثا غنيا يستحق منا كل الاهتمام والتقدير.

فالمهتدون من أهل الكتاب في بقاع العالم قطعوا أشواطاً من التأمّلات، وأمعنوا النظر في معتقداتهم الباطلة وأعملوا العقل فيها فاختبروا مناهج للنقد الذاتي، وسلكوا طرقاً للاستدلال على قناعاتهم إلى أن استجابوا لنداء الفطرة، وأقروا بالتوحيد الخالص، الذي أشعرهم بالعبودية الحقّة لله وليست لأحد سواه. ومن ثم فإن تجربة هؤلاء المهتدين تستحق أن تصبح أعمالاً ومشاريع دراسية تعود بالنفع على فكرنا الإسلامي المعاصر، وخاصة أن المسلمين في حاجة إلى وسائل جديدة في حوارهم الديني مع أهل الكتاب، ومع غيرهم من النحل والأمم التي يتفاعل معها المسلمون.

دوافع اختيار البحث:

كان الدافع وراء اختياري لهذا البحث هو الإسهام بدوري في إيفاء هذا العالم الكبير رحمه الله حقه في التعريف بإسهامه ومنهجه في إفحام اليهود. ومما زادني إحاحاً في تكريس عنوان أطروحتي بعد التقصي والاستشارة مع الأستاذ المشرف، فوقع اختياري له تحت عنوان (مناهج المهتدين إلى الإسلام في علم مقارنة الأديان، السموأل المغربي (ت 570هـ) أنموذجاً)، هو حاجة الأمة إلى إحياء مثل هذه الدراسات وفق ما تقتضيه ظروف العصر الحاضر، وانسجاماً مع الفكر المعاصر، فتبلورت هذه الأطروحة في ذهني مواصلة لما كتبتة في مرحلة الماستر من بحث بعنوان (التكوين التوراتي وأساطير الشرق الأدنى القديم) وكنت أدود به كشفاً وضحداً للتحريفات التي طالت التوراة، ثم تأكيداً لضرورة علم مقارنة الأديان في رفع اللبس عن الحقائق الدينية والعقدية التي دستها كتابات التضليل. فوجدت ضالتي في

منهج السموأل المغربي وانشغاله بالردود على أهل الكتاب، انطلاقاً من عقيدتهم وكتبهم، والذي يستحق المزيد من الدرس والاهتمام.

وأيضاً من الدوافع التي دفعتني للمضي في هذا البحث، رغم علمي المسبق بوعورة مسالكه أذكر:

- العمل بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بَأْتَى هِيَ أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹، وتطبيقاً للمنهج القرآني في المبادرة بفضح العقائد الباطلة والمفاهيم الخاطئة وهتك أستارها وبيان فسادها وتناقضها، وذلك من أنواع الجهاد الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم." رواه أحمد وأبو داود والنسائي.²

- أن في دراسة الأديان والفرق ومعرفة أسرارها فوائد عديدة، منها: الوقوف على أسباب انحراف اليهود والنصارى وغيرهم. كما أن فيها تدليل للصعوبات التي يجدها المسلم في تبليغ رسالته الحقّة على أسس علمية وبراهين منطقية تقنع الآخر وتفتح بصيرته لاتباع الحق.

- أن في إبراز تراث علمائنا المسلمين في هذا العلم تأكيداً لأصالته وهويته الإسلامية واستمداده من الكتاب والسنة، وتأكيداً لتأثير التراث الإسلامي في حركة النقد للتوراة والأنجيل المحرفة عند أحبار اليهود والنصارى ومفكريهم المتأخرين.

1 - سورة النحل الآية 125.

2 - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، لبنان، طبعة 2004م، كتاب الجهاد والسير، رقم 3277، ص 1471.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب وإسهامهم في إفحام اليهود والنصارى، لما في كتبهم من استكشاف لمزلق النصرانية واليهودية وخبائهما، ومن ردود على الديانات المحرفة. إضافة إلى:

- إبراز المكانة الحقيقية للعلماء المهتدين إلى الإسلام من أهل الكتاب داخل المجتمع الإسلامي.

- سرد قصص المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى، لأن في سردها تأكيداً على انتشار الإسلام بالعقل لا بالسيف والإكراه كما يزعم بعض المستشرقين.

- كما تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بشخصية السموأل المغربي، وبمؤلفه في حقل علم مقارنة الأديان وخاصة في رده على اليهود. والذي اعتبر أساساً من الأسس واللبنات التي بنيت عليها مناهج علماء المسلمين المتأخرين، الذين أعطوا عناية عظيمة لعلم مقارنة الأديان، وأخرجوا لنا ثروة فكرية رائعة تبرز جمال الإسلام ورجحانه على سواه.

إشكالية البحث:

لعل الباحث في علم مقارنة الأديان وخاصة في مناهج المهتدين إلى الإسلام، يجد نفسه أمام إشكالية تقارب هذه المناهج، وفي هذا البحث سنقتصر على دراسة أنموذج من هذه المناهج. فما هو منهج السموأل في الرد على اليهود؟ وما هي الأسس التي اعتمدها في منهجه للرد

على اليهود؟ وما الذي ميزه عن معاصريه في هذا المجال؟ وهل تأثر منهجه بمنهج من

سبقة في وضع أسس هذا العلم؟ وكيف أثر بمنهج في مناهج العلماء المتأخرين؟

وقبل هذا وذاك سأحاول الإجابة عن بعض التساؤلات المرتبطة بموضوع الدراسة: من هو

السموأل المغربي؟ وما هي الدوافع الذاتية والموضوعية وراء تأليفه كتاب إفحام اليهود؟ وما

هي مناهج المهتمين إلى الإسلام في علم مقارنة الأديان؟

هذه الإشكالات والتساؤلات تحجب بداخلها حقائق جمة كشفت الأبحاث المنجزة في مجال

الأديان عن بعضها، وسأحاول في بحثي هذا الكشف على المزيد منها.

المناهج المعتمدة خلال البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أعتمد على أكثر من منهج في هذه الدراسة، فجمعت بين

المنهج التاريخي في سرد الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي زامنت عصر

السموأل المغربي، والمنهج الوصفي لما وقفت على تحديد بعض الظواهر المعينة، ثم المنهج

المقارن عند الحديث عما يستوجب ذلك، فالمنهج الاستقرائي في استقراء بعض النصوص

والأقوال الواردة في البحث، أما المنهج النقدي فقد اعتمد عليه سموأل بشكل كبير في نقد

نصوص الكتاب المقدس وخاصة التوراة منه.

الصعوبات:

ولأن لكل عمل صعوبات وعراقيل يستوجب نجاحه تخطيها، فإن بحثي هذا لم يسلم من

بعضها، وخصوصا وحسب ما استطعت الاطلاع عليه:

- قلة المراجع التي تناولت بالدرس منهج هذا العالم وإسهامه في مقارنة الأديان بشكل خاص.

- قلة الكتابات المتخصصة في دراسة مناهج المهتدين إلى الإسلام بشكل عام.
- صعوبة التنقل بين المكتبات من مدينة إلى أخرى داخل المغرب للحصول على المتوفر من هذه المراجع.

- صعوبة التوفيق بين المسؤوليات التربوية، والعائلية، والدراسية.

الدراسات السابقة للموضوع:

اقتفاء لآثار علمائنا، ومن سبقنا لخوض غمار البحث العلمي في هذا البحر الواسع لدراسة الأديان، في الاعتراف بفضل من سبقهم، فإنه لا بد من الإشارة إلى بعض الدراسات السابقة، التي تطرقت لموضوع البحث أو لجزء منه، على اعتبار أن استقصاء كل الدراسات مما يصعب على الباحث حصره، لدى سأكتفي بما تيسر لي الاطلاع عليه.

ومن خلال ما اطلعت عليه من كتب في هذا الصدد لاحظت أن الدراسات التي تطرقت لهذا العالم الجليل إنما حصرت في جانب التحقيق بشكل خاص، حيث عثرت على ثلاثة تحقيقات لكتابه " إفحام اليهود " وهي كالتالي:

- إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، السمؤال بن يحيى المغربي(570هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

• بذل المجهود في إفحام اليهود، للحكيم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (570هـ)، من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه، قدم له وأخرج نصوصه وعلق عليه عبد الوهاب طويلة.

• غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ)، تحقيق إمام حنفي سيد عبد الله.

أما فيما يخص البحوث والرسائل الجامعية التي تناولت بالبحث شخصية السموأل ومنهجه، فلم أجد أن هذا الموضوع حظي بالاهتمام الكبير من لدن الباحثين كموضوع مستقل، وأذكر هنا على سبيل المثال:

• بحث ماجستير بعنوان: "عرض منهج كتاب السموأل"، مقدم بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، للطالب شريف مسعد فياض عبد الفتاح، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، 2010/2009. وكان مما اعتمدت عليه في هذه الدراسة.

وهناك دراسات اهتمت بمناهج المهتمين بشكل عام ومن بينها نجد:

كتاب " المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتمين إلى الإسلام من أهل الكتاب"، للمؤلف الدكتور مصطفى بوجمة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومدخل مفاهيمي وبابين يتضمنان فصولاً

ومباحث ومطالب بالإضافة إلى خاتمة.

وهكذا تطرقت في المقدمة إلى بيان أهمية الموضوع، ودواعي اختياره، وتحديد إشكاليته،

والأهداف المنتظرة منه، وبعض الصعوبات التي اعترضته، مع ذكر لبعض الدراسات العلمية

السابقة له، ثم بسط لخطته.

خصت المدخل التمهيدي للمفاهيم الأساسية التي يدور في فلكها موضوع البحث، وذلك

بالحديث في المبحث الأول، عن مفهوم علم مقارنة الأديان ووظيفته في الرد على المخالفين

من أهل الكتاب، حيث عرفت بمفهوم الدين ثم مفهوم علم مقارنة الأديان، وبعدها قدمت

أهمية هذا العلم في الرد على المخالفين من أهل الكتاب. أما المبحث الثاني فتناولت فيه

مفهوم المخالفين من أهل الكتاب، حيث حددت مفهوم المخالفة، ثم مفهومي اليهودية

والنصرانية.

وتناولت في الباب الأول الحديث عن شخصية المهدي السموأل بن يحيى بن عباس

المغربي وعن كتابه "إفحام اليهود"، وقسمته إلى فصلين، تطرقت في الأول منهما لعصره

الذي عاش فيه، ثم ذكرت قصة إسلامه، وذلك في ثلاثة مباحث. أما الفصل الثاني

فخصصته للتعريف بكتابه "إفحام اليهود" وقسمته إلى ثلاثة مباحث أيضاً.

أما الباب الثاني فخصصته لمنهج السموأل في الرد على اليهود من خلال كتابه إفحام اليهود، وقسمته إلى ثلاثة فصول، تحدثت في الأول منها عن منهج القرآن الكريم ومناهج بعض علماء المسلمين في الرد على أهل، وذلك من خلال ثلاثة مباحث. وقسمت الفصل الثاني: منهج السموأل بن يحيى المغربي في كتابه "إفحام اليهود"، إلى أربعة مباحث تطرقت فيها إلى تحديد مفهوم الإلزام، والعلوم المرتبطة به، وغاياته، ثم نماذج من الإلزام في القرآن الكريم، ثم عرفت بمنهج حساب الجمل. أما الفصل الثالث: موضوعات الكتاب عرض ودراسة، فقسمته إلى أربعة مباحث، تطرقت فيها إلى الحديث عن تعريف النسخ والحكمة منه، ثم المواضيع التي تناولها السموأل في كتابه وألزم بها اليهود مثل: النسخ، والنبوة، والبشارة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أبرز النتائج المتوصل إليها، متبوعة بلائحة المصادر والمراجع، وفهارس للآيات، والأحاديث النبوية، والنصوص المقدسة، والأعلام.

مدخل مفاهيمي

أولاً: تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان ووظيفته في الرد على

المخالفين من أهل الكتاب

1. مفهوم الدين

2. مفهوم علم مقارنة الأديان

3. وظيفة علم مقارنة الأديان في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

ثانياً: المخالفون من أهل الكتاب في نظر الإسلام

1. تحديد مفهوم المخالفة

2. مفهوم أهل الكتاب

3. مفهوم اليهودية

4. مفهوم النصرانية

أولاً: تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان ووظيفته في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

تمهيد:

إن المتأمل في مسار الحياة الفكرية والروحية للإنسان منذ آلاف السنين، يجد أن تاريخ الإنسان الفكري والروحي هو في النهاية تاريخ ديانته، وسجل إبداعاته الأسطورية والدينية. لذلك لم يستطع الإنسان الاستغناء عن التدين في أي حال من الأحوال، فصار الدين أحد مقومات الحياة الإنسانية.

فالدين ضرورة حياتية يطبع الإنسان، بل يسير حركة حياته ونمائه، والتدين موقف أساسي من مواقف القيم الإنسانية، بل من أعظمها، والتي لا مندوحة له إلا به، والفكرة الدينية منتشرة بين جميع الشعوب والأقوام البدائية أو المتحضرة، ولهذا نكر مؤرخو الحضارات وتاريخ الأديان أن الدين من العوامل التي سيطرت على البشر، وأن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا، ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن يتبادر إلى ذهننا فكرة الدين¹.

وجاء علم مقارنة الأديان ليلقي الأضواء على عقائد الشعوب القديمة، ويدفعنا لإدراك كيفية نظرتها للألوهية والنبوات والعالم الآخر. ومن خلاله ندرك أيضاً، عملية التأثير والتأثير في العقائد الوضعية والوثنية الكبرى، كما عند الهندوسية والبوذية. وأحادية

1 - علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، جيب وعادل العوا، منشورات عويدات، بيروت طبعة 1977م، ص 12.

المصدر في بعض الأديان. بالإضافة إلى ذلك كله يمكن لنا أن نرى كيف استقادت العقيدة التوراتية من العقائد الوثنية المنتشرة في ذلك المحيط الجغرافي العربي القديم، كما أشارت إلى ذلك التوراة نفسها.

فهذا العلم ينطلق من تعريف الدين نفسه، والمقدمات المهمة في حقله، ومن ثم التطرق إلى فلسفة الأديان وتأثيرها في العالم والشعوب والسياسات والعلاقات. كما أن من أهم عناصر هذا الحقل إبراز المناهج الموضوعية المختلفة في دراسة الأديان. وبالطبع فإن دراسة أديان العالم عقيدة ومؤسسا وكتبا وتاريخا من لب تخصصه.

وفي هذا الفصل التمهيدي، سأحاول إلقاء الضوء على بعض المفاهيم المتعلقة بالتعريف بعلم مقارنة الأديان. من مثل: التعريف بالدين في اللغة والاصطلاح، والتعريف بالعلم والمقارنة لغة واصطلاحا أيضا، ومن تم تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان.

1. مفهوم الدين:

أ. مفهوم الدين في المعاجم اللغوية العربية

لقد عرفت كلمة "الدين" عدة دلالات اختلفت معانيها من معجم لآخر، فليس هناك تعريف محدد لهذه الكلمة، بل سنجد في تعريفاتها تباعدا وتناقضا كبيرا.

إن الناظر إلى مادة دين في المعاجم اللغوية العربية، سيجد نفسه أمام عدد من المعاني التي تشترك في هذه المادة، ليس ذلك فحسب، بل سيجد أيضا أن بين هذه المعاني من

التباعد والتضاد كما بين السماء والأرض. فيخيل إليه أن هذه الكلمة الواحدة يصح أن تستعمل فيما شئت من المعاني المتباعدة، بل المتناقضة¹.

وسأطرق هنا لبعض منها وهي كالآتي:

• " الدين: الجزاء والمكافأة (...) والجمع الأديان، يقال دان بكذا ديانة وتدين به فهو دين ومتمدين (...) والدين العادة والشأن، تقول العرب: مازال ذلك ديني وديني، أي عادتي (...) وقوله دان نفسه أي أدلها واستعبدها وقيل حاسبها.² وفي هذا ما جاء في قول الرسول (ص) في حديث: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله "³. قال أبو عبيدة: "قوله دان نفسه أي أدلها واستعبدها"⁴.

• " والدين بالكسر الجزاء (...) والإسلام (...) والعبادة (...)، والطاعة والذل والداء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد (...). والملة والورع والمعصية والإكراه (...) والحال والقضاء."⁵

1 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 2003م، ص57.

2 - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، ج 13، مادة دين، ص 168، ص169، ص 170.

3 - رواه الترميذي عن شداد بن أوس، كتاب صفة القيامة والرقائع والورع، باب منه، حديث رقم 2383.

4 - لسان العرب، ج13، ص 170.

5 - القاموس المحيط، الفيروز أبادي الشيرازي، المطبعة الحسنية المصرية، الطبعة الثانية، ج 4، باب النون، ص225.

• "والدين أيضا بمعنى الملك، ومنه قولهم: يدين الرجل أمره أي يملك¹(...) ويأتي بمعنى الحال، كما في قول ابن شميل²: " سألت أعرابيا عن شيء فقال: لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك"³.

وبعد الاطلاع على هذه التعريفات، نجد أنفسنا أمام معان متباعدة لكلمة "الدين"، وربما متناقضة أحيانا، وهذا ما جعل الدكتور عبد الله دراز⁴ يجتهد في إمعان النظر في اشتقاق الكلمة ووجوه تصريفها، والبحث عن المعنى الجامع لها، فخلص إلى أن كلمة "الدين" تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب، فكلمة دين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: دانه يدينه، وتارة من فعل متعد باللام: دان له، وتارة من فعل متعد بالباء: دان به (...). فإذا قلنا دانه ديننا، عنينا بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف (...). وإذا قلنا دان له، أردنا أنه أطاعه وخضع له، وواضح أن هذا المعنى ملازم للأول ومطووع له، دانه فدان له

1 - تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محمد مرتضي الحسيني الواسطي، المطبعة الخيرية مصر، ج9، مادة دين، ص208.

2 - ابن شميل، أبو الحسن النضرين شميل التميمي المازني النحوي البصري، كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد. روى عنه يحيى بن معين وعلي ابن المدني وكل من أدركه من أئمة عصره. وفيات الأعيان، ج5، ص397 - 398.

3 - تاج العروس، ج 9، ص 208.

4 - عبد الله دراز أديب وباحث وفقه مالكي، ولد سنة 1894م بمصر، أتم حفظ القرآن وهو دون العشرين، وحصل على العالمية من الأزهر. أتقن اللغة الفرنسية ودافع من خلالها عن الإسلام، حصل على الدكتوراه من السريون وزاول عدة مهام

وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة 1377هـ / 1958م. انظر: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، عبد الله دراز، دار

القلم، بدون طبعة، وبدون تاريخ، ص 8.

(...) وإذا قلنا دان بالشيء، كان معناه أنه اتخذ ديناً ومذهباً أي اعتقده أو تخلق به. وهذا الاستعمال الثالث تابع للاستعمالين قبله لأن العادة أو العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم باتباعها. ومنه يخلص بعد النظر في هذه المعاني إلى القول أن: " كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها"¹.

وهذه النتيجة التي خلص إليها عبد الله دراز هي التي ردها جل من تطرق لتعريف الدين بعده.

وفي محاولة منه سعى عبد الله الشرقاوي² لالتماس شيء من الوحدة في ثنايا هذه الكثرة، فقال: " ونلاحظ أن كل معنى من هذه المعاني يعبر عن جانب من جوانب الدين، وهذه المعاني في مجموعها تصور الدين في كليته، فالدين شعور وإقرار بالقوة المطلقة القاهرة، وما ينبغي لها من عبودية وتسليم يتمثل في الطاعة والخضوع والعبادة، رجاء الفوز

1 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، عبد الله دراز، ص 57 و61 و62.
2 - محمد عبد الله الشرقاوي من مواليد مصر سنة 1950م، درس في الأزهر ودار العلوم والجامعة الأمريكية، صدر له أكثر من عشرين كتاباً بين تأليف وتحقيق وترجمة، وتولى العديد من المناصب أهمها رئيس قسم مقارنة الأديان في الجامعة الإسلامية العالمية.

بالمكافأة والجزاء، ومن شأن ذلك أن يجعل المتدين على حال خاص به وسمت مميز له¹.

وبهاتين الخلاصتين أخرج عبد الله دراز ومن بعده محمد الشرقاوي هذا المفهوم من الشتات الذي كان عليه، وبيننا أوجه استعمال كلمة الدين.

ب. مفهوم الدين في المعاجم اللغوية الأجنبية: (في اللغتين: الفرنسية والإنجليزية)

في اللغة الأجنبية نجد لفظ "Religion" قد اختلف في أصله اللاتيني الذي اشتق منه بين الاسم "Religio" والفعل "Religare"، والأشهر أنه قد اشتق من الأول، ولهذا نجد أغلب المعاجم الغربية تشير إلى هذا الأصل عند تعريفها لكلمة (Religion) ومن ذلك:

- Religion : N.F (lat religio) Ensembles de croyances et de dogmes définissant le rapport de l'homme avec le sacré.²
- Religion : N.F (lat religio) attention scrupuleuse, vénération...⁽³⁾

وبالرجوع إلى معنى "religio" في اللاتينية نجد أن هناك تعريفين أساسيين لهذا اللفظ اشتهدا في العهد الروماني وهما:

1 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م، ص 9.
2 - Le petit Larousse , Grand format , 1996 , Paris cedex, L :R ,p877
3 - Le petit Robert , 60000 mots et leurs 300000 sens , édition Juin 2000 , Dictionnaires le robert, Paris , L : R , p 2151

- Religio (d'après Cicéron) : « Respect que ressent l'individu au plus profond de son être en face de tout être qui en est digne, du divin en particulier. »⁽¹⁾

وهو ما يعني: أن الدين هو الاحترام الذي يشعر به الفرد من أعماقه اتجاه كل كائن له عليه سلطة، وخصوصا الإله.

- Religio (d'après Lucrèce) : « Un système de menaces et de promesses qui cultive et développe le fond craintif de la nature humaine. »⁽²⁾

ويعني: أن الدين نظام من الترغيب والترهيب يزرع وينمي الخوف العميق في الطبيعة الإنسانية.

ومن خلال هذه التعاريف نجد أن الدين يتضمن الخوف والاحترام، وأنه أكثر شيء يربط الإنسان بالآلهة.

1 – Dictionnaire des religions ; Poupard Paul, Presse universitaire de France, 1993, L : R, p1685

2 – Dictionnaire des religions, p1685

- Religion : « Ensemble d'actes rituels liés à la conception d'un domaine sacré distinct du profane ; et destiné à mettre l'âme humaine en rapport avec dieu.¹

ومعنى ذلك: أن الدين مجموعة من الحركات الطقوسية المرتبطة بتصميم لمجال مقدس منزّه عن التدنيس، موجهة لوضع الروح الإنسانية في علاقة مع الله.

- « Religion is : 1) belief in the existence of a supernatural ruling power. The creator and controller of the universe, who has given to man a spiritual nature which continues to exist after the death of the body .

2) one of the various systems of faith and worship based on such belief »⁽²⁾

بمعنى أن الدين هو: (1) الاعتقاد بوجود قوة خارقة مهيمنة، وخالق ومراقب للعالم الذي أعطى للإنسان طبيعة روحانية تستطيع الاستمرار بعد الوفاة. (2) أحد الأنظمة المختلفة في الإيمان والعبادة المعتمدة على الاعتقاد.

1 - Le petit Robert ; p 2151.

2 - Oxford advanced learner's dictionary of current English A.S hornby ; Oxford University press, Great Britain, 3 rd édition 1974, p 712.

ما يمكن استنتاجه من هذه التعريفات للدين في المعاجم الأجنبية أنها تميزت بالكثرة، ولم تتميز بالوحدة.

ج. مفهوم الدين اصطلاحاً

اختلف الباحثون والعلماء في وضع تعريف محدد ودقيق للدين، وذلك راجع لاختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية والدينية، وراجع كذلك إلى عالمية الدين، فهو أمر مشترك بين مختلف الشعوب قديمها وحديثها، ومن ثم يصعب تحديد مفهوم عام وموحد للدين، وهذا ما أدى إلى غزارة التعاريف واختلافها بين العلماء المسلمين وعلماء الغرب.

❖ مفهوم الدين في اصطلاح علماء المسلمين

إن مفهوم الدين في اصطلاح علماء المسلمين عرف نوعاً من الوحدة في المضمون وهذا ما سيتضح من خلال هذه التعاريف:

عرفه الجرجاني (ت 816هـ) بقوله: "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم"⁽¹⁾

أما الكفوي (ت 1094هـ) فقال: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبياً كان أو قلبياً كالاقتقاد والعلم والصلاة"⁽²⁾

1 - التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1995م، ص105.

2 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1419هـ / 1998م، ص 443.

وعرفه التهانوي (ت 1158هـ) أنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى
الصلاح في الحال والفلاح في المآل"⁽¹⁾

وعرفه محمد عبده (ت 1324هـ / 1905م): "وضع إلهي يحسن الله تعالى به إلى
البشر على لسان واحد منهم، لا كسب له فيه، ولا صنع، ولا يصل إليه بتلق، ولا تعلم."⁽²⁾
وعند عبد الله دراز (ت 1377هـ): الدين هو: "الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية، لها
شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاداً من شأنه أن
يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة
أخرى: هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة."⁽³⁾

وعند فتح الله كولن: "عنوان معرفة الله وتوحيده والوصول عن طريقه إلى صفاء الروح،
وإلى تنظيم علاقاته مع الناس، باسمه تعالى وفي ضوء أوامره، بل حتى الوصول إلى
شعور عميق بالعلاقة مع جميع الوجود، والكائنات وحبها."⁽⁴⁾

-
- 1 - كشف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، دار صادر، بيروت، ج2، ص 503.
 - 2 - تفسير المنار، محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، دار المنار القاهرة، الطبعة الثانية 1350هـ، الجزء الثاني، ص69.
 - 3 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة 2003م، ص49.
 - 4 - الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، استانبول، الطبعة الأولى، 2002م، ص 122.

ويلاحظ أن هذه التعريفات متقاربة ومتحدة، إلا أنها اقتصرت على الدين المنزل، واستثنت الأديان الوضعية، وذلك لجعلهم كلمة "وضع إلهي" قيّداً في جميع التعاريف وكأنهم بذلك لا يسمون الأديان الطبيعية الوضعية، أي التي قام الإنسان بوضعها بنفسه عن طريق عوامل إنسانية كالبودية مثلاً، مع أن القرآن الكريم قد سماها بذلك، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾⁽¹⁾ فهي في نظرهم باطلة بغض النظر عن فحواها وغايتها.⁽²⁾

وقد حاول بعض العلماء إيجاد تعريف يشمل جميع الأديان مثل القول إن الدين: "نظام له قوانينه وتقاليده وتعاليمه الخاصة، ويشتمل هذا النظام مجموعة من القضايا والتصورات النظرية الاعتقادية، وهي التي تسمى بالعقيدة، إلى جانب مجموعة من الشعائر والطقوس التعبديّة والممارسات السلوكية، وهي التي تعرف بالشرعية، ويتعلق هذان الجانبان الاعتقادي أو النظري والتشريعي أو العملي، بطاعة الفرد والجماعة، أو خضوعهم لموجود أو موجودات ذات طبيعة سامية مقدسة"⁽³⁾. أو القول إن الدين: "مجموعة معتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظاماً متصلاً، وتتعلق في الغالب بعالم ما بعد الطبيعة وممارسة شعائر وطقوس مقدسة، والاعتقاد في قوة روحية عليا."⁴

-
- 1 - سورة آل عمران الآية 84.
 - 2 - بحوث في مقارنة الأديان، أحمد عبد الرحيم السايح، دار الثقافة، الدوحة، ص 26.
 - 3 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2002م، ص 19.
 - 4 - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بدوي أحمد زكي، مكتبة لبنان، ص 353.

❖ مفهوم الدين في اصطلاح علماء الغرب

وفي التعريف الاصطلاحي لكلمة الدين عند الغرب، نجد اختلافا وتنوعا كبيرا، نتيجة لاختلاف الأديان والمعتقدات والمذاهب والخلفيات الفكرية. ومن بين هذه التعاريف نذكر:

- « La religion est la connaissance de tous nos devoirs comme commandements divins »⁽¹⁾

أي أن: الدين هو المعرفة لكل واجباتنا كأوامر إلهية.

- « La religion est un système solidaire des croyances et des pratiques relatives à des choses sacrées »⁽²⁾

أي أن: الدين نظام متماسك من الاعتقادات والممارسات المتعلقة بالمقدسات.

- « système de croyances et de pratiques qui, dans le respect et la vénération, relie les hommes entre eux et avec une (ou des) instance (s) non sensible (s), et donne sens à l'existence subjective »⁽³⁾

1 - La religion dans les limites de la raison, Emmanuel Kant, traduction de André Tremesaygues, Ed, Félix Alcan, Paris ;1913, p 117

2 - Les formes élémentaires de la vie religieuse, Emile Durkheim, les presses universitaires de France, Paris, 5ème édition, 1968, liv1, p51.

3 - La religion, Frédéric Rogmon, profil notions philosophiques collection dirigée par Laurence hansen, 1ère édition, 1996, p96.

وهو: نظام من المعتقدات والممارسات، في إطار الاحترام والتبجيل، يربط الناس فيما بينهم بسلطة غير ملموسة، ويعطي معنى للوجود الذاتي.

- « La religion est la détermination de la vie humaine par le sentiment d'un lien unissant l'esprit humain à un esprit mystérieux, dont il se connaît la domination sur le monde et sur lui-même, et auquel il aime à se sentir uni »⁽¹⁾

وهذا يعني أن الدين توجيه حياة الإنسان وفق شعوره بصلة بين روحه، وروح خفية يعترف لها بالهيمنة على سائر العالم وعلى نفسه، والذي يحب أن يشعر باتحاده بها.

- « La religion est un acte d'adoration, et l'adoration est à la foi un acte intellectuel par lequel l'homme reconnaît une puissance, et un acte d'amour par lequel il s'adresse à sa bonté. »⁽²⁾

الدين هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج، فهي عمل عقلي يعترف من خلاله الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي أو محبة يتوجه بها إلى لطفها ورحمتها.

1 – Prolégomènes de l'histoire des religions, Albert Réville, Paris Librairie Fischbacher, 1986, p34.

2 – La science des religions, Burnouf Emile, Paris Librairie CH Delagrave, 1985, p156.

- Religion: « human beings' relation to that which they regard as holy, sacred, spiritual ;or divine. Religion is commonly regarded as consisting of a person's relation to God or to Gods or spirits. Worship is probably the most basic element of religion, but moral conduct, right beleif, and participation in religious institution are generally also constituent elements of the religious life as practiced by believers and worshipers and as commanded by religious sages and scriptures. »⁽¹⁾

الدين: علاقة البشر بما يعتبرونه مقدسا، روحيا، أو إلهيا. ويعتبر الدين عادة على أنه يتأسس على علاقة الشخص بالله أو الآلهة أو الأرواح. ومن المحتمل أن تكون العبادة هي العنصر الأكثر أهمية في الدين، ولكن السلوك الأخلاقي، والعقيدة الصحيحة، والمشاركة في المؤسسات الدينية تشكل أيضا عناصر مكونة للحياة الدينية، والتي يمارسها المؤمنون والمصلون وفقا للأحكام الدينية والكتب المقدسة.

ومن خلال كل هذه التعاريف، نلاحظ التنوع والاختلاف الكبير في تعريف الدين، إضافة إلى أن فكرة الألوهية حاضرة في بعضها وغائبة في البعض الآخر.

1 - www.britannica.com, encyclopedia-britannica online, religion article.

وهناك من أرجع التنوع والاختلاف في تعريف الدين عند علماء الغرب إلى نقطتين

أساسيتين هما:

- كثافة الموروث المتناقض فيما يتعلق بالدين، حيث هي تراكمات ترجع إلى الفكر الديني اليوناني القديم، وإلى الدين اليهودي-المسيحي المركب.
- عدم اكتمال دائرة الفروض العقلية التي وضعها هؤلاء العلماء لبحث ظاهرة التدين وتفسير نشأة الدين.¹

وبالتالي فهذه التعاريف لا يمكن أن تكون جامعة لكل الأديان. فالذي يتعرض لهذا المطلب سيجد نفسه أمام أشكال مختلفة وألوان متباينة من الأديان، لا يكاد يحصرها عد، أو يحدها حد، وسوف يجد المرء نفسه أمام ركام هائل من المذاهب والشيع، والملل والنحل، والطوائف والفرق، فيصعب أن يجمعها اسم واحد هو الدين.²

رغم هذا الاختلاف الواضح في تعريف الدين بين علماء المسلمين وغيرهم، فلا أحد ينكر أن " الدين ضرورة حياتية لا يمكن إنكار أهميته، بالنسبة للفرد والمجتمع، كيفما كان اعتقاده أو دينه أو مذهبه، بل جميع أسس سعادته في الدنيا وفي الآخرة في الدين." ³ أو كما قال مرسيا إلياد: " أن تصبح إنسانا يعني أن تكون متدينا." ⁴

1 - مدخل لدراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2010م، ص23.

2 - بحوث في مقارنة الأديان، عبد الرحيم السايح، ص21.

3 - الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ص 122.

4 - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، مرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، 1986، ج1، ص 9.

وخلاصة القول رغم وجود تقارب في تحديد مفهوم الدين عند علماء المسلمين باعتبار الدين المنزل، فقد اختلفت وتباينت آراء العلماء الغربيين في وضع قالب موحد لهذا المصطلح باعتبار مرجعياتهم وأديانهم المختلفة، إلا أن علماء الأديان أجمعوا على أهمية الدين في حياة الأفراد والمجتمعات بغض النظر عن صحتها أو بطلانها، أو كونها سماوية أو وضعية.

2. تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان

أ. مفهوم علم مقارنة الأديان لغة

جرت العادة في تعريف المصطلحات المركبة أن يعرف كل مكون من مكوناتها على حدة، وبما أنه تم تعريف الدين بشكل مفصل في المحور الأول، بقي أن نعرف بمصطلحي: علم، ومقارنة.

- تحديد مصطلحي "علم" و "مقارنة" لغة:

جاء في المعاجم اللغوية أن: " العلم: نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نفسه (...). وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته (...). وعلم بالشيء: شعر. يقال: ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت (...). وعلم الأمر وتعلمه أتقنه¹. ونجد أيضا: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره².

1 - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، باب الميم، ص 417 و418.

2 - مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، مجلد 3، ص 109 و110.

وبذلك يمكن أن نستخلص أن كلمة علم يمكن أن ترد بمعنى: معرفة، أو شعور، أو إتقان.

وورد بخصوص مصطلح مقارنة ما يلي: " قارن الشيء بالشيء مقارنة وقرانا: اقترن به

وصاحبه. واقترن الشيء بغيره وقارنته قرانا: صاحبتة"¹. ونجد أيضا: " القاف والراء

والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر ينتأ بقوة

وشدة: فالأول، قارنت بين الشئيين. والقران: الحبل يقرن به شئيان"².

ومن كل هذا نستشف أن كلمة مقارنة تأتي بمعنى المصاحبة والجمع بين شئيين.

ب. تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان اصطلاحا

• تحديد مصطلحي " علم " و " مقارنة " اصطلاحا

في اصطلاح علماء المسلمين نجد أن العلم هو: " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال

الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني. وقيل: العلم هو

إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه، وقيل: العلم

صفة راسخة تدرك به الكليات والجزئيات، وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشيء"³.

والعلم هو: " مجموعة من المعارف المنظمة المترابطة التي تدور حول موضوع أو

موضوعات محددة يمكن بحثها ودراستها في ضوء منهج معين"⁴.

1 - لسان العرب، ابن منظور، باب النون، ص 336.

2 - مقاييس اللغة، ابن فارس، مجلد 5، ص 76.

3 - التعريفات للجرجاني، باب العين، ص 82 و 83.

4 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 22.

وعند بعض علماء الغرب نجد أن مصطلح علم يعرف بـ:

- « Science : knowledge arranged in an orderly manner, esp knowledge obtained by observation and testing of facts, pursuit of such knowledge science in an exact descipline »¹.

أي أن العلم هو المعرفة المرتبة بطريقة منظمة، خصوصاً المعرفة المحصل عليها من خلال ملاحظة الحقائق واختبارها.

- « Science : ensemble de connaissances, de travaux d'une valeur universelle, ayant pour objet l'étude de faits et de relation vérifiable selon des méthodes déterminées comme l'observation, l'expérience, ou les hypothèses »².

ومعنى ذلك أن العلم هو مجموعة من المعارف، لأعمال ذات قيمة عالمية، غرضها دراسة الواقع والعلاقات القابلة للتحقق، حسب طرق محددة مثل الملاحظة، التجربة، أو الفرضيات.

وبتطبيق هذه التعاريف على الدراسات المقارنة للأديان نجد أنها: "عبارة عن مجموعة من المعارف التي تدور حول موضوع معين وهو "الأديان" ويلتزم الباحثون فيها بمنهج معين

1 – Oxford Advanced Learner's Dictionary Of Current English A.S. Hornby, p 780.

2 – Le Robert, dictionnaire de la langue Française, rédaction dirigée par Alain Rey , Paris, 1998, p1213.

هو "المنهج الوصفي". فلا غضاضة إذن في أن تعتبر هذه الدراسات علما بالمعنى العام لهذه الكلمة".¹

وبملاحظة كل هذه التعاريف نجد أن علم مقارنة الأديان علم كسائر العلوم الإنسانية.

أما المقارنة فهي طريقة لاستخلاص أوجه الشبه أو أوجه الاختلاف بين شيئين.

والمقارنة في مجال دراسة الأديان هي: "رصد الظواهر وتسجيل القضايا والأفكار التي تتعلق بعنصر من العناصر الموجودة في دينين أو أكثر".²

- « Compare : examine, judge to what extent persons or things, are similar or not similar »³.

قارن أي: تفحص، وحكم إلى أي مدى يكون أشخاص أو أشياء متشابهين أو مختلفين.

- « Comparaison : n.f, le fait d'envisager ensemble (deux ou plusieurs) objets de pensée pour en chercher les différences ou les ressemblances »⁴.

2 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 25.

2 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 22.

3 - Oxford Advanced Learner's Dictionary Of Current English A.S. Hornby, p 171.

4 - Le Robert, dictionnaire de la langue Française, rédaction dirigée par Alain Rey , Paris, p 251.

ومعناه أن المقارنة هي النظر والتفكير في مجموعة أشياء (شيئين أو أكثر) للبحث عن الاختلافات أو أوجه التشابه فيها.

ومما سبق نخلص إلى أن علم مقارنة الأديان هو العلم الذي يقارن بين الأديان لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها. وهو " العلم الذي يدرس خصائص ومميزات كل دين، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى"¹. وهو أيضا " يمسك القضايا الدينية ويشرحها ويبرز عناصرها، ويقارن بينها، بعد عرضها على اتجاهات الأديان المختلفة "².

وعلم "مقارنة الأديان" يعني أيضا في العصر الحديث، أن تتخذ الأديان - كتابية ووضعية- والعقائد الدينية، أو الملل والنحل موضوعا للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التي اصطلح عليها أهل هذا المجال، فإن الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم، وجعلها موضوعا مستقلا للدراسة والبحث، ووضع العلماء لذلك مناهج علمية سديدة، فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوها وأرخوا لها وانتقدوا بعضها، وكانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها

1 - الأديان دراسة تاريخية مقارنة، رشدي عليان وسعدون الساموك، دار الحرية، بغداد، طبعة 1976م، القسم الأول، ص18.

2 - مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م، ص31.

الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا فإنهم بعد أن اختطوه علما مستقلا، اتخذوا له منهاجيا علميا سليما.¹

ج. تسمية علم مقارنة الأديان

إن الباحث في هذا الحقل العلمي، يجد نفسه أمام عدة تسميات نذكر منها: علم الأديان Science des religions، تاريخ الأديان Histoire des religions، مقارنة الأديان Religions comparées، التاريخ المقارن للأديان Histoire comparée des religions، فهل هذه الأسماء تدل على علوم متنوعة؟ أم أنها مسميات لعلم واحد؟

إن مصطلح مقارنة الأديان، أو الدين المقارن، قد صكه علماء الغرب في نهاية القرن التاسع عشر، ليدل عندهم على الدراسة العلمية للأديان، وللتفريق بين هذا النوع الجديد من الدراسة وبين الدراسات اللاهوتية التي عرفت المسيحية منذ نشأتها.² و" كلمة تاريخ الأديان كلمة معربة عن لغة الفرنجة، والتسمية بهذا الاسم مستحدثة، لم تعرفها أوربا إلا عند فجر القرن التاسع عشر." ³ وكان ماكس مولر أول من استعمل مصطلح علم الأديان

1 - منهاج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، محمد الشرقاوي، ص: 508، المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة"، إبريل 1996م. من ص 20 - 22.
2 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، عبد الله الشرقاوي، ص 32.
3 - الدين، عبد الله دراز، ص 8.

الذي هو الترجمة الحرفية للكلمة الألمانية: « Religions wissenschaft » وذلك سنة

1.1867¹

فوجد أن الكثير من الباحثين في هذا المجال لم يميزوا بين هذه التسميات المذكورة، فهي عندهم كلها تدل على علم واحد، ويتبين ذلك جليا من خلال هذه العبارات لبعض العلماء:

• "حتى ظهر في إطار هذه العلوم علم الأديان أو تاريخ الأديان المقارن أو تاريخ الأديان"². و"علم مقارنة الأديان أو علم دراسة الأديان علم حديث النشأة في الغرب"³.

• « Le premier à employer l'expression Science des religions ou Science comparée des religions ...fut Max Muhher »⁴.

• « Dans ses premières années, il était connu comme religion comparée ou la Science de religion »⁵.

1 - علم الأديان، مساهمة في التأسيس، ميشال مسلان، ترجمة عز الدين عناية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1430هـ / 2009م، ص16.

2 - المقدس والعادي، مرسيا إلياد، ترجمة عادل العوي، صحاري للصحافة والنشر، طبعة 1994م، ص 7.

3 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، ص57.

4 - Histoire de l'étude comparée des religions, Boullaye Pinard, Copyright by Gabriel Beauchesne, Paris 1922, p504.

وتعني العبارة: أن أول من استعمل عبارة علم الأديان، أو علم مقارنة الأديان... كان هو ماكس مولر.

5 - Les études religieuses, un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre.

وتعني العبارة: أنه في سنواته الأولى عرف باسم الدين المقارن، أو علم الأديان.

كما نلاحظ فاستعمال حرف الاختيار "أو" "OU" يعني أنه لا فرق بين تلك الأسماء، وأنه يصح استعمال أي منها للدلالة على هذا الحقل العلمي.

3. وظيفة علم مقارنة الأديان في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

أ- أهمية دراسة علم مقارنة الأديان

يستمد علم مقارنة الأديان أهميته من ضرورة وحتمية حوار الحضارات وحوار الأديان. هذا الحوار الذي غدا يفرض نفسه بقوة في وقتنا الحاضر تحقيقا للسلم والتعايش بين الأمم. فالتعارف يمهد لبدء التعاون في بناء صرح العلاقات الفردية والجماعية والدولية، ومن بديهيات التعارف والتعاون الحوار الذي يتم به الفهم المتبادل، ولا بد للمتحاورين من الفهم المتبادل للمعتقد والأهداف والظروف، والحوار هو الذي يقرب وجهات النظر بين المتخالفين، ويضع الأطر العامة التي تجمعهم وتوحد سيرهم فيما اتفقوا عليه في الأمور الكلية¹. خاصة أن الحوار من أهم الركائز والأسس التي دعت إليها جميع الأديان السماوية، ولم يشذ عنها دين سماوي قط، وهذا ما حاول النورسي تقريره والتأكيد عليه، سعيا منه إلى القضاء على تذرعات المتذرعين الذين يستندون إلى الأديان السماوية في تصرفاتهم المخالفة لتعاليم تلك الأديان جملة وتفصيلا².

1 - المؤتمر العالمي السابع لبيدع الزمان سعيد النورسي 1992م، العالم الإسلامي والغرب والحاجة إلى الحوار والفهم المتبادل، عابد توفيق الهاشمي، سوزلر للنشر، القاهرة، ص291.

2 - المرجع السابق، قراءة تحليلية في النظرة النورية إلى المسألة الغربية، قطب مصطفى سانو، ص581.

وقد نبه سعيد النورسي¹ في غير ما موضع أن الحوار لا ينحصر في مجرد حوارات كلامية بين الناس، أو خطب رسمية متبادلة في المحافل والمنتديات والمؤتمرات، بل " هو فلسفة نابغة من جوهر الإيمان، إيمان الإنسان بأن الله خلق البشرية لحكمة وغاية محددة تتمثل في التآلف والتساكن لتحقيق أمر رباني، وهو تعميم الخير ودفع الشر عن الإنسان، لأن الخير هو أصل العالم والشر تبعي، ولأن الخير كلي والشر جزئي، لذلك لا بد من انتصار قوة الخير على قوة الشر"². وهذا يعني أن الحوار منهج رباني، ومن تم فهو شرط ضروري لنجاح مشروع عالم تتعدد فيه الهويات الثقافية كما تؤكد ذلك رسائل النور.³

فالحرية والتعددية الدينية أدتا إلى وجود جوٍ من التسامح الديني والفكري، وهذا أدى إلى المخالطة والتواصل والمعاشية التي نتج عنها الحوار والمناقشة، ثم ما لبث الأمر أن اتسع

1 - سعيد النورسي صاحب حركة إحياء الفكر الديني في تركيا، ولد سنة 1294هـ/1877م بقرية نورس في شرقي الأناضول في أسرة كردية صالحة تقية تشتغل بالفلاحة، كان بالغ الذكاء والفتنة منذ صغره، التحق بمجموعة من الكتاتيب والمرافق التعليمية بقريته (نورس)، بعد ذلك صار تحصيله للعلوم بمنهج عصامي دون حاجة إلى المعاهد، لأنه لم يعد يجد لدى مدرسيه ما يستجيب لنهمه التحصيلي، بدأ نضاله السياسي والفكري في أواخر القرن 19 م عندما أخذ العالم الإسلامي يئن تحت وطأة الغزو الفكري الاستعماري، فظهرت آراؤه في الإصلاح والدعوة إلى الشورى الإسلامية والعودة إلى الشريعة الإسلامية في مقالاته الصحفية، ومقابلاته مع المسؤولين، تعرض في حياته إلى الاعتقال والنفي والإقامة الجبرية بعد إلغاء الخلافة سنة 1924م. من أشهر مؤلفاته "رسائل النور"، وافته المنية رحمه الله سنة 1960م. انظر: سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سولزر للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة 2004م، ص35. وانظر أيضا: النورسي متكلم العصر الحديث، محسن عبد الحميد، سولزر للنشر، القاهرة، بدون طبعة، ص10.

2 - صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان الصالحي، شركة سولزر، القاهرة، الطبعة الرابعة 2004م. ص53.

3 - المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، دور رسائل النور في بناء الحوار بين الحضارات ونشر المحبة والسلام بين الشعوب، إبراهيم القادري بوتشيش، ص83.

ليشمل جانب الدراسة لديانة الآخر فهما ووصفاً، وتحليلاً ومقارنة، مما أدى إلى نشوء فرع من العلم يسمى علم مقارنة الأديان، يعنى - أساساً - بدراسة الملل والنحل¹.

إن اهتمام علماء الإسلام الأوائل بهذا العلم أمر لا جدال فيه، حيث نشطت الحركة الجدلية بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة وتفاقت حتى أسفرت عن ميلاد علم إسلامي جديد هو علم مقارنة الأديان الذي تكفل بدراسة الأديان الأخرى لتعريف المسلمين بها، فيزدادوا إيماناً بأحقية الدين الإسلامي وهيمنته على الأديان الأخرى. ولكي يقدم الإسلام لغير المسلمين في صورة مقارنة مع ما يعتقدونه، مما يثير الشكوك في عقائدهم ويفتح الطريق أمامهم لتقبل الإسلام².

إضافة إلى هذا، فعلم مقارنة الأديان في تعريفه بالأديان الأخرى المنتشرة في العالم يمكن الباحث فيه من معرفة الحق من الباطل والخطأ من الصواب في مجال الاعتقاد الديني، وييسر عليه مقارنة بعضها ببعض، للتمكن في الأخير من الحكم على واحد منها أو أكثر بأنه صادق، وأفضل للإنسانية والفرد وبالتالي اتخاذه ديناً ومعتقداً، بعيداً عن التقاليد والموروثات. وهو أيضاً يعرف بجوهر كل دين فيمكن من جمع الحجج لمناظرة أهله.³

1 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، الجزء الأول، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الرابعة 1387هـ / 1967م. مكتبة الخانجي - القاهرة، ص 384.

2 - البعد الحضاري الدولي في علم مقارنة الأديان، عبد القادر بخوش، مجلة دفاتر السياسة والقانون - العدد السابع جوان 2012 - ص 32.

3 - مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص 31 و 33 و 34.

كما أن معرفة أديان الأمم ومذاهبها، أمر في غاية الأهمية بالنسبة للمثقف والإنسان المتحضر الذي يكون على اتصال بأمم مختلفة المذاهب والعقائد، لأن ذلك سيساعده ليتعارف مع الناس ويقيم معهم أواصر الصداقة، وعرى المحبة والتعاون وتبادل المنافع، ولأن الأديان السماوية من مصدر واحد، ومعرفة حلقة من حلقاتها دون الإلمام بالحلقات الأخرى يعد نقصا كبيرا لدى المثقف الواعي¹.

ونظرا للأهمية الكبرى لعلم مقارنة الأديان عند المسلمين خصوصا، فقد أولى العلماء المسلمون عناية خاصة به، لأنه يكشف للباحثين مدى التناقض والزيف في غير العقائد الإسلامية، وما يتجلى في القرآن الكريم من حق واضح في مجال العقيدة والشريعة وبناء الحياة على أقوم الأصول وأرسخ الدعائم، وما يتضمنه من منهج كامل لكل جانب من جوانب الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والسياسية.² مصداقا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾³.

وللجزم بأن الإسلام هو الدين الحق، وأن ما عداه من عقائد وأديان فهو باطل، أو هو انحراف عن الدين الصحيح، فإنه كان لابد للعلماء المسلمين من التعرف على هذه العقائد والديانات الأخرى ودراستها دراسة علمية حتى يستطيعوا إثبات صحة المبادئ القرآنية، من

1 - مقارنة الأديان، المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة 1998م، ص20. انظر

أيضا: بحوث في مقارنة الأديان، الدين - نشأته - الحاجة إليه، أحمد عبد الرحيم السايح، دار الثقافة الدوحة، ص7.

2 - الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم دمشق، دار الشامية بيروت، الطبعة الأولى 1993م، ص10.

3 - سورة الفتح، الآية 28.

جهة، ومن جهة أخرى، حتى لا يأتي المسلم بقول أو فعل يضاهاه ما ورد في هذه العقائد التي تخالف العقيدة الإسلامية¹.

فإذا كان تبني الموقف القرآني الحاسم: ﴿إِن الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾²، قد اقتضى من علماء المسلمين موقفا علميا واضحا من كل ما يخالف الإسلام، وكذلك الدعوة إلى التوحيد استلزم بيان ضلال كل ما يتناقض معه من عقيدة وسلوك، فإن الإيمان بعالمية الدعوة الإسلامية تطلب فهما دقيقا لجميع الأديان والمذاهب التي كانت تتبناها المجتمعات المختلفة كمقدمة ضرورية نحو شرح فسادها وانحرافها ثم إحقاق الحق واضحا جليا³. وقد حمل العلماء على عاتقهم مهمة " التعريف من خلاله بالإسلام ورد العدوان عنه، وكشف أنواع الزيف التي ألصقها المغرضون به، خاصة أن الإسلام دون بقية الديانات السماوية والحضارات الإنسانية هو الذي يتعرض لاتهامات باطلة أهمها وصفه بالإرهاب والتخلف، في الوقت الذي يتغاضى فيه الإعلام الغربي عن تصرفات أصحاب الديانات الأخرى"⁴.

1 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2002م، ص 35.

2 - سورة آل عمران الآية 19

3 - في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج، دين محمد محمد ميرا، دار البصائر، الطبعة الأولى 1430هـ/ 2009م، ص32.

4 - مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة 1988م، ص30.

فعلم مقارنة الأديان " يعتبر ثغرا من ثغور الإسلام، يجب على المسلمين عامة وأولي الأمر منهم خاصة، النهوض به وجعله مادة أساسية في المعاهد والجامعات"¹. كما أن له دورا كبيرا في نشر الإسلام والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه، إذ " بواسطة هذا العلم دخل الآلاف والملايين في الدين الإسلامي "².

ولقد وجه الإسلام أتباعه، وعلمهم الطريق الصحيح في جدال أهل الكتاب، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْدُلُوا أَهْلَ الْكُتُبِ إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحُدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾³.

لقد خطا علم مقارنة الأديان، خطوات حثيثة في سبيل الوصول إلى المعارف الحقة وإن شابه شيء من شبهات بعض المستشرقين، إلا أنه لا يزال قادرا على كشف المزيد من الحقائق المتعلقة بالأديان عامة، وهذا ما يصبو إليه الإسلام من خلال منهجه الكاشف لجميع الملابسات التي اعترت مسيرة الإنسان عقديا وتشريعيا⁴.

إن الكثير من علماء الأديان الغربيين المعاصرين قد تحرروا من الوقوع في أسر الصورة المزيفة الذائعة في الغرب عن الإسلام، ولعل السبب في تحسن صورة الإسلام في كتاباتهم يرجع إلى سعيهم وراء الحقيقة الخالصة في سموها ونبلها، وليس لحساب مؤسسة

1 - الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، ص 10.

2 - مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، ص 28.

3 - سورة العنكبوت، الآية 46.

4 - الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي المغربي، تحقيق وتعليق عمر وفيق الدعوق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى 1422هـ/ 2001م، ص 15.

الكنيسة الغربية، أو الحكومات الاستعمارية، كما أنهم يرجعون عند الكتابة عن الإسلام إلى مصادره الأصلية، فكان لمقارنة الأديان دور مهم في التعرف عن الخصائص العامة لكل دين، لأنه عند المقارنة تتكشف الحقيقة وتستبين وتفرض نفسها ساطعة آسرة.¹ ويؤكد هذا الكلام ما جاء على لسان كارين أمسترونغ لما حاولت الإقرار بأن الغرب قد تعمد إساءة فهم الإسلام منذ نزوله حتى اليوم، إلا أن الكثير من العلماء في هذا القرن حاولوا توسيع تفهم الغرب للإسلام. وقد أرجع بعضهم ذلك الموقف العدائي إلى انغلاق الغرب وتعصبه، وبعضهم إلى الكراهية والخوف، وبعضهم إلى رد الفعل ضد التحدي العقدي والسياسي والحضاري الذي مثله الإسلام لأوروبا منذ تاريخه المبكر. كما وضحت أن من يضع الإسلام في فئة غير مقدسة خاصة به، أو من يفترض أن تأثيره كان سلبيا تماما، يبتعد عن الدقة والإنصاف، بل إنه يعتبر خائنا للتسامح وروح التراحم المفترض أن المجتمع الأوروبي يتحلى بهما. والواقع أن الإسلام يتميز بكثير من المثل الدينية العليا التي ألهمت اليهودية والمسيحية، ومن ثم فقد ساعد الناس على غرس وتنمية قيم العدالة والخير والاحترام والتعاطف مع الآخرين.² والتعريف بهذه المبادئ والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، كانت من مزايا هذا العلم.

1- الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، محمد عبد الله الشرقاوي، دار البشير للثقافة، الطبعة الأولى 2015 م، ص 204-205.

2 - سيرة النبي محمد، كارين أمسترونغ، (فصل: العدو محمد)، ترجمة محمد عناني، فاطمة نصر، سلسلة: كتاب سطور(1)، القاهرة طبعة 1998م، ص 31-69.

وأخيرا إن دراسة علم مقارنة الأديان من خلال ما قدمه علماءنا السالفون في هذا المجال، هي دراسة في تراث الفكر الإسلامي، " إذ أن الغاية الأساسية من دراسة التراث تكمن في التعرف على مواطن القوة ومكامن الضعف للحضارة الإسلامية التي أفل نجمها منذ قرون، وذلك للاستفادة من تجارب السابقين وجهودهم الفكرية، حيث يسعى العديد من

المفكرين الآن إلى وضع الأسس التي تمهد لقيام الحضارة العربية المنشودة".¹

فتراثنا الإسلامي يزخر بالمصنفات التي وضعها كبار علمائنا في الملل والنحل، إلا أن المكتبة الإسلامية المعاصرة تشكو الخواء والفقر في هذا المجال، رغم الحاجة الماسة إلى ذلك، خصوصا بعد ظهور دراسات نقدية نقية وعميقة لعلماء الغرب لأسفارهم المقدسة، حيث استفادت هذه الحركة النقدية من التراث الإسلامي بطرق متعددة فائدة غير منكرة.² وبذلك نستخلص أن أهمية علم مقارنة الأديان تكمن إضافة إلى ما سبق ذكره، في التعريف بالإسلام وتغيير موقف الآخر منه، شيئا فشيئا. ما يساعد على الاقتناع بضرورة بناء روحانية حديثة تؤمن بضرورة التحاور بين الأديان. والمزيد من البحث والتقصي كفيل بإبراز الكثير من المزايا الخفية لهذا العلم الجليل.

1 - علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص 14.

2 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، ص 6.

ب - سبق علماء المسلمين إلى التأصيل لعلم مقارنة الأديان

من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان، وقد اعترف علماء الغرب بذلك، ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام، لأن المقارنة تحتاج إلى تعدد، والأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، فكل دين كان يعتبر ما سواه من الأديان ضلالاً¹.

وإن الحديث عن الأديان بعد أن كان في العصور السابقة إما مغموراً في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة، وإما مدفوعاً في تيار البحوث النفسية أو الفلسفية أو الجدلية، أو على الأقل محدوداً بحدود العقائد الموضوعية، أصبح في كتب العرب دراسة وصفية واقعية، منعزلة عن سائر العلوم والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم، فكان لهم بذلك فضل السبق في تدوينها علماً مستقلاً². فكان ذلك في عصر التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري حين بدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث، اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان، كعلم إسلامي كباقي العلوم الإسلامية³.

وبذلك استقل هذا العلم عن العلوم الإسلامية الأخرى، وأفردت له مؤلفات خاصة.

1 - في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، ص 25

2 - الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله الدراز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، طبعة 2014م، ص 19.

3 - مقارنة الأديان، اليهودية، أحمد شلبي، ص 27.

فبزغ العديد من المفكرين والعلماء المسلمين الذين أسهموا فيه بغزارة سأذكر منهم حسب التسلسل التاريخي ما يلي¹:

✓ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ): بكتابه "الرسالة المختارة في الرد على النصارى" حققه محمد الشرقاوي سنة 1405 هـ.

✓ الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي (ت 310هـ) صاحب كتاب "الآراء والديانات" وكتاب آخر هو "الرد على أصحاب التناسخ".

✓ علي بن الحسين بن علي المسعودي من ذرية عبد الله بن مسعود (ت 346هـ)، له: "المقالات في أصول الديانات" وكتاب "المسائل والملل في المذاهب والنحل".

✓ محمد بن عبد الله بن أحمد المسيحي (ت 420هـ)، الذي ألف كتابه "درك البغية في وصف الأديان والعبادات".

✓ أبو منصور عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ)، له "كتاب الفرق بين الفرق"، وكتاب في الأديان سماه "الملل والنحل".

✓ محمد بن أحمد أبو الريحان الخوارزمي البيروني (ت 440هـ): أقام في الهند بضع سنوات، اطلع خلالها على كتب الهندوس وعقائدهم، وألف كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة". وهو من أهم كتب المسلمين التي ألفت في مجال تاريخ الأديان، تطرق فيه إلى معتقدات الهنود في الله وفي الموجودات العقلية والحسية،

1 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حياية، ص 144 - 145.

وفي الأرواح والجزاء والجنة والنار، ووصف آلهتهم وطقوسهم، وفرقهم، وكتبهم، ومعارفهم، وبلادهم، وأنهارهم، (...) وغير ذلك، انطلاقاً من مصادرهم المكتوبة، حيث قال: "ولنورد في ذلك شيئاً من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط"¹. وأكد ذلك المستشرق الروسي فاسيلي فلاديمير بارتولد (ت 1930م) حين قال: "وألف كتاباً قيماً عن الهند، يدل على نظر واسع وحياد علمي تام، وفي كتابه عن الهند معلومات واسعة عن الأديان والعلوم التي فيها، وقد استقاها البيروني من منابعها الهندية المباشرة"².

فهو يعد وثيقة تاريخية وحضارية فريدة ونادرة تكشف عن عالم الهند قبل دخول المسلمين إليها وبسط نفوذهم عليها³. وقد جعله كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها، لا كتاب حجاج وجدال، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم يتحرج من حكاية كلامهم، وإن باين الحق، فكان هذا الكتاب كتاب بحث علمي نزيه⁴. ويقول البيروني في هذا الصدد: "وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد إلا عن ضرورة ظاهرة"⁵.

وإقراراً للمكانة العلمية للبيروني في مجال مقارنة الأديان، قال المستشرق الأمريكي آرثر أبهام بوب (ت 1969م): " وغير ممكن أن يكتمل أي تاريخ للرياضيات أو الفلك أو

1 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، عالم الكتب بيروت، طبعة 1403 هـ، ص 23.

2 - تطور الفكر العلمي عند المسلمين، عفيفي محمد الصادق، مكتبة الغانجي القاهرة، طبعة 1977م، ص 122.

3 - منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك، مجلة ثقافتنا، العدد 16، طبعة 1429هـ، إيران.

4 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، متر آدم، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، طبعة 1987م، ص 367.

5 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، باب في ذكر أحوال الهند وتقريرها أمام ما نقصده من الحكاية عنهم، ص 22.

الجغرافيا أو علم الإنسان أو مقارنة الديانات، دون الإقرار بالمساهمة العظيمة للبيروني في كل علم من تلك العلوم"¹.

✓ **ابن حزم الأندلسي الظاهري (ت 456هـ):** وألف لذلك كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وهو كتاب في دراسة عقائد أصحاب الملل غير الإسلامية كعباد الشمس والكواكب، والنصرانية، واليهودية، وحكماء الهند وعبدة الأصنام وغيرها كثير، وآراء الفرق الإسلامية ومذاهبها، كالمعتزلة والجهمية والتدرية والشيعة وغيرها.

يعد هذا الكتاب بما اشتمل عليه من نقد علمي للتوراة والإنجيل أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التي ظهرت بوادرها في أوروبا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر.² فقد اتبع ابن حزم في كتابه منهج التقرير والنقد، وكان الطابع الغالب على الكتاب هو النقض والتفنيد، والدحض وإظهار التهاافت والبطلان فيما يراه باطلا من هذه العقائد، على أن مادة كتاب الفصل تؤكد أيضا الطابع الجدلي لابن حزم.³

إن كتاب ابن حزم المؤلف من خمسة أجزاء ناقش في جزئه الأول قول القائلين بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له، ثم تناول فيه النصارى بمذاهبها، ومفهوم النبوة والشرائع، وتحدث عن الزرادشتية، ثم تناول التوراة والعقيدة اليهودية وفصل فيها تاريخيا وعقديا وتشريعيا.

1 - تطور الفكر العلمي عند المسلمين، عفيفي محمد الصادق، ص 122.

2 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1983م، ص 149.

3 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، ص 148.

وجادل في تحريف التوراة وشخصيات أنبياء بني إسرائيل القدامى والحديثيين. وقد تناول في الجزء الثاني الأناجيل ومنتاقضاتها، وناقش فيها شخصية السيد المسيح عليه السلام، حياته وادعاء صلبه ورفعته والحواريين، وقد استغرق الحديث عن النصرانية هذا الجزء بكامله. أما الأجزاء الثلاثة الأخرى فقد تناولت الفرق الإسلامية من قدرية ومرجئة ومعتزلة وبعض القضايا المتعلقة بأمور فلسفية دينية كالإرادة والاستحالة وما شابه ذلك¹.

ومما يؤكد الدور الريادي لابن حزم في علم مقارنة الأديان، أن التناقضات التي أثبت العلم الحديث وجودها في التوراة والإنجيل، قد سبق بها ابن حزم وأوردها في كتابه الفصل منذ القرن الرابع الهجري. ولما عرف علماء الغرب هذا الكتاب أضفوا على صاحبه هالة من التقدير والإجلال.²

✓ **محمد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستاني (ت 548هـ) من خلال كتابه "الملل**

والنحل" : هذا كتاب مختصر جمع فيه مصنفه جميع مذاهب أهل العالم بزعمه، وقد أظهر فيه المخالف للدين الحق، وأوضح عظمة الدين الإسلامي الحنيف، عبرة لمن استبصر، واستبصاراً لمن اعتبر، وقد قدم المؤلف لذلك بخمس مقدمات: المقدمة الأولى في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة، والمقدمة الثانية في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الإسلامية، والمقدمة الثالثة في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها

1 - علم مقارنة الأديان مناهجه وأصوله، حسن الباش، ص 44-45.

2 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، 1983م، ص 7.

ومن مظهرها؟ والمقدمة الرابعة في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها؟ والمقدمة الخامسة في بيان السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب¹.

وقد احتل هذا الكتاب منزلة عالية بين كتب المقالات، ومرتبة عظيمة لدى الباحثين، فقد سد ثغرة مهمة في بابها، وأصبح مرجعا متميزا لكثير من الباحثين والمؤلفين عبر العصور الماضية والحاضرة، فاقتبسوا منه كثيرا في بيان مقالات أهل الملل والنحل، على مختلف مشاربهم وأصنافهم².

ولعل ما يبرز ذلك بعض ما قيل فيه، فقد أثنى على الكتاب طائفة من الباحثين والعلماء من المتقدمين والمتأخرين، من العرب وغيرهم. فنجد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) مع نقده للكتاب إلا أنه أثنى عليه، حيث قال: " مع أن كتابه أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات وأجود نقلا ". أما ألفريد جيوم فيقول: " منذ أن نشر الكتاب الأستاذ (وليم كيورتن) كتاب الملل والنحل للشهرستاني في جزئين سنة 1846م فقد ظل هذا الكتاب موردا خصبا لطلاب الديانات والتاريخ، وظل هو السند الأول الذي يمكن أن يبحث فيه عما يراد معرفته عن عقائد وفلسفة الشرق الأدنى، (...)، أقول إنه قد ظل

1 - الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الثانية 1413هـ/1992م.

2 - منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل عرض وتقويم، مجمد بن ناصر بن صالح السحبياني، دار الوطن الرياض، ص 213.

المخلص الوافي، الذي تبوب فيه الملل على اختلافها، وخصائص ومميزات منها، مما جعله بحثاً لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان".¹

✓ السموأل بن يحيى المغربي: (ت 570هـ) وكتابه إفحام اليهود: وسنتطرق
بتفصيل لهذا الكتاب في هذا البحث.

✓ أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي (ت 584هـ)،
مؤلف كتاب "بين المسيحية والإسلام".

✓ أبو العباس القرطبي: (ت 656هـ) وكتابه "الإعلام بما في دين النصارى من
الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة
والسلام". ويتكون الكتاب من عدد من الفصول تغطي كل ما يخص الدين النصراني
وتبرز ما فيه من أخطاء. وبدأ فيه الكاتب بفصل في بيان مذاهبهم في الأقاليم وإبطال
قولهم فيها، وأقاليم القدرة والعلم والحياة، دليل التثليث. وفصل في بيان مذاهبهم في الإتحاد
والحلل وإبطال قولهم فيها، وعن معنى الإتحاد، وتجسد الواسطة. ثم فصل في بيان أن
الإنجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل، ويختتم بحديث مفصل عن
تناقض الدين النصراني وفي المقابل اتساق الدعوة الإسلامية.²

1 - منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل عرض وتقويم، السحبياني، ص 214 - 215.

2 - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة، بدون طبعة.

✓ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني المعروف بابن تيمية

(ت728هـ) مؤلف كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وهو كتاب في

الرد على افتراءات النصارى على دين المسيح عليه السلام.

✓ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم

الجوزية، (ت751) مؤلف كتاب " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ".¹

وتوالت بعد ذلك حركة التأليف في علم مقارنة الأديان، واللائحة طويلة يصعب حصرها.

ونستقي هنا شهادات لمفكرين غربيين منصفين، في مسألة سبق علماء المسلمين إلى علم

مقارنة الأديان، فيقول فرانز روزنتال (F.Rosenthal) (ت2003م): " أن علم مقارنة

الأديان أحد الإنجازات الرفيعة للحضارة الإسلامية أسهمت به في التقدم الفكري

للإنسانية".²

وورد في دائرة المعارف البريطانية أنه: " كان للعالم الإسلامي تأثير على المسيحية

الغربية، ولا سيما على الفلسفة المدرسية في العصور الوسطى، حيث تم الحفاظ على قيم

1 - دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن العظمي، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الثانية 2003م، من ص 29 إلى 32.

2 - Bruce Lawrence, Shahrastani on the Indian Religions, (Mouton: Mouton Co. 1976), p 5.

« the comparative study of religions has been rightly acclaimed as one of the great contributions of Muslim civilization to mankind's intellectual progress.»

كل من العقل والوحي. كان السبق للمعرفة الإسلامية بالديانات الأخرى على المعرفة الأوروبية".¹

أما ظهور علم مقارنة الأديان عند الغرب، فمهدت له حركة الإصلاح المسيحي "البروتستانتية" في منتصف القرن السادس عشر، التي كانت مكملة لجانب من النهضة العلمية الأوروبية، بما مهدت له من دراسات في اللغة العبرية واللغات السامية الأخرى، بغية تفهم نصوص التوراة والإنجيل، التي كان رجال الإصلاح يتمسكون بحرفيتها². كما ساهمت حركة الترحال التي شهدها كل من البروتستانت والكاثوليك إلى آسيا وأمريكا وإفريقيا، في تطور نشاط حركة التأليف في وصف عقائد الأقوام وعوائدهم خلال القرن الثامن عشر. ومنذ ذلك اليوم أصبح علم الأديان ذا شعبتين: شعبة جديدة مبتكرة، تهتم بالدراسات النظرية، والاستنباطات الكلية، التي تهدف إلى التطلع إلى أصول الأشياء ومبادئها العامة، حيث أن الذي يدرس الملل المختلفة دراسة مقارنة، سيجد فيها وجوها من المشابهة تتلاقى عندها كل الديانات، ما يدفعه إلى استخلاص هذه المبادئ العامة،

1- The new Encyclopedia Britannica: "study of religion". Vol.15. p.615. by Safra, S.Yannias, James E.Goulka. 15th ed.1998.Chicago

« Islamic theology had an impact on western Christianity, notably upon medieval Scholastic philosophy, in which the values of both reason and revelation were maintained. Muslim knowledge of other religions was in advance of European knowledge. »

2 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، ص 21.

وجمعها في وحدة كلية يحدد بها طبيعة الدين من حيث هو¹. وشعبة قديمة نالها شيء من التجديد، وهي تلك الدراسات الوصفية التحليلية الخاصة بملة ملة، والتي تعرفنا عن نشأة ديانة ما، وحياة مؤسسها، ومقومات عقائدها وعباداتها، وهي ما يسمى بتاريخ الأديان².

وقد ألف الغرب الكثير حول المنهج في دراسة الأديان منذ أن ظهر هذا العلم بصورة منظمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكتب لجهودهم الذبوع والانتشار في ظل إهمال علمي غير مبرر لهذا الجانب في العالم الإسلامي، الذي ظل كثير ممن أبدى اهتمامه بالأديان يقوم بتحقيق المحقق، ونشر المنشور، أو بتأليفات لا تتجاوز تراث ابن حزم والشهرستاني، بدون أن يلقي بالا لقضية المنهج وجهود المسلمين الرائدة فيها، وبدون وقفة نقدية لها ولما يقدمه الغرب³.

ومن جانب آخر يذكر أحد خبراء منهج علم الدين المقارن في الغرب، أن الغرب المسيحي، طوال العصور الوسطى، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، لم يدرس ديانات الآخر إلا بهدف دحضها ونقضها، وانتهت نظرياته اللاهوتية عن أصل تلك الأديان

1 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دراز، ص 22.

2 - الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دراز، ص 21-22.

3 - في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج، دين محمد محمد ميرا، ص 5.

ونشأتها، على أنها رجس من أعمال الشياطين، ويعزى ذلك إلى انغلاقهم التام والتعصب الصارم¹.

ثانياً: المخالفون من أهل الكتاب في نظر الإسلام

مفهوم المخالفة عام وشامل وقد يشمل المخالفين من أهل الملل المختلفة، ومن المسلمين أيضاً، إلا أن هذا المبحث سيتناول المخالفين من أهل الكتاب فقط، ومن تم سيتم التطرق إلى مفهوم المخالفة لغة واصطلاحاً، ثم التعريف بأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

1) تحديد مفهوم المخالفة لغة واصطلاحاً:

اتفقت المعاجم اللغوية في تحديد مفهوم المخالفة، فجاء في لسان العرب أن المخالفة مصدر خالف، يقال: خالفه مخالفة وخلافاً، وتعني المضادة، وعدم الاتفاق².
والمخالفة والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين³.
والمخالفة أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية⁴.

1 - علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، منهجا وقضايا، حمدي عبد الله الشراوي دار الكتب العلمية، طبعة 2016م، ص 9.

2 - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1968م، الجزء 9، ص 82.

3 - مفردات ألفاظ القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) - تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة 2- دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت- طبعة سنة 1412هـ/1992م- ص 294.

4 - أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، محمد عوامه، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، 1418هـ/1998م، ص 8.

وتخالف القوم إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق.¹

والمخالفة أيضا هي الخروج عن الأمر والطاعة، قال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾² أي يخرجون عن أمره ويخالفونه.³ والمخالف هو كل من يختلف عنك باعتقاد أو رأي أو سلوك. سواء أكانت هذه المخالفة تقتضي الضدية كالإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، أو الاتباع والابتداع، أو الحل والحرمة، أو الصحة والفساد، أم كانت لا تقتضي الضدية، كالخلاف اللفظي والصوري واختلاف التنوع.⁴

إذن فالمخالفة والخلاف في الأمر هي ضد الاتفاق عليه، وهي أعم من الضدية لأنها تشمل أيضا على معنى المغايرة مع عدم الضدية.

أما المخالفة اصطلاحا فقد عرفها العلماء في المعاجم الاصطلاحية بعدة تعريفات من بينها: أنها "منازعة تجري بين المتعارضين، لتحقيق حق أو لإبطال باطل" ⁵. وفي الاصطلاح الفقهي، نجد أن عامة فقهاء المسلمين لا يفرقون بين لفظي الخلاف

1 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان، طبعة 1987 م، ص69.

2 - سورة النور، الآية 61.

3 - لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، الجزء 2، ص12.

4 - فقه التعامل مع المخالف، عبد الله بن ابراهيم الطريقي، دار الوطن الرياض، ص 16.

5 - التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ/1413م)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م، ص135.

والاختلاف عند الاستخدام. لكن قد يوجد فرق دقيق بين اللفظين من جهة الاستعمال، فكل منهما يستعمل باعتبار معين في حال المختلفين، وإن كان معناهما العام واحد، وبيان ذلك: " أننا إذا استعملنا كلمة (خالف) كان ذلك دالاً على أن طرفاً من الفقهاء، جاء باجتهاد مغاير لاجتهاد الآخرين، بغض النظر عن هؤلاء الآخرين، هل اجتهادهم واحد أو متباين، لكن إذا نظرنا إلى طرفين من أطراف الخلاف، أو إلى أطرافه كافة؛ فإننا نسمي ما ينشأ عنهم من آراء متغايرة (اختلافاً). ويؤكد هذا التفريق اللفظي الدقيق استعمال القرآن الكريم لمادة الخلاف والاختلاف، فقد قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام:

﴿قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَّا مَا أَنهَلَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ﴾¹، فلما كان السياق هنا مرتبطاً بطرف واحد من أطراف الخلاف، عبر عنه بكلمة (أخالف). لكن حينما يكون السياق مرتبطاً بكافة أطراف الخلاف، يعبر حينئذ بكلمة (اختلف) كقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾². إذا:

فالتعبير بكلمتي (الخلاف) أو (الاختلاف) مرتبط باعتبارات معينة، والاعتباران معا

1 - سورة هود، الآية 88.

2 - سورة مريم، الآية 37.

يكونان صورة واحدة، هي المعنى العام للخلاف والاختلاف، ولهذا لا تجد فرقا بينهما في استعمال الفقهاء " ¹.

لقد قدر الله سبحانه الاختلاف على بني آدم، وجعل ذلك من لوازم خلقهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ ². قال ابن جرير (ت 310هـ) رحمه الله: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم، على أديان وملل وأهواء شتى، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ ³، فأمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله " ⁴. وأخرج أيضا بسنده عن الحسن البصري (ت 110هـ) رحمه الله أنه قال: ﴿ولذلك خلقهم﴾ ، قال: " أما أهل الرحمة؛ فإنهم لا يختلفون اختلافا يضرهم " ⁵. وقال ابن كثير (ت 774هـ) رحمه الله في تفسير هذه الآية: " أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات ملهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. " ⁶

1 - نظرية التعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد الروكي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1994م، ص 179 - 180.

2 - سورة هود، الآية 118.

3 - سورة هود، الآية 118.

4 - جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ج 12، ص 142-143.

5 - جامع البيان في تأويل القرآن، ج 12، ص 144.

6 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الجزء 2، ص 610.

وقال ابن حزم (ت 456هـ) رحمه الله: " الله تعالى نص على أن الاختلاف شقاق، وأنه بغي، ونهى عنه وعن التنازع والتفرق في الدين، وأخبر أن الاختلاف تفرق عن سبيل الله، ومن عاج عن سبيل الله فقد وقع في سبيل الشيطان، والخلاف الذي يعنينا في هذا البحث هو الخلاف في الدين، الذي يشمل الخلاف مع غير المسلمين كلهم، وبخاصة اليهود والنصارى¹. فقد جعل القرآن اليهود في مقدمة الذين يضمرون العداة العميق للإسلام². حيث قال تعالى: ﴿ لتجدن أشد الناس عدوةً للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا ﴾³. وقال جل ثناؤه: ﴿ يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفوههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾⁴.

ومما ذكره الإمام ابن حزم في هذا الشأن ما في كتبهم من الكذب على الله تعالى وعلى الملائكة وعلى الأنبياء عليهم السلام. فقد عجب من إطباق النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التي لا يخفى فسادها على أحد، إلى أن وقف على ما بأيدي اليهود، وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قوله: " أن كل من خالف دين الإسلام، ونحلة السنة، ومذهب أصحاب الحديث، فإنه عارف بضلال ما هم عليه، إلا أنهم بخذلان

1 - الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي الظاهري، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 1404هـ، الجزء الخامس، ص 22.

2 - منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، نادية الشرفاوي، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2010م، ص 17.

3 - سورة المائدة، الآية 84.

4 - سورة آل عمران، الآية 118.

الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم، مغلوبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم، تقليدا لأسلافهم، وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية".¹

(2) تحديد مفهوم أهل الكتاب

ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، ليس غير، ذلك " أنه إذا أطلق لفظ أهل الكتاب انصرف إليهم، فهو كالعلم بالغلبة عليهم".²

وقال الشهرستاني (ت 548هـ): " الخارجون عن الملة الحنفية، والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشرية وأحكام وحدود وأعلام قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب".³

وجاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ سِوَاءَ مَنْ أَهْلَ الْكُتُبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾⁴، في المراد بأهل الكتاب قولان: القول الأول - وعليه الجمهور - أن المراد بأهل الكتاب: الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام. والقول الثاني: يشمل كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب منزل فهو من أهل الكتاب.⁵

1 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت 456هـ)، مكتبة السلام العالمية، الجزء الأول، ص 93 و 94.

2 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، سلسلة الرسائل الجامعية العدد 16، دار المحدثين للبحث والترجمة والنشر، طبعة 2008، ص 199.

3 - الملل والنحل، الشهرستاني، الجزء الأول، ص 208.

4 - سورة آل عمران، الآية 113.

5 - التفسير الكبير، الإمام الرازي، الجزء 8، ص 164.

ونقل عن الإمام الشافعي (ت 204هـ) قوله إن المراد بأهل الكتاب هم بنو إسرائيل الذين أنزلت عليهم التوراة والإنجيل. ويرى الأحناف أن كل أمة تؤمن بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب. فلو كانت أمة من الأمم تؤمن بصحف إبراهيم عليه السلام، أو الزبور لكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب أيضا.¹

والراجح أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ومن دان دينهم، ومن عدا هؤلاء من الكفار فليس من أهل الكتاب². بدليل قول الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَكْتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغٰفِلِينَ﴾³. والمراد بالكتاب جنس الكتاب الإلهي الذي يشمل التوراة والإنجيل وزبور داود وغيرها، ولكن لقب "أهل الكتاب" و "الذين أوتوا الكتاب" وإن كان لفظه عاما خص به اليهود والنصارى لأنهم هم الذين كانوا مخالطين ومجاورين للأمة العربية، ومعروفين عندها⁴.

فنخلص بذلك إلى أن مفهوم أهل الكتاب إنما يقصد به بشكل خاص اليهود والنصارى.

1 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 199.

2 - تفسير المنار، محمد عبده، محمد رشيد رضا الجزء العاشر، دار المنار، الطبعة الثانية 1368هـ، ص 355.

3 - سورة الأنعام الآية 157.

4 - تفسير المنار، ج 10، ص 340.

3) مفهوم اليهودية:

تعد اليهودية من الديانات السماوية ذات المكانة الهامة في تاريخ الأديان، ذلك أنها أقدم الديانات التوحيدية التي ما زال لها وجود حتى اليوم، كما لها روابط عقدية مع ديانات أخرى، سواء بالسلب أو الإيجاب.

أ. التسمية:

عرف اليهود خلال تطورهم التاريخي ألقاباً وتسميات مختلفة، ارتبطت في غالبيتها بمنشئهم ونمط عيشهم، وصلتهم بأجدادهم وأسلافهم من الأنبياء.

فاليهودية دعوة إلهية المصدر في أصلها، وقد أرسل بها موسى عليه السلام داعياً إلى التوحيد وهجرة عبادة الأوثان، وقد نشأت منذ حوالي العام 1500 ق.م.¹ واليهود هم أتباع موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، ويطلق عليهم بالإضافة إلى ذلك بني إسرائيل والعبرانيين. وهي تسميات وضعية اختلفت في منشأها.²

لقد حاول اليهود اعتماد أكثر من اسم لتبرير ما يطرحون، إن لجهة الارتباط بإبراهيم عليه السلام ومن بعده، أو بموضوع المكان وقداسته. فقالوا إنهم "عبرانيون"، علماً أن العبرانية أو العبرية تسمية سابقة على موسى عليه السلام ودعوته بقرون عديدة. فالاسم "عبيرو" أو "هيبرو" كان يطلق على كل من يعتمد الترحال في حياته، أي من يحيا حياة بدو، إذن

1 - البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، دار النفائس، الطبعة الأولى 1422 هـ / 2001 م، ص 19.
2 - الملة والنحلة في اليهودية المسيحية الإسلام، حمدي عبد العال، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى 1409 هـ/1989 م، ص 19.

العبرانية هي نمط اجتماعي ولا ارتباط لها بعقيدة أو دعوة دينية. وقد سمي إبراهيم في نصوص من العهد القديم "أبرام العبراني".¹

فكان العبري هو المنحدر من ذرية إبراهيم الذي سمي عبريا أو عبرانيا، لأنه عبر النهر ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات أو نهر الأردن.² إلا أن هناك من يرى احتمال أن يكون إبراهيم منسوبا إلى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم "عبر". أو أن كلمة "عبري" لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه، وإنما ترجع إلى كون بني إسرائيل في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان واحد، بل ترحل بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى. ولأن كلمة "عبري" في الأصل مشتقة من "عبر" بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر، أو عبر السبيل شقها، وكل هذه المعاني موجوة في هذا الفعل.³

وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين ليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطنوا أرض كنعان وعرفوا الاستقرار، صاروا ينفرون كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل.⁴

1 - البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، ص 19 - 20.

2 - مقارنة الأديان: اليهودية، أحمد شلبي، ص 46.

3 - مقارنة الأديان: اليهودية، أحمد شلبي، ص 46. (انظر أيضا: الملة والنحلة، حمدي عبد العال، ص 22 و 23. - انظر أيضا: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان بن عبد الحميد فتاح، ص 21).

4 - مقارنة الأديان: اليهودية، شلبي، ص 46.

وقد قالوا أنهم يهود، والاشتقاق اللغوي لكلمة "يهود" تأتي من: " هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ﴾¹ أي رجعنا وتضرعنا".²

"والهود: التوبة، هاد، يهود، هودا، وتهود تاب إلى الحق، فهو هائد، وفي التنزيل: ﴿إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ﴾، أي رجعنا إليك. وسميت اليهود يهودا اشتقاقا من هادوا، أي تابوا.³

وهذه التسمية من هذا الاشتقاق تنطبق إلى حد كبير على سيرة اليهود، الواردة في أسفارهم الدينية، فقد عرفوا بكثرة تمردهم وعصيانهم لأنبيائهم إلى حد قتلهم، ثم توبتهم، ثم تمردهم، ثم توبتهم، حيث أنهم ارتدوا ثمان مرات منذ خروجهم من مصر بقيادة موسى عليه السلام وحتى دخولهم فلسطين على يد شاول، وأكثر هذه المرات كانت في حياة موسى عليه السلام، وهذا ما يعتبر ظاهرة نفسية تحكم سلوك اليهود على امتداد تاريخهم الديني كله.⁴

وبعيدا عن الاشتقاق اللغوي هناك من يذهب إلى أن اليهودية نسبة إلى "يهودا" أحد أبناء يعقوب عليه السلام، لأن سبط يهوذا كان له شأن كبير في تاريخ اليهود وهو الذي أسس أقوى دولة لهم في فلسطين. وسميت بعد ذلك "مملكة يهوذا" باسمه⁵.

1 - سورة الأعراف، الآية 156.

2 - الملل والنحل، الشهرستاني، تخريج محمد فتح الله بدران، الطبعة الثانية 1956 م، مكتبة الأنجلو العربي القاهرة، الجزء الأول، ص 192.

3 - لسان العرب، ابن منظور الجزء 3، ص 459، مادة هود.

4 - الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام، حمدي عبد العال، ص 19.

5 - اليهودية عرض تاريخي، عرفان فتاح، ص 22. (انظر أيضا: الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام، ص20).

وهذا الاحتمال لا مبرر له، لأن الأسباط كانوا بعد موسى عليه السلام بما يزيد عن ثمانية قرون¹.

وهناك أيضا من يرى أنها تسمية متأخرة، سماهم بها الفرس عندما احتلوا فلسطين وبلاد بابل في عهد "قورش" ملك الفرس سنة 538 ق.م فسقطت مملكتي إسرائيل ويهوذا، وأطلق الفرس على بني اسرائيل اسم يهود وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية. فأصبحت كلمة "يهود" تعني من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بني اسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي².

ولقب (بنو إسرائيل) هو اللقب الذي أطلقه القرآن وكذلك التوراة كثيرا على اليهود، كما أنه اللقب الذي يعتز به الإسرائيليون كثيرا، لأنه يؤكد نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام، والنسب من الأمور الهامة عندهم، ولهذا نجد أسفارهم مغرمة بذكر أنسابهم ولا تمل تكرارها³. ومن ثم فإن (الإسرائيلية) ليست انتماء دينيا عقديا، وإنما انتماء لنسب من جهة يعقوب عليه السلام، الذي أعطي هذا اللقب على شكل مباركة من الرب كما ورد في سفر التكوين: " وترأى الله ليعقوب أيضا، بعدما رجع من فدان أرام، فباركه. وقال له الله: اسمك يعقوب، لن تسمى بعد اليوم يعقوب، بل إسرائيل ليكون اسمك، فسماه إسرائيل"⁴. والاسم من مقطعين: إسرا: عبد، وإيل: الإله، ومعناه، عبد الإله. لكن هذا الانتساب

1 - البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، ص 21.

2 - مقارنة الأديان: اليهودية، أحمد شلبي، ص 86.

3 - الملة والنحلة في اليهودية - المسيحية - الإسلام ، حمدي عبد العال، ص 20.

4 - سفر التكوين الإصحاح 32: 29.

ليعقوب (إسرائيل) عليه السلام غير سليم، لأن يهود العالم ليسوا كلهم من نسل يعقوب¹.
وأما نسبهم لإبراهيم عليه السلام فتذكره التوراة بتفصيل، ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذ زوجة تدعى سارة ولدت له إسحاق عليه السلام، وأمة تدعى هاجر المصرية، ولدت له اسماعيل عليه السلام. وكانت زوجة إسحاق عليه السلام تدعى "رفقة" التي أنجبت له توأمين: الأول منهما يدعى عيسو وأصبح بكر أبيه، وخرج الثاني ويده قابضة بعقب عيسو فدعوه يعقوب وهو المسمى إسرائيل. ومن هنا سمي أبناؤه بني إسرائيل².

ومن خلال ما سبق نجد أن اسم اليهود أشمل من بني إسرائيل لأنه يطلق على كل الذين اعتقدوا الديانة اليهودية من بني إسرائيل وغيرهم، في حين أن بني إسرائيل هم ذرية يعقوب عليه السلام وقد يكون منهم اليهودي والنصراني وسواهم³.
وأيا كان منشأ هذه الألقاب التي عرفوا بها، فهي كلها تسميات وضعية اصطلاحية خص بها أتباع موسى عليه السلام.

ب. النشأة والتطور التاريخي لليهودية

التاريخ التوراتي، هو قصص تاريخي ورد في العهد القديم (التوراة)، وتاريخ العبرانيين كما ورد في التوراة، يختلف عن التاريخ الفعلي ويتناقض معه أحيانا. فهو جزء من الرؤية الدينية اليهودية فحسب¹.

1 - البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، ص 20 و 21.
2 - الملة والنحلة في اليهودية - المسيحية - الإسلام، حمدي عبد العال، ص 20.
3 - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله الفقاري وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1414هـ / 1992م، ص 19.

كانت لليهود سياسات وتصرفات وأفكار أثرت إلى درجة كبيرة في مجرى التاريخ العام للعالم، وهذا ما دفع الباحثين لدراسة هذه الديانة لكشف الحقائق والأساطير التي اشتملت عليها أسفارهم المقدسة، وما أضافوه من كتابات إلى هذه الأسفار حظيت بنفس القداسة. ولقد احتوت أسفار العهد القديم على تاريخ بني إسرائيل، الذي يرجع نسبهم إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لذلك فقد حرص كتاب اليهود على تحديد البداية لنشأتهم بنزوح سيدنا إبراهيم إلى أرض كنعان (فلسطين).² إلا أن هذا يظهر بعض التناقض الذي يسود إصحاحات العهد القديم في حديثها عن إبراهيم عليه السلام.³ حيث جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين: "وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كتنه امرأة إبراهيم ابنه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى

1 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة 2006م، المجلد الأول، ص 369.

2 - المدخل في تاريخ الأديان، سعيد مراد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم - مصر، ص 211. (انظر أيضا: رد على اليهود، ندره البازجي، دمشق، طبعة 1984م، ص 44. و: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان بن عبد الحميد فتاح، دار البيارق بيروت - لبنان، دار عمار، عمان، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالا لامبر - ماليزيا، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م، ص 21.)

3 - المدخل في تاريخ الأديان، محمد علي البار، ص 211.

حاران¹ وأقاموا هناك. وكانت أيام تارح هناك مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران².

وهذا يعني أن الذي فكر في الذهاب إلى أرض كنعان هو تارح أبو إبراهيم³.

ويبدأ تاريخ اليهود حسب التأريخ التوراتي من إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

عليهم السلام، الذي نشأ وعاش في أرض كنعان (فلسطين). ثم قصة يوسف عليه السلام

الذي انتقل إليه إسرائيل وبنيه ليعيشوا في مصر معززين مكرمين في عهد الهكسوس

(ملوك الرعاة الذين استولوا على مصر ما بين 1580 و1730 ق.م) بعد أن أصاب

أرض كنعان القحط والجفاف، إلا أنه بعد وفاة يعقوب ويوسف عليهما السلام، وطرد

الهكسوس، اضطهدوا واستعبدوا من طرف فرعون مصر، فأرسل الله تعالى موسى وهارون

لبني إسرائيل، فأخرجوهم إلى سيناء مصر ليواصلوا حياتهم بعيدا عن استبداد الفرعون.

وتقدر الفترة بين دخول يعقوب وبنيه مصر وخروجهم منها حوالي 400 سنة. وحينما

وصلوا إلى صحراء سيناء ذهب موسى لميقات ربه في جبل طور سيناء، فاستبطؤوا

رجوعه ورجعوا إلى ما ألفوه من الوثنية بمصر فعبدوا العجل. ثم حكم الله عليهم بالتية

أربعين سنة في صحراء سيناء، وأثناء فترة التية هاته توفي هارون وبعده موسى عليهما

السلام، فبدأ يتكون هذا الشعب من مختلف القبائل السامية المجاورة وبعض المصريين

1 - حاران التوراتية أو فدان آرام، مدينة لا تزال باسمها القديم وتقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية، على منابع نهر البليخ، أحد روافد الفرات العليا، على بعد حوالي 40 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة أورفة الحالية، فتحت في عهد الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: اليهودية عرض تاريخي، ص 21.

2 - العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح 11: 31 و32، دار الكتاب المقدس، القاهرة.

3 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 211.

الهاريين من بطش فرعون، وبدأ التفاعل والاحتكاك بين هذه العناصر التي أخذت تصوغ رويدا رويدا دينا لها متأثرا بديانات الشرق القديم¹.

بعد وفاة موسى عليه السلام اتخذ بنوا إسرائيل يوشع (أو يشوع) بن نون نبيا لهم، ولما انقضت مدة التيه خرج بهم إلى بيت المقدس فحاصرها ودخلها. وبعد وفاته حوالي 1157 ق.م، انقطعت القيادة الجماعية لبني إسرائيل وتفرقت الأسباط إلى مجموعات فغزتهم القوات الكنعانية. وفي هذه الفترة التي عرفت بعهد القضاة، ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله، وعبدوا الأوثان مثل البعل وعشتاروت وملكوم وشيدوا لها المعابد، وقدموا القرابين من أبنائهم. متأثرين في ذلك بالكنعانيين، حيث أخذوا لغتهم وتعلموا منهم الكتابة وعبدوا آلهتهم². وتميزت هذه الحقبة بتقسيم الأرض المفتوحة بين الأسباط، ولم تتألف من بني إسرائيل أمة موحدة متماسكة³.

1 - موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمان قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 107، ص 246-247 (انظر أيضا: مقارنة الأديان: اليهودية، شلبي، ص 55. والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، علي البار، ص 56. والتوراة... هيروغليفية الأصل، فؤاد حسنين علي، ص 5. والمدخل في تاريخ الأديان، يعيد مراد، ص من 211 إلى 221. والملة والنحلة في اليهودية والمسيحية والإسلام، حمدي عبد العال، ص من 25 إلى 40).

2 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق ص 72. انظر كذلك: العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم، ألفت محمد جلال، مكتبة سعيد رأفت، طبعة 1974م، ص 8 و ص 9.

3 - اليهودية، أحمد شلبي، ص 72.

بعد انتهاء عصر القضاة حوالي 1040 ق.م، أتى عصر الملوك، وهو عصر جديد في الحضارة والملك بدأ على يد المصلح شأوول¹ (طالوت) الذي حارب الكنعانيين وقتل ملكهم جالوت، فكان له أثر واضح في التحول من القبلية المفككة إلى إقامة ملكية متحدة على أرض كنعان. وقد وردت قصته في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾². ثم أتى بعده داود وابنه سليمان عليهما السلام، وفي عهدهما بلغت الأمة ذروة المجد والمدنية، قال عز وجل: ﴿وقتل داود جالوت وعاتنه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾³، وانتهت هذه الفترة بوفاة نبي الله سليمان عليه السلام حوالي عام 935 ق.م.⁴ وبعده انقسمت المملكة العبرانية المتحدة إلى دولتين: المملكة الشمالية (يسرائيل) وعاصمتها السامرة، والمملكة الجنوبية (يهودا) وعاصمتها القدس.⁵

الموقع الاستراتيجي لمملكة الشمال جعلها مطمعا للقوى المجاورة وخاصة الآشوريين، الذين استولوا عليها وحولوها إلى مقاطعة آشورية. فأصبحت المملكة الجنوبية معرضة

1 - شأوول، أول ملوك بني إسرائيل من قبيلة بنيامين، وقد تم تتويجه ملكا في " الجالجال " حوالي سنة 1090 ق.م. ولم يرث الحكم أحد من أسرته. (الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، طبعة 1981م. ص 43. انظر أيضا: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، المجلد الأول، ص 413).

2 - سورة البقرة، الآية 245.

3 - سورة البقرة الآية 249.

4 - العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم، ص 9.

5 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المجلد الأول، ص 414.

بشكل مباشر كذلك لسيطرة النفوذ الآشوري والبابلي عليها. وبعد سقوط المملكة الجنوبية في يد البابليين، تعرض العبرانيون إلى السبي والنفى على يد الآشوريين والبابليين،¹ فكان التهجير (السبي) الآشوري حوالي 721 ق.م، والتهجير أو السبي البابلي حوالي 587 ق.م، ثم فرضت عليهم الهيمنة الفارسية واليونانية والرومانية، بعد ذلك بدأ انتشار الجماعات اليهودية بعيدا عن كنعان.²

مما سبق نجد أن اليهودية مرت كنسق ديني، بمراحل تطور تاريخية طويلة، متعددة ومتناقضة. ولهذا فهي تأخذ شكل تركيب جيولوجي تراكمت داخله عدة طبقات تتعايش جنبا إلى جنب، أو الواحدة فوق الأخرى.³

ج . مصادر التشريع في الديانة اليهودية:

1) التوراة

أ - مفهوم التوراة لغة واصطلاحاً:

-
- 1 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، المجلد الأول، ص 414.
 - 2 - المصدر نفسه، المجلد الأول، ص 395.
 - 3 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس: اليهودية المفاهيم والفرق، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص 83.

* التوراة لغة: (Torah): قانون، مبدأ، عقيدة، شريعة موسى، أسفار موسى الخمسة:

الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، نواميس، تعاليم، نظرية، علم.¹
والتوراة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس.² وقيل إنها كلمة آرامية تعني الهداية والإرشاد.³ وقد تكون مشتقة من الكلمة الآرامية تورا (Torah – Tora) أي ثور، إذ كان للثور تاريخ عظيم ومقدس في عبادات الشرق القديم، ومن خلال التوراة نجد أن الثور قد وجد طريقه في العبادات العبرية.⁴

وجاء في لسان العرب أن كلمة " التوراة " ذات أصل عربي ومصدرها: وري، والوراء هو ولد الولد، والواري هو السمين من كل شيء، ووريت النار تورية إذا استخرجتها، واستوريت فلانا رأيا أي سألته أن يستخرج لي رأيا، ووريت الشيء وواريته أخفيته، ووريت الخبر أوريه تورية، إذا سترته وأظهرت غيره.⁵

إلا أن هناك من يرى أن لفظة التوراة ليست عربية، بل عبرية، حيث أن كلمة (توراة: Torah) في العهد القديم تعني: "ألقى القرعة" و"رمى السهام" و"دل" و"أوصى" و"علم".

1 - قاموس عبري عربي، يحزقييل قوجمان، دار الجيل بيروت، مكتبة المحتسب عمان الأردن، د.ط، ص 1002.

2 - دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1997، ص 65.

3 - نقد النص التوراتي، اسماعيل ناصر الصمادي، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية دمشق، الطبعة الأولى 2005، ص 81.

4 - هفوات التوراة، حنا حنا، النايا للدراسات والنشر والتوزيع سورية، طبعة 2008، ص 125.

5 - لسان العرب، المجلد الخامس عشر، طبعة 2004، ص 200-201. مادة: وري.

ومن ذلك جاءت التوراة بمعنى: المعلم والتعاليم، والحكمة والوصية، والشريعة، والناموس والهداية والإرشاد.¹

* وفي الاصطلاح عند اليهود يراد بكلمة "التوراة" الأسفار الخمسة التي يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده. وهذه الأسفار الخمسة لم تعرف بأسمائها الحالية منذ القدم، حيث أطلقوا عليها قديماً أسماء خاصة لا تشير إلى محتوياتها عامة، بل هي عبارة عن الألفاظ التي يبدأ بها كل سفر من هذه الأسفار. فالسفر الأول يبدأ بلفظ "בְּרֵאשִׁית" "بروشيت"، وتعني: "في البدء"، والثاني "הַאֱלֹהִים שְׁמוֹת" "وأل شموت"، وتعني: "هذه الأسماء"، والثالث "הִקְרָא" "ويقرأ"، وتعني: "ودعا"، والرابع "בְּמִדְבָּר" "بمدبر"، وتعني: "برية"، والخامس "אֱלֹהֵי הַזְּבָרִים" "الا هديريم"، وتعني: "هذه كلمات". ويسمونها: "حمشة حومشي موشي" وتعني: أسفار موسى الخمسة.²

وقد اعتمدت بعض فرق اليهود في أسفارهم تسعة وثلاثين سفراً، أطلق عليها في العصور المسيحية اسم "العهد القديم" للترقية بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم "العهد الجديد". واعتبروا هذه الأسفار أسفاراً مقدسة أي موحى بها.³

1 - التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبيّة لليهود، حامد عيدان حمد الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2007، ص 87 - 88.

2 - التوراة هيروغليفية الأصل، فؤاد حسنين علي، دار بيبليون باريس، طبعة 2005، ص 39.

3 - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1964، ص 13.

* والتوراة في اصطلاح النصارى هي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام والكتب الملحقة بها، وتسمى عندهم العهد القديم.¹ ولعل بولس الرسول هو أول من أطلق في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عبارة "العهد القديم" على المجموعة التي تتكون منها أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتابات المقدسة.²

* أما في اصطلاح المسلمين فهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى نورا وهدى لبني إسرائيل وألقاه إليه مكتوبا في الألواح.³

ويطلق على كتب العهدين اصطلاحا لفظة "أسفار"، وقد اعتبرت كتبا مقدسة، أي موحى بها، أما كلمة "العهد" في التسميتين العهد القديم والعهد الجديد فتعني "الميثاق"، بمعنى أن هذه الكتابات ميثاق أخذه الله على البشر وارتبطوا به مع الله، فكان العهد القديم ميثاق العقيدة اليهودية، بينما أصبح العهد الجديد ميثاق العقيدة المسيحية.⁴

ويقسم العهد القديم عدة تقسيمات تختلف باختلاف الكنائس، فاليهود يعترفون بـ 23 سفرا، وبعض فرق اليهود مثل السامريين والصدوقيين لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة. والنصارى البروتستانت يعترفون بـ 39 سفرا، أما الكاثوليك فيعترفون بـ 46 سفرا. ويتفق

1 - الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية 1407 هـ ، ص 14 .

2 - التوراة هيروغليفية الأصل، فؤاد حسنين علي، ص 9.

3 - الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، ص 14.

4 - إسرائيل التوراة... التاريخ... التضليل، سيد القمني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، طبعة 1998م، ص 18.

الجميع على الاعتراف بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام (رغم أن سفر

التثنية يذكر وفاة موسى وأين دفن) ويطلق على هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة.¹

وتقسم أسفار العهد القديم كما هي معتمدة لدى الكنيسة البروتستانتية، إلى ثلاثة أقسام وهي كالتالي:²

(1) التوراة: وتشمل خمسة أسفار وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

(2) أسفار الأنبياء: وهي نوعان: أسفار الأنبياء المتقدمين وهي: يشوع (يوشع بن

نون)، القضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.

وأسفار الأنبياء المتأخرين: إشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونا (يونس)، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

(3) الكتابات (أو أسفار الشعر والحكمة)³ وتتكون من: الكتب العظيمة وهي:

المزامير (الزبور)، الأمثال (أمثال سليمان)، أيوب. والمجلات الخمس وهي: نشيد الأناشيد،

راعوث، المراثي (مراثي إرميا)، الجامعة، أستير. والكتب وهي: دانيال، عزرا، نحميا،

أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

1 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ار القلم للطبعة والنشر والتوزيع دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ، 1990م، ص 12.

2 - مقارنة الأديان ج1، اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثامنة 1988م، ص 12.

3 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص 161.

أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى إلى ما سبق ذكره وهي: طوبيا، يهوديت، الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابيين الأول، المكابيين الثاني. وبذلك يكون عدد الأسفار التي تعترف بها هو 46 سفرا تتدرج تحت خمسة أقسام هي¹:

القسم الأول: أسفار موسى الخمسة (التوراة) التي تتضمن شريعته.

القسم الثاني: الأسفار التاريخية، وهي 16 سفرا كالتالي: يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، طوبيا، أستير، يهوديت، المكابيين الأول والثاني.

القسم الثالث: الأسفار الشعرية وعددها ستة أسفار وهي: أيوب، المزمير، أسفار سليمان الثلاثة: الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد، مرثي إرميا.

القسم الرابع: الأسفار النبوية، وعددها 17 سفرا وهي: إشعيا، إرميا، باروخ، حزقيال، دنيال، هوشع، يوثيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

القسم الخامس: الأسفار التعليمية، وهي سفران: سفر الحكمة، ويسوع بن سيراخ.

وقد عرفت التوراة بالأصل، بالكتاب الذي يتضمن الأسفار الخمسة فقط، غير أن العبرانيين أضافوا إليها الأسفار التي تركها بعض أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى. والتوراة العبرانية هذه تبناها البروتستانت، وهي أكثر النسخ انتشارا في العالم المسيحي، أما

1 - مقارنة الأديان، اليهودية، شلبي، ص 231 - 232. انظر أيضا: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص 162.

السامريون فقد رفضوا جميع هذه الأسفار، معترفين فقط بالأسفار الموسوية الخمسة، لإيمانهم بأن الشريعة الموسوية منعت أن يقوم بعد موسى نبي.¹

وفي تعريف لكتب التوراة أي الأسفار الخمسة نجد أنها هي²:

- (1) سفر التكوين Genése: ويسمى بالعبرية (براشيت) أي في البدء، نسبة إلى الكلمة التي يبتدئ بها، حيث بدأه الكاتب بقوله: "في البدء خلق الله السماوات والأرض". ويقص هذا السفر تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض، إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط.³
- (2) سفر الخروج Exode: ويسمى بالعبرية (واله شموت) أي أسماء. ويعرض هذا السفر تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى عليه السلام وخروجه معهم، ثم مرحلة التيه التي قضوها في صحراء سينا مدة أربعين عاما، كما يشتمل على أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وما إلى ذلك.⁴

1 - التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1987م، ص 11.
2 - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى 1964م، ص 13 - 14. انظر أيضا مقارنة الأديان، اليهودية، ص 233 - 234 - 235.
3 - انظر أيضا نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السامرية - العبرانية - اليونانية، أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ / 1995م، ص 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 41 .
4 - انظر أيضا نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السامرية - العبرانية - اليونانية، أحمد حجازي السقا، من ص 41 إلى ص 49.

(3) سفر اللاويين Lévitiques: ويسمى في العبرية (ويقرأ) أي: ودعا. واللاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب عليه السلام ولاوي ينطق في بعض اللغات (ليني). وقد شغل هذا السفر بكل ما يتعلق بالأضحية والقربان والنذور والمحرمات من الحيوانات والطيور. كما تحدث أيضا عن الأعياد المقدسة.¹

(4) سفر العدد Nombre: اسمه في العبرية (بمدبر) أي: برية. وقد اهتم بإحصائيات بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، وبعض العبادات والمعاملات والأنفال والغنائم. كما تحدث عن قصة قارون وموسى². ويضم أيضا توجيهات حوادث حدثت بعد الخروج.³

(5) سفر التثنية Deuteronomie: اسمه في العبرية (هد بريم) أي هذا هو الكلام. وفيه تشريعات وأحكام لم تذكر في الأسفار السابقة والخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات، كما تحدث عن نبوءات عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.⁴ إضافة إلى تكرير الشريعة وإعادة الأوامر والنواهي لليهود. وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام ومكان قبره.⁵

والتوراة السامرية والعبرانية، كانتا بالأصل تورا واحدة كتبها عزرا في مدينة بابل بدءا من سنة 586 ق.م، وعلى إثر اختلاف الأسباط، عمد كتبة التوراة إلى التغيير والتبديل في هذا

1 - انظر أيضا نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السقا، ص 49 - 50.

2 - المرجع نفسه، من ص 51 إلى ص 54.

3 - دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف سعود بن عبد العزيز، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1997م، ص 65.

4 - انظر أيضا: نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السقا، ص 54 - 55 - 56.

5 - دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف سعود بن عبد العزيز، ص 65 - 66.

الكتاب. أما التوراة السامرية فقد بقيت في الخفاء لمدة 2564 سنة تقريبا¹. ويتجلى الفرق بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية في اختلاف متن بعض الآيات الواردة في الأسفار الخمسة، مثلا: في سفر التكوين (1: 2) في التوراة السامرية نجد: "ورياح الله هابة على وجه الماء" أما في العبرانية "روح الله". وفي الآية 27 في العبرانية: "فخلق الله الإنسان على صورته" أما في السامرية: "خلق الله الإنسان بقدرته بصورة الملائكة". وهناك اختلافات أخرى في باقي إصحاحات هذا السفر. وفي الأسفار الأخرى².

وفي تحديد الأصل اللغوي الذي كتبت به التوراة هناك اتجاهان: ذهب الأول إلى أن أسفارها دونت باللغة العبرية، ولا يستثنى من ذلك إلا أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية³. ويتمثل هذا الاتجاه أحبار اليهود والنصارى وعلماء اللاهوت، الذين كانوا يعتقدون، أن التوراة كتبها موسى عليه السلام بوحي من الله، وأن سفر يشوع كتبه يشوع بن نون تلميذ موسى ووارث علمه بوحي من الله أيضا، وأن كتب الأنبياء قد كتبها الأنبياء باللغة العبرية، وبعضها بالآرامية، ثم ترجمت في عهد بطليموس الثاني (285 - 246 ق.م) إلى اليونانية على يد يهود الإسكندرية، وعرفت باسم الترجمة السبعينية⁴.

1 - التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، ص14.

2 - المرجع نفسه، ص من 23 إلى 35.

3 - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص19.

4 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم، الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى 1990 م،

بينما ذهب الاتجاه الثاني إلى أن توراة موسى هيروغليفية الأصل (مصرية هيروغليفية) وليست عبرية، استنادا إلى دراسات لغوية ولاهوتية، أكدت أن اللغة العبرية لم تعرف بهذا الإسم في التوراة، بل جاءت تحت اسم الكنعانية أو اليهودية (سفر إشعيا(2)، وسفر الملوك الثاني(3)). وأنها ليست اللغة التي كلم الله بها موسى، لأن تاريخ ظهورها يرجع إلى ما بعد 1100 ق.م. فاللغة العبرية هي اللغة السامية الوحيدة التي لم تلازم الناطقين بها منذ ظهورهم في التاريخ، لأن الإسرائيليين لم يعرفوا باسم العبرانيين إلا بعد استيطانهم كنعان ومخالطتهم الكنعانيين. إضافة إلى أن موسى لم يعرف اللغة العبرية طيلة حياته، فهو عاش وتوفي قبل تواجدها، وكما تذكر المصادر اليهودية فهو ولد ونشأ في مصر، وتثقف ثقافتها وتكلم المصرية شأنه شأن سائر الإسرائيليين المقيمين في مصر، وإن كانوا لم يتكلموا المصرية فإنهم لم يتكلموا العبرية بل الآرامية¹، كما أن الإله "يهوه" تجلى لموسى وكلمه في سيناء المصرية، ولا شك أن لغة المتخاطبين كانت المصرية القديمة وليست العبرية التي لم تكن قد ظهرت بعد².

وفيما يتعلق بمصادر التوراة، فقد ذكر بعض المؤرخين ونقاد العهد القديم أن هناك أربعة مصادر أساسية للتوراة تصاحبها اختلافات بسيطة وبيانها كالتالي:

1 - الكتاب المقدس، سفر التكوين الإصحاح (31: 20-24-48)

2 - التوراة...هيروغليفية الأصل: بحث علمي تاريخي في الأصول الفرعونية للتوراة، فؤاد حسنين علي، دار بيبليون باريس، طبعة 2005م، ص3و4و5و57و58. انظر أيضا: التوراة البابلية، سهيل قاشا، الفرات للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 2003م، ص24.

• المصدر اليهودي: Jahwist¹

يستخدم هذا المصدر اللفظ "يهوه" للدلالة على الألوهية، ويصور فيه المؤرخ اليهودي الرب يهوه إلها خاصا لشعبه المختار بني إسرائيل ليتمكنه من الاستقرار. وهذا المصدر هو الذي خلق فكرة أرض إسرائيل كمصطلح مفضل يطلق على أرض كنعان، ويركز على الوعد الذي أعطي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، والذي سينجز عند تكوين الشعب الإسرائيلي من نسل أبناء يعقوب الإثني عشر، وباستمرار هذا الشعب في كنعان وإنشاء مملكة داود². وكان اسم "يهوه" شائعا في مملكة الجنوب يهوذا في القرن التاسع ق.م (حوالي 850 ق.م). ويتحدث هذا النص عن بدء الخليقة وأصل العالم ثم قصة خلق آدم، وقصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه إلى موت يعقوب. كما يظهر الله بصورة مجسمة وبشرية، حيث نجد في (التكوين 3: 8) "فسمعا وقع خطى الرب الإله وهو يتمشى في الجنة"، وظهور الرب بصورة إنسان ليعقوب، الذي قام بمعاركة الرب³. والتقليد "اليهودي"، هو تقليد قصصي صرف يتميز بروعة الإيجاز وقوة العبارة، مع بعض الاختلاف في الأسلوب، مما جعل المتخصصين في النقد النصي للتوراة يفرقون بين أكثر

1 - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي سبتينو، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ص 157. انظر أيضا: التوراة هيروغليفية الأصل، فؤاد حسنين علي، ص: 46 - 47.

2 - علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، طبعة 1998م، ص 27-28.

3 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص 134. انظر أيضا: مصادر التوراة الحالية، علي سري محمود المدرس، الأكاديميون للنشر والتوزيع عمان -الأردن، الطبعة الأولى 1435هـ/ 2014م، ص 40 و 41.

من تقليد "يهوي" واحد¹. كما يتميز بأنه تصويري وغني بالاستعارات ويكاد يكون مليئاً بالأساطير، ومتأثراً بالقصص الشعبي. ويسمى هذا النص أحياناً باسم النص العبري².

• المصدر الإلهيمي: Elohist³

هذا المصدر استخدم لفظ "إلهيم" للدلالة على الألوهية، ويرى بعض النقاد أن هذا المصدر له الرغبة في طمس الأفكار اليهودية وإحلال بدائل ألوهيمية لها⁴. وكانت التسمية "إلهيم" شائعة في مملكة الشمال (إسرائيل) التي عاصمتها السامرة، وقد كتبت هذه الوثيقة الإلهيمية بعد الوثيقة اليهودية في القرن الثامن ق.م، (حوالي سنة 770 ق.م). وكان موضوعها الأحداث الخاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف. أما أسلوبها فأكثر اعتدالاً، ولا تظهر الرب في صورة بشرية مجسمة. وهذا المصدر أشد إبرازاً للبعد القائم بين الله والإنسان، ويركز على الاهتمامات الأخلاقية⁵. وقد تم دمج المصدرين "اليهوي" و"الإلهيمي" في مجموعة واحدة في القرن السابع ق.م (حوالي 650 ق.م)⁶.

• المصدر التثوي (سفر التثنية) : Deuteronomy

-
- 1 - خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، كمال الصليبي، الطبعة 4، 1998م، دار الساقى بيروت، ص5. انظر أيضاً: مصادر التوراة الحالية، ص 39.
 - 2 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص134. انظر أيضاً: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، اليهودية: المفاهيم والفرق، عبد الوهاب المسيري، المجلد الخامس، ص 103.
 - 3 - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي سبتينو، ص 157.
 - 4 - علاقة الاسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، محمد خليفة حسن أحمد، ص 23. انظر أيضاً: مصادر التوراة الحالية، ص 40.
 - 5 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص 134.
 - 6 - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي سبتينو، ص 157.

تم العثور عليه زمن حكم الملك "يوشياهو" ملك يهوذا عام 622 ق.م على يد الكاهن حلقيا أثناء تجديد بناء الهيكل.¹ وهذا السفر يكرر الشرائع والقوانين، وكان أساسا للإصلاح الديني الذي قام به الملك "يوشياهو"، وقد اختلف في تحديد زمن كتابته على وجه الدقة، فهناك من يرى أنه كتب في القرن الثامن ق.م، بينما يرى البعض الآخر أنه كتب في القرن السابع ق.م. ويتميز النص التثوي بالإنشاء الخطابي².

• المصدر الكهنوتي: Priestly³

وهو مجموعة من الكتابات تعنى بالكهنوت وطقوس العبادة خاصة في الفترة الممتدة بين بدء الخليقة وموت موسى. وهو الأساس الذي تقوم عليه الأسفار الخمسة، وتبدأ عادة بأيام الخليقة الستة وتنتهي بعبارة "هذا أصل السماوات والأرض".⁴ لكن الموضوع الأساسي لهذا المصدر هو العهد مع نوح ومع إبراهيم، الذي يقوي العهد مع موسى ومع داود، عليهم السلام. ويعود هذا المصدر إلى زمن النبي حزقيال، الذي عاش خلال فترة السبي البابلي في القرن السادس ق.م، حيث ذكر المسبيين بسابقة جيل الصحراء، والنجاة من مصر، وكرر ذكر الوعد الذي قطعه الرب لإبراهيم بإعطائهم أرض كنعان ملكا

1 - علاقة الاسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، محمد خليفة حسن أحمد، ص31.

2 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص135. انظر أيضا: مصادر التوراة الحالية، ص من 88 إلى ص 90.

3 - الحضارات السامية القديمة، موسكاتي سبتينو، ص 157. انظر أيضا: مصادر التوراة الحالية، ص من 91 إلى 110.

4 - التوراة...هبروغليفية الأصل، فؤاد حسنين علي، ص47.

أبدياً¹. ويعتبر هذا المصدر آخر مصادر التوراة من ناحية الظهور الزمني، ويدل على ذلك أسلوبه الأدبي ولغته ومضامينه الدينية². إلا أن هناك يقول: " إن تاريخ المصدر الكهنوتي كان قبل زمن عزرا، أي قبل النفي الأول إلى بابل (598 ق.م)، أما خلال هذا النفي فقد تنبأ حزقيال، ولم يحرر سفر حزقيال نبي المنفى في شكله الحاضر من الكتبة الذين حملوا ميراثه إلا بعد موته. وهؤلاء الكتبة هم الذين نشروا في طبعة ثالثة مسماة (كهنوتية) سفر التكوين في الجزء الممتد من الخلق حتى موت يعقوب عليه السلام. وبعد انتهاء النفي البابلي سنة (538 ق.م)، عاد اليهود إلى فلسطين، وأعادوا بناء الهيكل، وعاد نشاط النبوة، فكان منها كتب بعض الأنبياء المتأخرين"³.

جمعت هذه النصوص المختلفة في كتاب واحد سمي "التوراة" أو أسفار موسى الخمسة في عصور متأخرة جدا تصل إلى ما بعد ظهور السيد المسيح عليه السلام⁴. فكانت التوراة تاريخ، ومذكرات أمم وشعوب عن كل ما قامو به من أعمال. كما أنها سجل عائلي لإبراهيم ونسله، طوال ما يقارب من ألفي سنة⁵.

1 - خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، كمال الصليبي، ص12-13.

2 - علاقة الاسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، محمد خليفة حسن أحمد، ص29.

3- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الاسلامي بيروت، الطبعة الثالثة 1411هـ 1990م، ص29-30.

4 - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ص135.

5 - التوراة البابلية، سهيل قاشا، الفرات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2003م، ص 16.

ومما سبق ذكره نجد أن التوراة ليست كتابا واحدا بل هي سلسلة من الكتب، كتبها عدد من الكتاب في أزمنة متباينة. وإضافة إلى كونها كتابا دينيا بالأساس، فقد تناولت أبحاثا في التاريخ، وقصة خلق العالم، وشعرا، وأساليب أخرى للكتابة.

2 - التلمود:

يحتل التلمود المكان الأسمى كأحد مصادر العقائد والأفكار عند اليهود، وقد يفضلونه على التوراة نفسها أو العهد القديم، ويتخذونه دستورا للعمل بهدف السيطرة على البشرية، واحتواء الأديان والأمم¹. كما يعد هذا الكتاب جزءا من أحكام الديانة اليهودية، وكلمة "التلمود" تعني: التعاليم أو الشرح أو التفسير. وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا عن أصولها².

ويسمي اليهود العبرانيون التلمود: التوراة الشفاهية، وهو يشتمل على المشنة والجمارة. فالمشنة معناها: تفسير موسى عليه السلام لبعض نصوص التوراة بأحاديث شفاهية، التي ظلت متداولة بين العلماء وعامة الشعب، إلى أن وصلت للربى "يهوذا هناسي" فدونها في ستة مجلدات، وسماها: (شيشه سيدريه مشنه) أي كتب المشنة الستة، وذلك سنة 189م، ثم جاء العلماء من بعده فشرحوا هذه الأحاديث، وسماوا شرحهم: الجمارة، أي التتمة³.

1 - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار الاعتصام، طبعة 1977م، ص 11.
2 - أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة، دار الأمل للنشر والتوزيع، أريد-الأردن، طبعة 2003م، ص 7.
3 - نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص 31. انظر أيضا: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ / 2004م، ص 140. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، ص 33 - 35 - 36.

وقد قام الحاخام "يهوذا هناسي" الذي كان يطلق عليه الحاخام المقدس، بجمع تعاليم ومبادئ الفريسيين¹ في كتاب "المشنة"، بعد ظهور السيد المسيح بمئة وخمسين سنة، أما الغرض من المشنة فهو إيضاح وتفسير ما التبس في شريعة موسى عليه السلام، وتكملة تلك الشريعة حسب ما يدعون².

ف "المشنة" (أو المتن)، هي عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة مع بعض الآيات من التوراة، ويزعم اليهود أن هذه التقاليد والتعاليم الشفاهية ألقاها النبي موسى عليه السلام على شعبه ثم تداولها هارون ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع العلمي الأعلى. و "الجمارا" وهي الشرح، هي مجموع المناظرات والتفاسير التي وضعت بعد الانتهاء من وضع المشنة. والتلمود هو الاسم الجامع للمشنة والجمارا معا.³

• التلمود الأورشليمي، والتلمود البابلي:

يوجد في العالم نسختان متداولتان من التلمود هما:

1 - الفريسيون: حركة يهودية ظهرت لأول مرة قبل ميلاد المسيح بمئتي سنة، ونشطت بعد ظهور المسيح عليه السلام حتى مئتي سنة، وهم يتبعون الحاخام "عزرا" ويعتبرونه أكبر معلم يهودي بعد موسى عليه السلام، وكان الفريسيون متسلطين على الشعب، يحرضونه على اتباع ظواهر شريعة موسى عليه السلام، ويحفظون لأنفسهم كل ما يتصل بها. التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق... ووقائع، ص 11. انظر أيضا: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المجلد 2، ص 120.

2 - التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق... ووقائع، محمد صبري، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى 2011م، ص 11.

3 - أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة، ص 7. وللتعرف على نماذج من المشنة والجمارا، انظر: نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص 31 - 32 - 33.

- 1) التلمود الأورشليمي (أو الفلسطيني): وهو الذي كان موجودا بفلسطين سنة 230م.
 - 2) التلمود البابلي: وهو الذي كتب في بابل سنة 500م، وتلمود بابل هو المتداول بين اليهود العبرانيين، وإذا أطلق كان هو المراد، وهو ستة أقسام: الأول: خاص بالزراعة ويشمل أحكام الصلوات والبركات. والثاني: خاص بالأعياد والسبوت، والثالث: خاص بالنساء عن أحكام الزواج والطلاق. والرابع: خاص بالأضرار وهي أحكام المالية والجنح. والخامس: مقدمات عن القرابين والذبائح. والسادس: عن الطهارة والنجاسة. وطبعت الطبعة الأولى في (نابولي) سنة 1492م، والطبعة الكاملة هي التي طبعت في البندقية.¹
- ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص وهو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغتا التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين آراميتين، التلمود الفلسطيني بالأرامية الغربية، أما التلمود البابلي فلهجته آرامية شرقية، وقد احتوى على بعض المصطلحات اليونانية واللاتينية، وحجمه أكبر من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف، ويطلع عادة باثني عشر جزءاً².
- ويجد بعض النقاد ومنهم عبد الوهاب المسيري في التلمود كثيرا من عبارات السفه والمجون، مثل: " أن يسوع الناصري - عيسى عليه السلام - موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا، وأن الكنائس

1 - نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص 33. انظر أيضا: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المجلد الثاني، ص 33 - 34.

2 - أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص 7 - 8.

النصرانية بمقام قانورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، (...)، العهد مع مسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودي القيام به (...).¹

وبذلك يكون التلمود بجزأيه المشنة والجمارا تراثا شفاهايا يتضمن بعض تقاليد اليهود، ويشرح فيه أحبارهم بعض الأحكام التي جاء بها موسى عليه السلام في التوراة. ويبقى التساؤل مطروحا حول من كتب هذا التلمود؟ وما الغاية من ذلك؟

(4) مفهوم النصرانية:

لم ينقطع الحجاج العقلي مع أهل الكتاب وخاصة النصارى، منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ^ج فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾². واستمرت المناقشات والمحاورات ومازلت، ولا يكاد يخلو عصر من المساجلات الشفوية والمدونة، ومن أشهرها

1 - التلمود شريعة إسرائيل، محمد صبري، ص من 5 إلى 11. انظر أيضا: الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج - إشيل لوران، ترجمة يوسف نصر الله، الطبعة الأولى 1899م، مطبعة المعارف - مصر، ص 11.
2 - سورة آل عمران، الآية 63.

في العصر الحاضر محاورات العالم أحمد ديدات مع رجال الدين النصارى، ومنها محاوراته مع القس الأمريكي سوجارت.¹

أ- التسمية:

النصارى أمة عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته، المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام، والمبشر به في التوراة. سمو بذلك نسبة إلى قرية عيسى عليه السلام التي كان ينزلها، وهي "ناصره". وقيل لتناصرهم فيما بينهم. وقيل لقولهم: "نحن أنصار الله"، جواباً عن قول عيسى: "من أنصاري إلى الله"؟²، في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾³.

ويقول الزمخشري (ت 538هـ): "النصارى: جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة (...). والياء في نصراني للمبالغة، كالتي في أحمرى، وسموا بذلك: لأنهم نصروا المسيح"⁴. وأيما كان الأمر فقد صار الاسم علما عليهم لا ينصرف إلى غيرهم.¹

1 - الإسلام والأديان، محمود حلمي، ص 164.
2 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 409. انظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1387هـ/1967م، الجزء الأول ص 434.
3 - سورة الصف، الآية 14.
4 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر - الفجالة، بدون تاريخ، الجزء الأول، ص 138.

أما مصطلح " المسيحية " الذي اشتهروا به في العصر الحديث فهو مصطلح متأخر أطلقوه على أنفسهم، لأنهم يفضلون أن يسموا به، إمعانا منهم في الانتساب إلى المسيح وتخلصا من مقت المسلمين لاسم " النصارى" الذي جاء ذمه في القرآن والسنة.²

وبالرغم من أن المسيحية انبثقت من أصل يهودي بحث، فإنها ما لبثت أن استقلت عن اليهودية وتحررت من تزمتهما، واتخذت بعدا عالميا لتصبح ما عرف لاحقا بالكنيسة المسيحية، وبفضل بولس وتأثير تعاليمه عدلت الكنيسة نظرتها إلى المسيح لتجعل منه إلهًا من درجة ثانية عوض إنسانا من الدرجة الأولى، وهذا الاعتقاد يتناقض تماما مع وحدانية الله كما يفهمها اليهود، وهكذا وقع الانفصال بين العقيدتين.³

كان عيسى عليه السلام مسيح اليهود المنتظر، ولكن هؤلاء أنكروه وانقلبوا ضده، وافتروا عليه ونددوا به وبوالدته، فوقف القرآن الكريم موقفا صريحا من هذه الافتراءات، فرد إلى المسيح وإلى مريم عليهما السلام اعتبارهما ومكانتهما السامية، وأنب اليهود لما قالوه وما فعلوه.⁴ قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾⁵، وقال سبحانه: ﴿

-
- 1 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 409 .
 - 2 - علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، دار الفضيلة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى 1425 هـ / 2005م، ص 46.
 - 3 - مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، والأديان الوضعية: الهندوسية والجينية والبوذية، طارق خليل السعدي، دار العلوم العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1425 هـ / 2005م، ص 125.
 - 4 - المرجع نفسه، ص 123.
 - 5 - سورة النساء ، الآية 155.

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، وقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ

أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾². وبهذه

الآيات حسم القرآن الكريم الخلاف القائم بين النصارى واليهود فيما يتعلق بمكانة المسيح

وأمه مريم عليهما السلام.

ب - مصادر التشريع في الديانة النصرانية:

قبل الحديث عن الأناجيل الأربعة عند النصارى، لا بأس من شرح العلاقة بينها وبين

التوراة، وموقف كل من اليهود والنصارى منهما.

فاليهود يؤمنون بأن العهد القديم (أو التوراة) وحدها هي كلام الله، ولا يعترفون بالعهد

الجديد. أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة، والعهد الجديد عهد الفضل

والكفارة. وتعليل ذلك أن الأناجيل خلت من الأحكام التشريعية، واعتمادا على الرواية

المنسوبة للمسيح عليه السلام أنه ما جاء لينقض الناموس (أي شريعة موسى) بل ليكمله،

وباستثناء الأمور التي يرى المسيحيون أن الإنجيل قد نسخها من التوراة فإنهم يؤمنون

ببقيتها ويعتبرونها كتابا مقدسا إلهيا لا غنى عنه في التشريع³.

1 - سورة آل عمران، الآية 42.

2 - سورة آل عمران، الآية 45.

3 - تاريخ الإنجيل والكنيسة، أحمد ادريس، دار حراء بمكة المكرمة، طبعة 1987م، ص 61.

لكن المسيحيين رغم تقديسهم للتوراة فإنهم لم يتبعوها، وخرجوا على محرمانها فأحلوها، ولم يلتزموا بحدودها فانتهكوها، ولما عجزوا عن التصرف في نصوصها لأن أصولها ثابتة عند أندادهم اليهود، لجأوا إلى "المجامع" يغيرون بها ما يشاؤون مما نصت عليه التوراة، وعملوا على تأويل نصوصها بما يناسب إنجيلهم محاولين في ذلك إيجاد أدلة على قولهم بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.¹

• التعريف بالإنجيل:

ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين: العهد القديم، والعهد الجديد. أما العهد القديم فقد تم التطرق إلى أسفاره بتفصيل فيما سبق. وأما ما يطلق عليه بكتب العهد الجديد، فيتضمن الإنجيل الأربعة بالإضافة إلى رسائل كتبها عدد من تلاميذ المسيح وأتباعهم. وهي بمجملها سبعة وعشرون سفرا، مقسمة حسب بعض الباحثين إلى ثلاثة أقسام:²

1) الأسفار التاريخية: وتتضمن خمسة أسفار، الإنجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا)، ورسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا. وسميت تاريخية لأنها تحوي قصصا تاريخية. فالإنجيل تحوي قصة عيسى عليه السلام وتاريخه وعظاته ومعجزاته، ورسالة أعمال الرسل تحكي قصة معلمي المسيحية وخاصة بولس.

1 - مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، طارق خليل السعدي، ص 190 - 191 .

2 - مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية، طارق خليل السعدي، ص 191.

(2) الأسفار التعليمية: وتشمل 21 رسالة، كتب منها بولس 14 رسالة، ويكون بالتالي واضح أكثر التشريعات المسيحية.

(3) رؤيا يوحنا: وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا هذا رآها في اليقظة.

إلا أن هناك من يرى أن كتب العهد الجديد قسمان فقط وهي:

القسم الأول: ويتضمن عشرين كتابا وهي: 1- إنجيل متى، 2 - إنجيل مرقس، 3 - إنجيل لوقا، 4 - إنجيل يوحنا. ويقال لهذه الأربعة: الأناجيل الأربعة، ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد، وهذا اللفظ معرب، كان في الأصل اليوناني (انكليون) بمعنى البشارة أو التعليم¹. 5- كتاب أعمال الحواريين (وهو سفر أعمال الرسل)، 6 - رسالة بولس إلى أهل رومية، 7- رسالته إلى أهل كورنثوس، 8- رسالته الثانية إليهم، 9- رسالته إلى أهل غلاطية، 10- رسالته إلى أهل أفسس، 11- رسالته إلى أهل فيلبي، 12- رسالته إلى أهل كولوسي، 13- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي، 14- رسالته الثانية إليهم، 15- رسالته الأولى إلى

1 - الإنجيل كلمة يونانية معربة معناها البشارة بالخير أو الخبر السار الحسن المفرح، وذلك لأن عيسى بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبعد رفع المسيح وضياع الإنجيل الرباني المنزل عليه كتبت أناجيل كثيرة، زادت على المائة فاختارت الكنيسة منها أربعة وهي المقصودة بكلمة الإنجيل عند المسيحيين الآن وهي: إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، وتطلق كلمة الإنجيل مجازا على العهد الجديد المشتمل على هذه الأناجيل الأربعة وعلى الرسائل الملحقة بها، ويطلق المسيحيون الآن على مجموع العهدين القديم والجديد اسم الكتاب المقدس، والإنجيل ليس فيه تشريعات وأحكام، لأن عيسى عليه السلام كان يعمل بشريعة التوراة. (انظر: القاموس الإسلامي، أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 194. وأيضا: قاموس الكتاب المقدس، لائحة من الأساتذة واللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، الطبعة الثانية 1971م، ص 120. وأيضا: لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 11، ص 648.) (انظر تعريف كلمة الإنجيل أيضا في: مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية، ص 191. عن إنجيل متى الإصحاح 26 الفقرة 13.)

تيموثاوس، 16- رسالته الثانية إليه، 17- رسالته إلى تيطس، 18- رسالته إلى فليمون،

19- الرسالة الأولى لبطرس، 20- الرسالة الأولى ليوحنا سوى بعض الفقرات¹.

أما القسم الثاني: فسبعة كتب وفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا: 1- رسالة بولس إلى

الغبرانيين، 2- الرسالة الثانية لبطرس، 3- الرسالة الثانية ليوحنا، 4- الرسالة الثالثة

ليوحنا، 5- رسالة يعقوب، 6- رسالة يهوذا، 7- مشاهدات يوحنا (سفر رؤيا يوحنا).²

وتعتبر الأناجيل في النصرانية، بمكانة القطب والعماد، فهي تشتمل على أخبار المسيح

عليه السلام من وقت الحمل إلى وقت الصلب في اعتقادهم، كما تحكي عن معجزاته،

وما أحاط بولادته من غرائب، وخطبه ومواعظه، ثم أخبار المؤامرة عليه، ومحاكمته

وصلبيه فيما يعتقدون، وقيامته من القبر بعد ثلاث ليال، ثم رفعه إلى السماء بعد أربعين

ليلة، كما تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح والصلب والفداء. وقد كثرت الأناجيل كثرة

عظيمة كما أثبت ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني

الميلادي، أن تحافظ على الأناجيل الصادقة - في اعتقادها- فاخترت هذه الأناجيل

الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك.³ فهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح عليه

السلام، ولم تنزل عليه بوحى، ولكنها كتبت من بعده.

1 - إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص 103 - 104.

2 - إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص 105.

3 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424 هـ /

2004م، ص 167. انظر أيضا: محاضرات في النصرانية، ص 50 - 51.

وفي مناظرة للشيخ أحمد ديدات (ت 2005م) مع أحد قساوسة النصارى الذي أكد أنه يوجد ما يقرب من أربع وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب، من العهد الجديد وحده، وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاما بعد الميلاد، والنسخة الأصلية أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها. فأثبت الشيخ أن ذلك ليس دليلا على أنها من عند الله تعالى، إذ ليس بين هذه المخطوطات اثنان متماثلان باعتراف علماء النصارى أنفسهم، فالإنجيل الذي بين أيديهم ليس إنجيل عيسى عليه السلام المنزل من عند الله، وعندما تتفحص هذه الكتب تجد العبارات المذكورة بنسخة الملك جيمس وهي: " الإنجيل وفقا للقس متى"، " الإنجيل وفقا للقس مرقس"، " الإنجيل وفقا للقس لوقا"، " الإنجيل وفقا للقس يوحنا".¹

وفيما يلي سنتطرق للحديث عن كل إنجيل من هذه الأناجيل الأربعة على حدة.

• إنجيل متى:

يشغل إنجيل متى المكانة الأولى في ترتيب كتب العهد الجديد، لأن هذا الإنجيل ليس إلا امتدادا للعهد القديم. وقد كتبه متى ليعرف بأن عيسى عليه السلام يكمل تاريخ إسرائيل، حيث ذكر فيه مقتبسات من العهد القديم ليظهر أن عيسى عليه السلام هو مسيح اليهود

1 - المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان، بين الشيخ ديدات والقس سوجارت، جمع وترتيب أحمد حجازي السقا، تقديم الشيخ محمد الغزالي، مكتبة زهران بالأزهر، مصر، طبعة 1408هـ/ 1988م، ص 121.

المنتظر.¹ ومتى هذا هو أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، الذين يسميهم المسيحيون رسلا، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح جابيا للضرائب للerman في الجليل بفلسطين، وكان اليهود ينظرون للجباية نظرة ازدراء، لأن العمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة.² وأما عن تاريخ كتابته ومدى صحة نسبه إلى متى، فإن بعض العلماء والنقاد يميلون إلى القول بأن هذا الإنجيل من تأليف أتباع متى، وأكثرهم يرجعون إلى الفترة المحصورة بين عامي 85 و 90 م.³ ويعتمد في ذلك على ما يراه بعض الباحثين أن الجزء الذي ألفه متى الحواري ضاع في زمانه، وأن الإنجيل الحالي لم يصرح مؤلفه فيه باسمه.⁴ وقد كتب متى إنجيله لليهود بالعبرانية، ليبشر بالمسيحية بينهم، وانفرد باستعمال هذا في تحرير العهد الجديد. ويرجح أن ذلك كان في آخر العشرة الرابعة أو الخامسة من ميلاد المسيح. إلا أن أقدم نسخة رائجة كتبت باليونانية، ولم يعرف مترجمها، ولا في أي سنة. والاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية عن أخرى.⁵

1 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، طبع المكتب الإسلامي، طبعة 1411هـ / 1992م، ص 80.

2 - محاضرات في النصرانية تبث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفي فرقهم، محمد أبو زهرة، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة 1404 هـ، ص 51.

3 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص 176. انظر أيضا: محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، ص 134، دار المنار، طبعة 1409هـ / 1989م، ص 134.

4 - تاريخ الإنجيل والكنيسة، أحمد ادريس، ص 69.

5 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 52- 53- 54.

وهناك من يرى أن متى كتب إنجيله نقلا عن مصادر مشتركة مع مرقس ولوقا. ولكن روايته اختلفت في مسائل أساسية، منها نسب عيسى عليه السلام، الذي صدر به إنجيله، حيث يبدأ بنسبه ويرجعه إلى إبراهيم بواسطة داود.¹

• إنجيل مرقس:

يعتبر هذا الإنجيل أقصر الأناجيل الأربعة وأقدمها، لكنه ليس كتاب رسول، بل كتاب محرر من تلميذ رسول. فالروايات المكررة في العهد الجديد "ليوحنا الملقب بمرقس" لا تتضمن ذكر كاتب الإنجيل، ونص مرقس ذاته لا يذكر الكاتب.²

ومن الثابت تاريخيا أن مرقس لم ير المسيح عليه السلام قط، وكان دخوله في دين النصارى بعد رفعه عليه السلام، وقد تنصر على يد بترو - أي بطرس - الحواري.³ وقد اختلف حول نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس، فمن قائل إن كاتبه هو "بطرس" رئيس الحواريين في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس، ومن قائل إن مرقس ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس. ذلك أن مرقس كان مترجم بطرس، وكان أيضا مساعد بولس.⁴

1 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 80 و 82.

2 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 84.

3 - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان (القس انسلم كورميديا)، تقديم وتعليق محمود علي حماية، طبعة دار المعارف 1984م، ص 66.

4 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص 177. انظر أيضا: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 85. محاضرات في النصرانية، ص 56 - 57.

كما اختلف أيضا في تاريخ تأليفه، حيث يذهب بعض المؤرخين إلى أنه ألف سنة 56 وما بعدها إلى سنة 65م، والأغلب أنه ألف سنة 60 أو 63م¹. ويرى آخرون أنه ألف

على أقرب تقدير، ما بين سنة 65 وسنة 80م بحسب الترجمة المسكونية².

وبعد زمن متأخر، انتشرت الكتابات المتقاربة لمتى ولوقا ويوحنا، فتبينت نتيجة هامة عن مرقس بأنه أخذ المواد من الإنجيليين الآخرين، ومن ذلك تتضح الحرية التي كان يمارس بها الأسلوب الأدبي للسرد الإنجيلي حتى بداية القرن الثاني. وفي هذا اعتراف بوجود الممارسة البشرية في نصوص الكتابات المقدسة من علماء اللاهوت³.

• إنجيل لوقا:

اتفق العلماء على أن " لوقا أيضا لم يدرك عيسى عليه السلام، ولا رآه أبدا، وإنما تنصر بعد رفع عيسى، وكان ممن تنصر على يد بولس الإسرائيلي، وبولس لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان من أكبر أعداء النصارى" ⁴. فلوقا كان من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حواربيه. حيث جاء في رسائل بولس ما يشير إلى ذلك، ففي الإصحاح الرابع من رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس يقول: (لوقا وحده معي)، وفي رسالته إلى أهل فليمون يقول: (مرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي)⁵.

1 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 57.

2 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 85.

3 - المرجع نفسه، ص 87.

4 - تحفة الأريب، عبد الله الترجمان، ص 64 - 65.

5 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 58 - 59.

لقد كان لوقا وثنيا اهتدى إلى المسيحية، وكان يظهر موقفه إزاء اليهود، فتجاهل الآيات الأكثر يهودية لدى مرقس، وأبرز كلمات عيسى عليه السلام ضد كفرهم. كما أن متى جعل المسيح يطلب من الرسل البعد عنهم. وهذا ما يوضح لنا أن الإنجيليين كانوا يقولون المسيح ما يناسب رؤاهم الشخصية، ويتفق مع وجهة نظر الطائفة التي ينتمون إليها.¹

وعن وصف إنجيل لوقا، فهناك من يرى أن لوقا كان مؤرخا، أو قصاصا بارعا. لأنه أخبر في افتتاحيته الموجهة إلى تيوفيل، بأنه سيكتب بدوره سيرة عيسى عليه السلام، مستعينا بما دونه غيره من الأخبار والمعلومات،² فقال: "لما أن أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأحداث التي جرت بيننا كما نقلها إلينا من كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا عاملين لها، رأيت أنا أيضا وقد تتبعتها كلها من أصولها غاية التتبع، أن أكتبها لك مرتبة يا تاوفيلي³ المكرم لتتيقن صحة ما تلقيته من تعليم".⁴

1 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 88. انظر أيضا: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، حلمي، ص180.

2 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 87. انظر أيضا: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، حلمي، ص 179. ومحاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 59.

3 - وتاوفيلي هذا أو تاوفيلس: أورده أبو زهرة أنه من عظماء الروم، وهناك من يقول إنه كان مصريا لا يونانيا. محاضرات في النصرانية، ص 59.

4 - إنجيل لوقا 1: 1 - 4.

أما التأريخ لهذا الإنجيل فتأثر بعوامل مختلفة، فلوقا استعان بإنجيل مرقس ومتى، وقد عرف حصار القدس وتهدمها سنة 70م، الأمر الذي جعل إنجيله متأخرا عن هذا التاريخ، غير أن الدراسات الحالية تحدد بأنه تحريره كان غالبا ما بين سنتي 80 و90م.¹ وهناك من يقول إن لوقا كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم وقبل الأعمال، ويرجح أنه كتبه في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة 58 - 60 من الميلاد، ولكن هناك من أكد أنه حرر إنجيله بعد تحرير مرقس لإنجيله، وذلك بعد موت بطرس، وبولس.² وقد أبرز الشيخ أحمد ديدات إحدى أهم التناقضات في الكتاب المقدس، بمقارنة بين سلسلة نسب المسيح عليه السلام عند لوقا ومتى، فوجد أنه ما بين داود وعيسى قام متى بتسجيل 26 سلفا فقط، ولكن لوقا الملهم أيضا سجل 41 سلفا لعيسى.³

• إنجيل يوحنا:

يصف الباحثون هذا الإنجيل بأنه خطر وذو شأن أكثر من غيره، لأنه الإنجيل الذي تضمن ذكرا صريحا لألوهية المسيح، حيث يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها.⁴ اعتبر المسيحيون يوحنا في العصور الماضية، أنه: (ابن خالة عيسى عليه السلام، ويزعمون أن عيسى حضر في عرسه، وأنه حول الماء خمرا في ذلك العرس، وهذه أول معجزة ظهرت لعيسى، وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته، وتبع عيسى على دينه).¹

1 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 88.

2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 59.

3 - هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، بدون طبعة، وبدون تاريخ، ص 74.

4 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 60.

وقد اختلف الباحثون في مدى صحة نسبة هذا الإنجيل لصاحبه، فمنهن من قال إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد الذي كان يحبه السيد المسيح، حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصלב كما يعتقدون. وقد نفى في أيام الاضطهاد الأولى، ثم عاد إلى أفسس، ولبث يبشر فيها حتى توفي.² ولكن هذا الرأي لم يعد مسلما به في العصر الحديث بعد إجراء الدراسات في الكتب المقدسة. فهناك من العلماء المسيحيين من أنكروا نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحواري، وابتدأ هذا الإنكار منذ القرن الثاني الميلادي، وقد كان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة. لذلك من المرجح أن الإنجيل الحالي نشره تلاميذ الكاتب الذين أضافوا بعض الفصول الجلية.³

وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن إنجيل يوحنا لا مرية ولا شك في أنه كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنتين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح. فجزمت الكنيسة بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب.⁴

-
- 1 - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان، ص 66.
 - 2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 60. انظر أيضا: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 90.
 - 3 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص 181. انظر أيضا: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 91.
 - 4 - محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور بمصر الجديدة، طبعة 1986م، ص 72. انظر أيضا: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 61.

وتباينت آراء العلماء كذلك حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل تباينا بينا، فهناك من رجع أن كتابته ترجع إلى ستين سنة بعد المسيح. لوجود اختلافات بارزة مع الأناجيل الثلاثة الأخرى، فهو يحتوي على روايات خاصة بيوحنا غير موجودة في الأناجيل الأخرى.¹ وهناك من ادعى أنه كتب سنة 95 أو سنة 98م، وآخرون يقولون إنه ألف سنة 68 أو 69 أو 70 من الميلاد، إذن ليس هناك تاريخ محدد لتدوين هذا الإنجيل. وليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كاتبه. لكنه كتب لغرض خاص، هو أن بعض الفرق المسيحية من الشرق، قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية، فكتب هذا الإنجيل.²

وبذلك تكون الأناجيل نصوصا تتدمج في أوساط مختلفة، ملبية حاجات الكنائس، ومعبرة عن تفكير في الكتب المقدسة، ومجيبة على حجج الخصوم عند المناسبة، هكذا جمع الإنجيليون كل ما نقل إليهم رواية، وكتبوه حسب رؤيتهم الخاصة. ولذلك تعتبر الأناجيل تعبيراً عن الرؤى الذاتية للذين جمعوا الروايات الشفوية الخاصة بجماعات مختلفة، لما فيها من عيوب تدل على أنها صناعة البشر.³

من خلال كل الدراسات التي قام بها علماء اللاهوت لهذه الأناجيل الأربعة اتضحت الشكوك حول نسبتها لأصحابها، وتواريخ تدوينها، وبالتالي برزت حقيقة أنها ليست

1 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 90 - 91 - 92.

2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 64.

3 - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 78 و 79.

الإنجيل الموحى به من الله لعيسى عليه السلام، فهي إذن ليست إلا أناجيل وفقا لمن كتبوها ولم يوقعوا أسماءهم عليها. وكتب غامضة مجهول كاتبها.

• تأثير بولس في الديانة المسيحية:

من المفروض أن تؤسس العقيدة المسيحية على الكتب والأناجيل، بينما الواقع عكس ذلك إذ تأسست الأناجيل على المعتقدات، ونشأت المعتقدات بواسطة بولس. وقد كتب بولس رسائله بين سنة 55 و63 ميلادية، وبدأ الإنجيليون كتابة كتبهم في سنة 63م، وقد رجحت كفة بولس ومعتقداته، فتأثرت الأناجيل بهذه الرسائل.¹

ولاستكمال حلقات البحث والتمهيد لفهم واستيعاب نصوص الأناجيل، لا بد من ضرورة التعريف -ولو باختصار-، بالشخصية البارزة في تاريخ المسيحية المبكر، والتي ترتبط بها العقائد والطقوس المسيحية، وهو بولس (أو شاول) الذي حول مجرى عقائد المسيحية وعباداتها عما جاء به عيسى عليه السلام، إلى ديانة أخرى مخالفة تماما، وصح نسبتها إلى بولس بدلا من نسبتها إلى المسيح عليه السلام.²

من هو بولس؟

بولس هو شاول بن كيساي من سبط بنيامين، ولد في طرسوس، عاصمة ولاية كليكية جنوبي آسيا الصغرى، وهي تابعة لسوريا الآن، وكانت ولادته عقب ولادة المسيح بخمس، أو ست سنوات، لأبوين يهوديين، وتسمى بالاسم العبراني شاول على اسم أول ملوك بني

1 - مقارنة الأديان دراسة في مصادر الأديان السماوية، طارق خليل السعدي، ص 194.

2 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص 169 - 170.

إسرائيل، الذي اشترك معه في النسب. أما تسميته بولس فهي تسمية رومانية، ولعل التسميتين عادة انتشرت وقتذاك، مكث في طرسوس فترة، ثم أرسل إلى أورشليم ليتلقى تعليمه الديني على واحد من أكبر معلمي اليهود في عصره.¹

وجاء في سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس، وقد أخذت أعماله من ذلك السفر الشطر الأكبر. فجاء في نص الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين حكاية عنه:

"أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن رببت في هذه المدينة " (أورشليم).² إضافة إلى أنه كان رجلا يهوديا، فقد كان شديد العداء للمسيحيين، يعمل في قتلهم، ويجرهم رجالا ونساء إلى السجن، ويسطو على الكنيسة.³ وهذا ما جاء في الإصحاح الثامن من أعمال الرسل: "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، (...) وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن".⁴ وقد اعترف على نفسه بذلك في نصوص كثيرة، منها قوله مخاطبا اليهود: "كنت غيورا لله، كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيدا ومسلما إلى السجنون

1 - جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 124 - 125.

2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 85.

3 - مقارنة الأديان 2، المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، طبعة 1965م، ص 72.

4 - أعمال الرسل الإصحاح: 8، الفقرات (1-3)، انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 87. انظر أيضا:

الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 426.

رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم

رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا".¹

ويأتي هذا السفر أيضاً ليقول إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية وأذى أهلها، قد انتقل

إليها فجأة من غير مقدمات ولا تمهيد. وهذا ما جاء في الإصحاح التاسع: " في ذهابه

حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغته أ برق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض،

وسمع صوتاً قائلاً له: شاول. شاول. لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال:

أنا يسوع الذي أنت تضطهده. (...) فقال وهو مرتعد: يا رب ماذا تريدني أن أفعل؟ فقال

له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ما ينبغي أن تفعل". فدخل بولس المسيحية وحاول

الاتصال بتلاميذ المسيح، لكنهم خافوه ولم يصدقوا إيمانه، فأخذه برنابا إلى الرسل وحدثهم

كيف أنه أبصر الرب وكلمه.²

وبعد هذه الواقعة التي تدعو حقاً إلى التأمل في التغير المفاجئ المذهل في شخص بولس

وعقيدته ودعوته، فهو انتقل من كفر بديانة إلى اعتقاد شديد بها، فأخذ يدعو إلى

المسيحية بحمية ونشاط، مستخدماً مواهبه وذكاءه، وقدرته على التأثير في الجماهير

1 - سفر أعمال الرسل الإصحاح 22 الفقرات (3 - 5).

2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 88. انظر أيضاً: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص

170 و171.

للسيطرة عليهم وانتزاع الثقة به منهم، واستطاع بذلك فرض رأيه على المسحيين فاعتقونه

دينا، واتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها.¹

فصار بولس القوة الفعالة، والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية، ولم يبين سفر الأعمال

على يد من تلقى مبادئ المسيحية التي دونها في رسائله الأربع عشرة، ولعلمهم يعتقدون

أنه ليس في حاجة إلى التلقي، لأنه انتقل من الكفر إلى مرتبة الرسل في المسيحية،

وصار ملهما ينطق بالوحي. أخذ بولس ينشئ الكنائس في الأقاليم، ويقوم بالدعاية ويلقي

الخطب، حتى صارت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في

الاعتقاد، وبعض الشرائع العملية، وقيل إنه قتل في اضطهادات نيرون سنة 66 أو سنة

67 م على خلاف في ذلك.²

وقد عبر بولس المدعو رسولا عن أسلوبه في الدعوة والتبشير في هذا النص من سفر

الأعمال حيث قال: " فإني إذا كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع، لأريح

الكثيرين، فصرت لليهودي كيهودي لأريح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت

الناموس لأريح الذين تحت الناموس (...)، صرت للضعفاء كضعيف لأريح الضعفاء،

صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال".³

1 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص 172. انظر أيضا: الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود،

مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص 431.

2 - محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص 88 و89.

3 - الإسلام والأديان دراسة مقارنة، حلمي، ص 171.

هكذا تمكن بولس من القضاء على الديانة النصرانية الحقبة بتهديمها من الداخل وزعزعة مقدساتها وتحريف وحدانيتها، بعدما عجز عن محاربة النصارى بالقوة والقتل، وقد نجح في تكوين أتباع دافعوا عن هذه المعتقدات المزيفة التي تجانب ما جاء به عيسى عليه السلام من توحيد لله، فأصبحت رسائل بولس مصدر إلهام الإنجيليين من بعده.

الباب الأول: التعريف بالمهتدي السموأل بن يحيى بن عباس المغربي وبكتابه

"إفحام اليهود"

الفصل الأول: السموأل المغربي: عصره وحياته

المبحث الأول: عصر السموأل المغربي

المبحث الثاني: حياة المهتدي السموأل المغربي

المبحث الثالث: قصة إسلام السموأل المغربي والدوافع الرامية لذلك

الفصل الثاني: كتاب " إفحام اليهود "

المبحث الأول: التعريف بكتاب " إفحام اليهود "

المبحث الثاني: الغاية من تأليف الكتاب

المبحث الثالث: عرض الأفكار الواردة في الكتاب

المبحث الرابع: تحليل الأفكار الواردة في الكتاب

الفصل الأول: السموأل المغربي: عصره وحياته

المبحث الأول: عصر السموأل المغربي

المطلب الأول: الظروف السياسية

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية

المبحث الثاني: حياة المهتدي السموأل المغربي

المطلب الأول: مولده ونسبه ونشأته ومؤلفاته

المطلب الثاني: نشأته العلمية

المطلب الثالث: كراهيته للتقليد والجمود

المطلب الرابع: السموأل بين التأثير والتأثر

المبحث الثالث: قصة إسلام السموأل المغربي والدوافع الرامية لذلك

الباب الأول: التعريف بالمهتدي السموأل بن يحيى بن عباس المغربي

وبكتابه "إفحام اليهود"

تمهيد:

تعد ظاهرة إسلام علماء أهل الكتاب ظاهرة قديمة حديثة، فقد بدأت إرهاصاتها قبل البعثة النبوية، لأن أنبياءهم عليهم السلام، بشروا بمقدم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم المنزلة عليهم. ومن ثم كان العلماء هم أقدر الناس على تمحيص العقائد، وتميز زائفها من صحيحها، وحقها من باطلها.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾¹. وقد جاء في التوراة أيضا بشارة بقدم النبي صلى الله عليه وسلم: « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا»².

وقد كان لعلماء اليهود والنصارى دوافع متميزة وأسباب خاصة للهداية للإسلام تختلف عن أسباب إسلام العوام.

1 - سورة الأعراف، الآية 157.

2 - سفر التكوين: (17 : 20).

كان من أهمها صدق العقيدة الإسلامية وسهولتها، وخلوها من التناقض المنطقي العقلي.¹ إضافة إلى أن الجدل الديني الداخلي والنزاع الدائر بين أهل الكتاب بمذاهبهم المختلفة كان من أسباب نفور علمائهم وهروبهم إلى الإسلام، كما كان لحسن أخلاق المسلمين وعلمائهم في مقابل فساد الكهنة في الكنائس والبيع، وغيرها من المبادئ السمحة التي دعا إليها الدين الجديد، عاملا مهما في الهداية للإسلام.² إضافة لذلك كان لوجود صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في البشارات الكتابية التي لم تصل إليها يد التحريف عاملا كبيرا في هداية هؤلاء العلماء. أضف إلى ذلك أن الجدل الديني بين علماء المسلمين وأهل الكتاب كان له أهمية كبرى في حركة الاهتداء الديني بين المنصفين من علمائهم.³ ومنهم من كان الصراع الداخلي بين الواقع والفترة السلمية سببا أساسيا وراء سعيه لإيجاد الأجوبة الشافية عن الأسئلة التي تورقه، ولا يجد لها جوابا عند من ينتمي إليهم عقديا أو فكريا من رجال دين أو علماء.⁴

وفي تتبع للمراحل التاريخية لحركة الاهتداء الديني لدى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، نجد أن جذورها تمتد لما قبل الإسلام، فكان من علامات النبوة ما كان يردده

1 - المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأخبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري، خالد السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1423 هـ / 2002م، ص 8.

2 - الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس . و. أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المحيد عابدين وإسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة 1970م، ص 115.

3 - المهتدون إلى الإسلام، مرجع سابق، ص 8.

4 - سلسلة علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم، رقم 37، مريم جميلة مهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ذاكر الأعظمي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى 1431 هـ / 2010م. ص 6.

اليهود للمشركين ببعثة نبي في ذلك الزمان، وكان منهم متشوقون لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإن اختلفت وتباينت مواقفهم بعد البعثة، فهذا بحيرا الراهب تعرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غض صغير، وأكرم ركب قريش لأجله، وحذر عمه أبا طالب من اليهود عليه. كما أن ورقة بن نوفل أبدى استعداداه لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية نزول الوحي كما جاء في حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي في البداية، ولجأ إلى بيت زوجته خديجة رضي الله عنها، أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وله علم بالكتاب العبراني، ولما قص عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث له، قال له: " هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك".¹

وفي العهد النبوي استمر الاهتداء إلى الإسلام لدى علماء أهل الكتاب قويا، فمثلا حين بعث النجاشي ملك الحبشة سبعين من القسيسين للنبي صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم سورة (يس) أسلموا جميعا²، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ءَيْمُونُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنهٗ ءَلْحَقُ مِنْ رَبِّنَا ءَ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مَسْلُمِينَ ﴿٥٢﴾﴾³.

1 - مختصر صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي (ت 675هـ)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1422هـ/ 2001م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدأ الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 1-3، ص 33 و34 و35.

2 - المهتدون إلى الإسلام، مرجع سابق، ص 15.

3 - سورة القصص، الآيتان: 52 - 53.

فقد كان لسلطان القرآن الكريم أعظم الأثر في نفوس المهتدين من علماء أهل الكتاب، فكان أحبار اليهود ورهبان النصارى يختبرون ما جاء به القرآن، فيجدونه موافقا لما كانوا يعتقدونه من الحق.¹

ويقول أحد المستشرقين²: وقد انتهت إلينا أخبار عن طوائف كبيرة من الناس تحولوا إلى الإسلام، ولم يكونوا من بسطاء عامتهم فحسب، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم، ومناصبهم، وحالاتهم.³

ومع اتساع رقعة العالم الإسلامي، شهد الإسلام دخول أهل الكتاب وعلمائهم في دين الله أفواجا. وقد أمد الخليفة عمر بن الخطاب، خلال الفتوحات الإسلامية، الذين دخلوا حديثا في الإسلام بما ينبغي أن يمدهم به من علماء يلقنونهم مبادئ الدين، لأنه لما كانت القبائل بأجمعها تدخل في الإسلام بمثل هذه السرعة كان من الضروري أخذ الحيطة من أخطاء سواء من ناحية العقيدة أو الشعائر الدينية.⁴ وعن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون إلى العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، واستمر في الأجيال المتعاقبة، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت

1 - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أحمد بن العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، تحقيق بكر زكي عوض، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية 1407 هـ / 1987 م، ص 79.

2 - Reclus Elissée ; Nouvelle Géographie Universelle ; Paris 1876 - 91 ; vol. x ; p 247.

3 - الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس . و. أرنولد، ص 140 و141.

4 - الدعوة إلى الإسلام، مرجع سابق، ص 69.

الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة.¹ وفي رسالة ترجع إلى القرن الأول الهجري، بعث بها أحد بطارقة النصارى إلى رئيس أساقفة فارس تدل على مدى الانتشار الواسع للإسلام بين قساوسة النصارى. وإن كان تدوين ما يتعلق بمثل هذا التحول للإسلام نادرا، ويحاول المؤرخون النصارى وعلماء اللاهوت المسيحيين²، أن يثيروا إلى فساد خلق الكنيسة الشرقية الذي كان سببا في هذا التحول إلى الإسلام.³

وبذلك أخذت حركة الاهتداء إلى الإسلام تتوالى في صفوف علماء أهل الكتاب وتزايدت مع الفتوحات الإسلامية وما بعدها، ومازالت إلى يومنا هذا، إلا أن المجال لا يسمح بالتفصيل أكثر في هذا الباب.⁴

1 - Caetani Leone Principe di Teano ; Annali dell 'Islam. Millano,1905 ; vol v; p 4.

نقلا عن الدعوة إلى الإسلام، ص 70.

2 - انظر ما كتبه ماكلينتوش Maclintoch و Strong تحت مادة Mohammedanism، ج 6، ص 420. نقلا عن الدعوة إلى الإسلام، ص 89.

3 - الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص 89.

4 - لتفاصيل أكثر أنظر: نماذج حية للمهتدين إلى الحق، قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا، الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، الطبعة الأولى 2006م، الجزء 1. وانظر أيضا: سلسلة علماء ومفكرون معاصرون، مريم جميلة مهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، مرجع سابق.

الفصل الأول: السموأل المغربي: عصره وحياته

تمهيد:

المهتدي السموأل المغربي من العلماء الأجلء الذين لم يحضوا بالكثير من الاهتمام من لدن الدارسين في مجال علم مقارنة الأديان، ولم يصلنا ما يدلنا عليه إلا القليل.

ورد في بعض كتب التراجم كما سيتضح في المبحث الثاني من هذا الفصل أن السموأل المغربي (ت570هـ) عاش في بغداد خلال القرن السادس الهجري، وهذا ما أكده بنفسه عندما أشار إلى ذلك في سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه في كتابه "إفحام اليهود"، والذي ألفه قبل إعلان إسلامه سنة 558هـ.

وسنلقي الضوء في هذا الفصل في (مبحثه الأول) على أهم الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والعلمية التي عاصرت الحكيم السموأل في بغداد خلال تلك الفترة. كما سنتطرق في المبحث الثاني إلى سيرته ونشأته العلمية.

المبحث الأول: عصر السموأل المغربي

عرفت بغداد خلال القرن السادس الهجري تعاقب مجموعة من الخلفاء العباسيين والسلاطين السلجوقيين على حكمها، حيث تميزت هذه الحقبة بضعف الخلافة الإسلامية العباسية، مما كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية والثقافية لسكان بغداد خاصة والعراق عامة، بمختلف طبقاتهم ومكوناتهم. فما هي أهم معالم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لبغداد خلال هذه الحقبة من تاريخها؟

المطلب الأول: الظروف السياسية

ولد السموأل المغربي (ت 570هـ) في العصر العباسي الرابع، عصر النفوذ السلجوقي التركي (448 - 656هـ / 1055 - 1258م)، ولا يمكن تحديد مولده في عهد أي خليفة عباسي بالضبط لأن تاريخ ميلاده غير مصرح به، ولكن يمكن القول إنه عاصر الخلفاء العباسيين التالية أسماؤهم: أبو منصور الفضل المسترشد (512 - 529هـ)، وأبو جعفر منصور الراشد (529 - 530هـ)، وأبو عبد الله محمد المقتفي (530 - 555هـ)، وأبو المظفر يوسف المستجد (555 - 566هـ)، وأبو محمد الحسن المستضيء (566 - 575هـ). ومن سلاجقة العراق الذين حكموا بغداد في هذه الحقبة نجد؛ مغيث الدين محمود (511-525هـ)، وغيث الدين داود (525 - 526هـ)، وركن الدين أبو طالب طغرل الثاني (526-529هـ)، وغيث الدين أبو الفتح مسعود (529-547هـ)، ومعز الدين أبو الفتح ملكشاه الثاني 547هـ، وغيث الدين أبو شجاع محمد الثاني (548-554هـ)، وغيث الدين أبو شجاع سليمان شاه (554-556هـ)، وركن الدين أبو المظفر أرسلان شاه (556-571هـ).¹

إن معظم الدراسات التي تناولت العصر العباسي الأخير وصفته بعصر الفوضى والانحيار، محملة مسؤولية ذلك لخلفاء ذلك العصر، حيث تضععت أركان الخلافة العباسية، وعرفت استقلال بعض المدن والولايات عن الخلافة العباسية.²

1 - تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس الطبعة السابعة 1430هـ / 2009م، ص 235 - 236.

2 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، محمد عبد الله أحمد القدحان، دار البشير - عمان، طبعة 2005م، ص 6.

ومن بين هذه الولايات ظهرت الدولة البويهية¹، على يد علي بن شجاع بن بويه، الذي تعدى رغبته في الاستقلال إلى التوسع على حساب جيرانه، وتمكن بفضل مقدرته العسكرية من انتزاع معظم بلاد فارس خلال فترة قصيرة، واتخذ مدينة شيراز قاعدة لحكمه.²

سقطت الدولة البويهية في العراق وفارس تحت ضربات السلاجقة، ووقع الملك الرحيم (الأمير خسرو فيروز) أسيرا في يد طغرل بك السلجوقي أثناء دخوله بغداد في عام (447 هـ / 1055م).³

وبقيام السلاجقة الأتراك، بزغ عصر جديد في تاريخ الخلافة والإسلام، ولما ظهوروا من الشرق في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي كانت سلطة الخليفة ضعيفة أو منعدمة في حين تمزقت الخلافة العباسية إربا إربا.⁴

عمل السلاجقة على توسيع نفوذهم في فارس مع الاعتراف بالخلافة العباسية، قصد القضاء على قوة البويهيين، تمهيدا لمد سياستهم التوسعية إلى العراق. فاستولوا على الري في عام

1 - ظهر بنو بويه على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري وأسسوا دولا انفصالية في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمدان، ويسطوا هيمنة فعلية على العراق، فشاركوا الخلافة العباسية في حكمه. وعظم نفوذ هذه الأسرة حتى سمي باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية. هاجرت هذه الأسرة من بلاد الديلم المنطقة المجاورة لبحر قزوين، واشتهرت على يد الأخ الأكبر من الإخوة البويهيين وهو علي بن شجاع بن بويه، والبويهيون ليسوا من أصل فارسي، بل يمثلون العنصر الديلمي، ولعلمهم مزيج من الإيرانيين والأتراك وشعوب أخرى. انظر: تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص220. انظر أيضا: تجارب الأمم، أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، طبعة أمدرود، القاهرة 1914 - 1919م، ج 1، ص 275 - 289.

2 - الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م، المجلد السادس، ص 234 - 235. انظر أيضا: تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص 220 - 221.

3 - تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص 231.

4 - المرجع نفسه، ص 237.

(432هـ / 1041م) ودخلوا في العام التالي جرجان وطبرستان واستولى السلطان طغرلبيك في عام (442هـ / 1050م) على أصفهان واتخذها عاصمة له، ثم ضم بعد أربع سنوات إقليم أذربيجان. فقامت دولة السلاجقة في خراسان وفارس، وأضحت جيوشهم على أهبة الاستعداد لدخول العراق.¹

وحيث فرض أبو الحارث أرسلان البساسيري، أحد قادة بني بويه الأتراك المتشيعيين سيطرته على بغداد وما جاورها، اضطرب الوضع الداخلي فيها، فاضطر الخليفة إلى الاستنجاد بالسلطان السلجوقي طغرلبيك السني المذهب، طالبا مساعدته ضد البساسيري. فسار السلطان بجيوشه إلى بغداد، ودخلها عام (447هـ / 1055م) واعترف الخليفة به سلطانا على جميع المناطق التي تحت يده، وأمر بأن يذكر اسمه في الخطبة. وهكذا دخل العراق ضمن دائرة نفوذ السلاجقة.²

وبذلك وحد السلاجقة المشرق الإسلامي من جديد، ووسعوا رقعته في غربي آسيا إلى حدود البوسفور عن طريق جهاد الدولة البيزنطية، وفي بلاد الشام على حساب الفاطميين. واستمرت العلاقة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية طيبة، إلى أن استأثر طغرلبيك بالسلطة في العراق، فنشب الخلاف بين الطرفين.³

1 - تاريخ الدولة العباسية، سهيل طقوش، ص 238.

2 - المرجع نفسه، ص 239 - 240.

3 - تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص 242.

عرفت دولة السلاجقة ضعفا وانقساماً بعد وفاة ملكشاه عام (485هـ / 1092م)، بسبب نزاع بين أولاده، فانتهز الخلفاء ذلك لاستعادة سلطتهم على البلاد، وأعانهم على ذلك بعد السلاجقة عن بغداد، وانهزام آخر السلاطين السلاجقة سنجر أمام القراخانيين سنة (536هـ / 1141م)، واستمرار الخلافات السلجوقية الأسرية في كل من خراسان والعراق في عام (541هـ / 1146م). وعملوا على تقوية مركز الخلافة عسكرياً، فحفرت الخنادق حول بغداد وأصلحت أسوارها. وانتعشت الخلافة العباسية نتيجة عجز السلطان مسعود السلجوقي حاكم العراق، عن إخضاع أمراء الأطراف الذين ثاروا عليه. وبوفاة السلطان مسعود في عام (547هـ / 1152م)، فقدت الدولة السلجوقية ركناً كبيراً في العراق، فأصابها الوهن، ما أدى إلى تقلص النفوذ السلجوقي في العراق حتى زال في النهاية.¹

واصل الخلفاء معركة التحرر من سلطة السلاجقة وتحقق لهم ذلك في عهد الخليفة الناصر، حيث تلاشت هذه السلطة من العراق وغربي فارس، وزالت دولة السلاجقة في عام (552هـ / 1157م) بمقتل السلطان سنجر، بينما سقطت دولة سلاجقة العراق في عام (590هـ / 1194م) بمقتل السلطان طغرل الثالث. فدخلت دولة الخلافة العباسية في فترة استقلال فعلي دامت حتى عام (656هـ / 1258م).²

أدى ضعف السلاجقة إلى ظهور دول منفصلة عرفت بدول الأتابكية، وهي ذات أصول تركية، إضافة إلى دول عرفت بالشاهات نتجت عن تولية السلاطين السلاجقة نواباً لهم في

1 - تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص 244 - 245.

2 - المرجع نفسه، ص 246.

الأقاليم التابعة لهم، فاستأثر هؤلاء النواب بحكمها وأورثوها أبناءهم. فاستغل الغرب الأوروبي هذا الانقسام لشن الحروب الصليبية ضد البلاد الإسلامية، واجتاح المغول العالم الإسلامي في أقاليم بلاد ما وراء النهر وفارس والعراق، فدمروا بغداد وقضوا على دولة الخلافة العباسية.¹

وفي يوم الأحد الرابع من شهر صفر عام 656 هـ / شهر شباط عام 1258م خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط، بعد أن وعده هولاء بالآمان. عندئذ دخل الجنود المغول إلى المدينة وعاثوا فيها مدة أسبوع، فهدموا مساجدها، وجردوا القصور مما فيها من التحف النادرة، وأتلفوا عددا كثيرا من الكتب القيمة في مكتباتها، وأهلكوا كثيرا من رجال العلم فيها، وقتلوا أئمة المساجد وحملة القرآن، وتعطلت المدارس والربط، وأضحت المدينة قاعا صفصفا.²

مما سلف ذكره نخلص إلى أن بغداد عاشت خلال هذه الفترة الزمنية أوضاعا سياسية مزرية، بسبب تدهور الخلافة العباسية، وضعف سلطنة السلاجقة، فانتهت بسقوطها في يد المغول الذين عتوا في الأرض فسادا.

1 - تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص 247.

2 - المرجع نفسه، ص 254 - 255.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية

كان للفتوحات الإسلامية الأثر الكبير في تنوع المجتمع الإسلامي، الذي أصبح في هذه الفترة خليطاً من العناصر المختلفة: عرب، فرس، ترك، ديلم، أرمن، وأكراد. وتشابكت العلاقات الاجتماعية بين هذه العناصر. كما كان للتكوين الاجتماعي للدولة العباسية ارتباط كبير بالتكوين السياسي.

وكانت عوامل السلطة والثروة والمهنة والثقافة هي المحددات الأساسية لانتقال القلة من أفراد مجتمع بغداد من مرتبة اجتماعية إلى أخرى، في وقت عرفت فيه بغداد تفشي الطبقة الاجتماعية.

لقد عرف مجتمع بغداد آنذاك نوعاً من الطبقة الاجتماعية، تمثلت في مراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحاً على بعض بحيث يستطيع القلة أن يعبروا من مرتبة إلى أخرى، تبعاً لمعطيات عدة أهمها: السلطة والثروة والمهنة والثقافة.¹

كما يمكن تقسيم المجتمع الإسلامي في بغداد في هذه الفترة على أساسين هما: الدين، والمكانة الاجتماعية.

فمن الناحية الدينية انقسم المجتمع البغدادي إلى فئتين رئيسيتين هما: المسلمون (سنة وشيعة)، وأهل الذمة (يهود ونصارى).

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، محمد عبد الله أحمد القدحان، دار البشير - الأردن، طبعة 2005م، ص 41.

أ. المسلمون:

كان للظروف السياسية التي شهدتها بغداد إلى حدود منتصف القرن السادس الهجري أثر على التجمع السكاني للمسلمين على أساس مذهبي، فاشتهرت محلة الكرخ بأنها مسكن الشيعة، واشتهرت أحياء أخرى كباب الأزج في الجانب الشرقي، وباب البصرة في الجانب الغربي بأنها مسكن أهل السنة.¹

وحيث أن المذهب السني هو المذهب الرسمي للدولة العباسية. فإن السنة كانوا يمثلون الأغلبية من سكان بغداد.

ويعتبر تدخل البويهيين والسلاجقة في الشؤون السياسية للدولة العباسية، سببا مباشرا في إذكاء العصبية المذهبية، وتحولها من خلافات فكرية إلى فتن دموية مدمرة، كان المنتفع الوحيد منها هم هؤلاء الأجانب، الذين استطاعوا عن طريقها إطالة أمد سيطرتهم على العراق.²

وفي المقابل اتبع الخليفة المستضيء سياسة سنية بالكامل، فقرب السنة، ومارس سياسة أقرب إلى الاضطهاد ضد الشيعة، مستعينا ببعض علماء السنة لتطبيقها. وكان على رأسهم الفقيه أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ / 1200م).³

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحان، ص 42.

2 - المرجع نفسه، ص 43.

3 - المرجع نفسه، ص 45.

كما ساهمت الفتن الناجمة عن الخلافات المذهبية بين أتباع المذاهب المختلفة، في عهد الخليفة الناصر لدين الله (575هـ / 622هـ) في تسيخ عرى الانسجام والتقارب بين سكان بغداد، مما أدى في حالات كثيرة إلى الاقتتال بينهم.¹

وللتخفيف من وطأة هذه الخلافات المذهبية، نهج الخليفة الناصر سياسة توفيقية بين أتباع المذاهب المختلفة، فقرب الجميع، وخاصة الشيعة الذين لقوا الضيم في عهد والده المستضيء، هذه السياسة دفعت بعض المؤرخين إلى اتهامه بالتشيع.²

اتبع أغلب أهل السنة مذاهب: الحنفي والشافعي والحنبلي، وعملوا على إنشاء مدارس تقوم على أساس المذهب الذي وقفت لأجله، فعرفت بغداد أكثر من ثلاثين مدرسة أحادية المذهب. أما أتباع مالك فكانوا قلة أغلبهم قادمين من المغرب ومصر. واستمر هذا الوضع إلى عهد المستنصر بالله الذي أنشأ المدرسة المستنصرية (631هـ/1233م)، وجعلها وقفا على المذاهب الأربعة. سعيًا منه للتقريب والتوحيد بين الطوائف المختلفة التي كانت تتنافس وتتناحر في القرنين الخامس والسادس الهجريين.³

ومن جهة أخرى اختلف موقف الشيعة الذين كانوا يشكلون جزءًا مهمًا من المجتمع البغدادي آنذاك من الخلافة عن أهل السنة، فقد كانوا يعتقدون أن قيام الخلافة العباسية إيدان بانتهاء

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحات، ص 44.
2 - فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، طبعة 1973م، الجزء الأول، ص 66.

3 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحات، ص 49.

وحدة آل البيت السياسية، فعمدوا إلى دعوة الناس سرا إلى مبايعتهم، وقد نالوا الحماية والمنعة خلال سيطرة البويهيين على الحكم.¹

وقد كان ظهور التشيع بقوة في بداية حكم الناصر لدين الله الذي كان راعيا للشيعه، لا لأنه كان متشيعا، بل لسنه سياسة توفيقية بين عناصر المجتمع من جهة، وإضعافا للمشاعر

الطائفية، وللقضاء على الفتن التي كانت تتوالى بين السنة والشيعه من جهة أخرى.²

وبالرغم من رأي الشيعه في الخلافة العباسية، إلا أنهم لم يقاطعوا وظائف الدولة، وشغلوا الكثير من المناصب، فكان منهم حتى الوزراء. ما جعل بعضهم يستغلون مناصبهم في بعض الأحيان فيعملون على حماية الشيعه وتشجيعهم على أهل السنة، فشمخت المبتدعة، وسفكت الدماء، وسب الصحابة.³

وعلى خلاف السياسة التوفيقية للخلفاء بعد الناصر، نهج الخليفة المستعصم سياسة متذبذبة في التعامل مع الشيعه، فنجده أحيانا يحرص على زيارة مشاهدهم ورعاية فقرائهم، إلا أنه لم يسر على هذا النمط طويلا، فقد قرب السنة ودعمهم ضد الشيعه سنة 654هـ/1256م.⁴

1 - الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (512 - 656هـ)، محمد صالح القزاز، مطبعة القضاء، النجف، طبعة 1971م، ص 160.

2 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القذحات، ص 51.

3 - المرجع نفسه، ص 52.

4 - المرجع نفسه، ص 53.

ب. أهل الذمة

أهل الذمة هم النصارى واليهود والمجوس "الصابئة" الذين يعيشون في ذمة المسلمين وفي حمايتهم مقابل جزية يؤديونها عن رؤوسهم على قدر طبقاتهم وكل حسب قدرته.¹ وقد كانوا يمثلون فئة دينية في المجتمع، وسموا بهذا الاسم لأنهم كانوا في ذمة المسلمين، دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم. لقوله تعالى: ﴿ قُتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صُغُرُونَ ﴾². وقد تمتعوا بكثير من التيسير في إقامة شعائرهم بأمن واطمئنان.³

إضافة إلى ذلك، اتبع معهم الخلفاء العباسيون في هذه الفترة سياسة فيها الكثير من التسامح الديني والاجتماعي، فمنحهم الكثير من الامتيازات الاجتماعية، منها أن أحياءهم لم تكن مفصولة عن أحياء المسلمين.⁴

كما حظي المسيحيون بعلاقات اجتماعية متينة داخل بغداد، حتى صاروا يحظون بمكانة رفيعة داخل قصر الخلافة كما هو الشأن لأطبائهم الذين كانوا لدى الخليفة بمثابة الوزراء،

1 - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت، ص 37.

2 - سورة التوبة، الآية 29.

3 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحات، ص 54.

4 - معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت الحموي، الجزء الثاني، دار صادر بيروت، طبعة 1995م، ص 495.

فجمعوا ثروات ضخمة ولقوا تكريماً كبيراً في بيوت العظماء¹. ونذكر منهم الطبيب

النصراني ابن الواسطي الذي كان طبيباً للخليفة المستظهر².

وقد اشتغل أغلب أهل الذمة من النصارى في مهن الطب والكتابة في الدواوين، وصناعة

العطر، بينما امتن اليهود منهم المهن التي تدر عليهم الأموال، فتركز عملهم في الأمور

المالية والمصرفية، فعملوا في التجارة، والجهيزة³، والصياغة⁴.

وقد استغل أهل الذمة هذه المكانة الاجتماعية والامتيازات التي حضوا بها من لدن الخلفاء

العباسيين، في نشر الفساد الاجتماعي والاقتصادي، مما دفع العلماء إلى مكاتبة الخليفة

وتذكيره بواجبه حيال أهل الذمة⁵. فأصدر الخليفة الناصر لدين الله عام (579هـ/1183م)

مرسوماً يمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين، لما لذلك من إذلال وإهانة للمسلمين⁶.

1 - الدعوة إلى الإسلام، توماس وأرنولد، ص 82 - 83، مرجع سابق.

2 - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف ب: ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، طبعة 1385هـ/1965م، ص 344.

3 - الجهيد: هو النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، عبد العزيز الدوري، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية 1974م، ص 157.

4 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحان، ص 55.

5 - الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد سنة 656هـ، رسالة الماجستير، جيهان سعيد الراجحي، إشراف مريزن سعيد عسيري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1427هـ/2006م، ص 139.

6 - مضممار الحقائق وسر الخلائق، الأيوبي محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب القاهرة، ط 1968م، ص 73

هذا، وقد كان أهل الذمة يخضعون في تنظيمهم الاجتماعي والديني لسلطة رؤسائهم من رجال الدين، البطريك والجاثليق عند النصارى، ورأس الجالوت عند اليهود. أما طريقة وصول هؤلاء الرؤساء إلى مناصبهم داخل طوائفهم، فإن اليهود كانوا يتوارثون الرياسة، فيما لجأ النصارى إلى انتخاب بطاركتهم.¹

فكان لكل طائفة من أهل الذمة كيائها الخاص، ومنهم اليهود فقد أسسوا كيانهم الاجتماعي الخاص بهم في بغداد، وعاشوا هناك بأعداد كبيرة في أمان وعز ورفاهية.²

كما كان منهم كبار العلماء الذين أسلموا فيما بعد وحسن إسلامهم، نذكر منهم أوجد الزمان أبو البركات هبة الله علي بن ملكا³، الذي كان يتصل كثيرا من اليهود ويلعنهم ويسبهم بعد إسلامه. فقد حضر مجلسا لبعض الأعيان وكان فيهم أمين الدولة ابن

-
- 1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحات، ص 61.
 - 2 - رحلة بنيامين، بنيامين بن بونه الأندلسي التطيلي (ت569هـ/1173م)، ترجمة عزرا حداد، دار ابن زيدون - بيروت، طبعة 1416هـ/1996م، ص 135.
 - 3 - هبة الله بن ملكا: هو هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، أبو البركات، المعروف بأوجد الزمان، ولد في حدود سنة 480هـ/1087م، وتوفي في حدود سنة 560هـ/1165م. اليهودي في أكثر عمره المهندي في آخر أمره أوجد الزمان طبيب فاضل عالم بعلوم الأوائل من يهود بغداد، قريب العهد من زماننا. كان في وسط المائة السادسة وكان موفق المعالجة لطيف الإشارة وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين في هذا الشأن واعتبرها واختبرها. فلما صفت لديه وانتهى أمرها إليه صنف فيها كتابا سماه المعتبر أخلاه من النوع والرياضي وأتى فيه بالمنطق والطبيعي والإلهي فجاءت عبارته فصيحة ومقاصده في ذلك الطريق صحيحة وهو أحسن كتاب صنف في هذا الشأن في هذا الزمان. ولما مرض أحد السلاطين السلجوقية استدعاه من مدينة السلام وتوجه نحوه ولأطفه إلى أن برئ فأعطاه العطايا الجمة من الأموال والمراكب والملابس والتحف. وعاد إلى العراق على غاية ما يكون من التجميل والغنى. انظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى 646هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005م، ص 256 - 257.

التلميذ¹، وهذا كانت بينه وبين ابن ملكا معاداة قديمة، وحين جرى ذكر اليهود قال أوجد الزمان " لعن الله اليهود، فقال ابن التلميذ: نعم، وأبناء اليهود. فوجم لها أوجد الزمان وعرف أنه عناه بالإشارة ولم يتكلم".²

وكان رأس الجالوت هو من يمثل اليهود في دار الخلافة، إذ يقيم ببغداد، ويشرف على مراسيم العبادة ويتولى الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية لليهود، وينصيب أحبارهم في كافة الأقطار، وكلما قدموا إلى بغداد حملوا له الهدايا والعطايا من أقاصي البلاد حتى كبرت ثروته وغدا يمتلك العقارات والمزارع والبساتين في جميع أنحاء العراق.³

استفاد اليهود من حريتهم في كافة شؤون حياتهم الدينية والاجتماعية، فأنشأوا عدة بيع تركز أغلبها حول نهري دجلة والفرات، وكانوا يمارسون فيها طقوسهم الدينية وشعائهم

1 - هبة الله بن صاعد، ابن التلميذ: هو هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم، أبو الحسن، أمين الدولة، موفق الملك، المعروف بابن التلميذ، ولد سنة 465هـ / 1073م، وتوفي سنة 560هـ / 1165م. الطبيب النصراني البغدادي، طبيب وقته وفاضل زمانه وعالم أوانه. خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم في خدمتهم وارتفعت مكانته لديهم، وكان موفقا في المباشرة والمعالجة عالما بقوانين هذه الصناعة، وصنف فيها عدة مصنفات وانتهت إليه رئاستها. ويعرف بابن التلميذ البغدادي وابن التلميذ هو جده لأمه حكيم معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن التلميذ النصراني البغدادي. ولما توفي أمين الدولة قام هبة الله بن صاعد مقامه وهو ابن بنته فنسب إليه. وكان في العلم والعمل من الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه، وكان شيخ النصراني وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم. (انظر إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى 646هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005م، ص 254 - 255).

2 - عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص 376.

3 - رحلة بنيامين، بنيامين، ص 138.

وأعيادهم حتى أصبحت معاهد دينية. وأقاموا مهرجانات وأفراح كان يحضرها رأس

الجالوت.¹

إلا أنه منذ القرن الرابع الهجري أصيبت الوحدة الدينية اليهودية بانقسام زعاماتها وأصبحت سلطة رأس الجالوت تسري على اليهود في شرقي الفرات فقط، واستمر ذلك إلى سقوط

بغداد.²

وكما تم تقييء المجتمع البغدادي حسب الدين، فيمكن تقسيمه من حيث المكانة الاجتماعية، إلى: فئة الخاصة، وفئة العامة.

1. فئة الخاصة:

كان الخلفاء يمثلون قمة الهرم الاجتماعي، يليهم كبار أمراء المماليك وكان أغلبهم من الأتراك، ثم الوزراء ونوابهم، وقاضي القضاة الذي يعد من كبار رجال الدولة، والحجاب. تغيرت البنية السكانية لبغداد بعد انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين، وتراجعت السمات العربية للمجتمع إثر الاحتكاك الحاصل آنذاك بين مختلف العناصر البشرية التي كانت تشكل المجتمع من الفرس والروم والأرمن الترك أو الأحباش، فطال هذا التغيير حتى حياة الخلفاء وعاداتهم وعطاياهم، فقد كانت قصورهم مليئة بالرقيق وخاصة الجواري، وهذا ما يوضح لنا كون أغلب خلفاء بني العباس أبناء أعجميات، فمنذ بداية القرن السادس الهجري

1 - رحلة بنيامين، بنيامين، ص 142 - 143.

2 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، آدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الجزء الأول، ص 81.

حتى سقوط بغداد سنة 656 هـ / 1258م، تولى الخلافة عشرة خلفاء جميعهم أبناء أعجميات ابتداء من الخليفة المستظهر بالله (487 - 512هـ).¹

وكانت مظاهر الأبهة والترف تظهر جليا في حياة الخلفاء ومواكبهم، حيث كانوا يركبون بجلية الذهب.² وكان الخليفة المقتدر³ (320هـ / 932م) إذا ركب لقتال، خرج من داره في أكمل لباس وموكب، فكان عليه قباء ديباج فضي، وعمامة سوداء، وعلى كتفه وصدرة وظهره البردة النبوية، ومتقلدا بذئ الفقار سيف الرسول صلى الله عليه وسلم، وحمائله آدم أحمر، وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب.⁴

وقد حرص الخلفاء العباسيون على الظهور بأفخم الحلل، واقتناء الجواهر، فمثلا حين وصل رسولا الروم إلى الخليفة المقتدر بالله، جلس لهما واصطفت الأجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة.⁵

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد سنة 656 هـ / 1258 م، بحث ماجستير، جيهان سعيد الراجحي، أشرف عليه مريزن سعيد عسييري، 1427هـ / 2006م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص 18-19.

2 - الحضارة العباسية، وليم الخازن، منشورات الجامعة اللبنانية، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، طبعة 1984 م، ص 27.

3 - المقتدر جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل (282 هـ - 320هـ / 895 م - 932 م)، ولد في بغداد وبويع للخلافة بعد أبيه، انظر: الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، المجلد الثامن، ص 3-57.

4 - الحضارة الإسلامية، متر، مرجع سابق، ج 1، ص 255.

5 - تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري، صححه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني لبنان، الطبعة الثانية 1415هـ / 1994م، ص 270.

وقد اهتموا بالشعر والأدب، حتى أن الخليفة الناصر لدين الله جعل للشعراء ديوانا خاصا

سمي " ديوان الشعراء"، وسمي الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه بشعراء الديوان.¹

وكثيرا ما أحاط الخلفاء أنفسهم بالجلساء والندماء، من العلماء والشعراء، وأصحاب الفكاهاة

من السمار والمضحكين، وأصحاب النوادر، إلا أن انشغالهم في تلك الفترة باللهو والمتعة

كان أكبر عامل في سقوط بغداد في يد المغول سنة 656هـ/1258م في عهد الخليفة

المستعصم.²

2. العلماء

حظي العلماء ورجال الفكر في بغداد باهتمام خاص من طرف الخلافة العباسية، فبلغت

حركة تأليف الكتب أوجها، لتزخر المكتبة العربية والإسلامية بإنتاجات ومؤلفات قيمة، مما

ساعد على بزوغ حركة فكرية ونهضة علمية واسعة، ومن بين أولئك العلماء الشيخ أبو الفرج

عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) صاحب التصانيف الكثيرة والمؤلفات الكبيرة.³

فالعلماء هم قادة الفكر والرأي في المجتمع، ذلك أنه من مبادئ الإسلام تعظيم العلم وحملته،

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁴.

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحات، ص 94.

2 - الفخري في الأدب السلطانية، ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، تحقيق عبد القادر مايو، دار القلم العربي حلب، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م، ص 51-52

3 - المصباح المضيء في خلافة المستضيء، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق ناجية عبد الله ابراهيم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2000م، ص 9 مقدمة المحققة.

4 - سورة المجادلة، الآية 11.

كما أنهم كانوا يمثلون النخبة الإدارية والاجتماعية والدينية، وزاولوا عدة مهام سامية كالقضاء، والتدريس والفقهاء والتوجيه الديني الإسلامي.¹

ولأنه كان من شروط الخلافة الإمام بأمر الشريعة، فقد عمل الخلفاء العباسيون أنفسهم على أخذ العلم، وتعليم أبنائهم على يد كبار العلماء البارزين في مختلف العلوم النقلية والعقلية.²

لقد كان للمكانة المهنية للعلماء في العصر العباسي الفضل الأساس في ارتقاء أغلبهم من الفئة العامة داخل المجتمع إلى مراتب النخبة الحاكمة فيه، ومن ثم أصبح لهم نفوذ لدى الخاصة والعامة.

ويتجلى ذلك من خلال إحدى الرسائل التي بعثها أحد العلماء إلى الخليفة ينصحه وجاء فيها: "واعلم أن مواقع العلماء في ملكك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدك لها تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء".³

وقال ابن الجوزي (ت597هـ / 1200م) رحمه الله تعالى في الخواص ويقصد بهم أهل العلم والدين: "الرعايا على ضربين خواص وعوام، فالخواص ينبغي أن يكون تفقد أحوالهم أكثر

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القذحات، ص 92.
2 - ذيل تاريخ بغداد، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ / 1997م، الجزء 18، ص 159 - 160.
3 - التربية الإسلامية، نظمها فلسفتها تاريخها، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة 1978م، ص 229.

لأنهم كالأداة للدولة، ويكون التفقد لهم متواصلًا، فإنه قد يخون الأمين ويغش الصالح، ولا ينبغي أن يولى من غيره أصلح منه، وليتخير للولاية أرباب العلم والدين"¹.

فقد شارك العلماء في إدارة الدولة من خلال توليهم لبعض المناصب الإدارية، كما شاركوا في الحياة السياسية شأن غيرهم من أفراد المجتمع، فقاموا بسفارات إلى ملوك الأطراف.²

إن هذه المراتب المرموقة، والمكانة الاجتماعية السامية، لم يحظ بها كل العلماء، بل نجد في المقابل من لم يقبل عطايا الخلفاء وامتيازاتهم، ولم تكن علاقتهم بهم على الوجه الذي يؤهلهم لدرجة النخبة ولم يتمتعوا بالمكانة والثروة التي يتمتع بها غيرهم من العلماء والأمراء، بل كانت رواتبهم ضعيفة مقارنة مع غيرهم³. مما دفعهم إلى امتهان مهن أخرى كالتجارة ونسخ الكتب بالأجرة، لتحقيق الاكتفاء المادي والاستعانة على المعيشة. كما كان هناك عدد غير قليل من العلماء فقراء كانوا يتلقون المساعدات من قبل الخلفاء والأعيان.⁴

وبذلك نجد أنه من الصعب إيجاد حدود وشروط لتقسيم أفراد المجتمع بين فئة الخاصة والعامّة، خاصة بالنسبة للعلماء، وذلك راجع إلى العلاقة مع السلطة ومدى الامتيازات التي تمتعوا بها.

1 - المصباح المضيء في خلافة المستضيء، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2000 م، ص 235.
2 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحان، ص 95 - 96.
3 - الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، القدحان، ص 96 - 97.
4 - الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد، جيهان الراجحي، ص 74.

3. فئات المجتمع العامة

في مقابل الفئة الخاصة للمجتمع البغدادي والعلماء خلال العصر العباسي، توجد فئة عريضة تهم مزيجا إثنيا يتشكل من العرب والترك والأرمنيين والآرميين والأكراد والخرسانيين، مما يجعل من بغداد مجمعا لخليط من الموروث الاجتماعي والثقافي والديني، هذه الفئة هي ما يطلق عليها اسم العامة، وهي التي تمثل طبقة الشعب العامة أو الطبقة غير الحاكمة، التي تختلف عن الفئة الخاصة والطبقة الحاكمة على مستوى الوظيفة الاجتماعية، والثقافة العامة، والثروة، والنفوذ، والسلطة. وقد سميت هذه الفئة من المجتمع بالعامة أو العوام لكثرتهم وعدم إحاطة البصر بهم.¹

ويصف ابن عساكر (571هـ / 1175م) فئات المجتمع العامة بـ "السواد الأعظم" والذي يضم أغلب الشعب الذين ليس لهم سلطة في الدولة.²

ومن أبرز سمات فئات المجتمع العامة، الجهل والفقر، فالجهل يعود إلى قلة ثقافتهم وعدم معرفتهم بالكثير من الأمور، يقول الحميري (ت573هـ / 1177م) أن سبب تسمية العامة بهذا الاسم هو جهلهم بالأمور الدينية التفصيلية، والتزامهم بالعموم فقط.³ فالعوام والعامة، والسوقة، تطلق على من لم يكونوا متخصصين في فروع المعرفة كالعلماء والأدباء، فنجد

1 - نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، المطبعة الجمالية مصر، 1369هـ/1911م، ص10

2 - تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة 1399هـ / 1979م، ص 331.

3 - تاريخ بغداد، الحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة 1417هـ / 1997م، الجزء الثالث، ص 76.

أن من التجار وأصحاب الثروات من لديه بعضا من العلم ولكنه ليس كالعلماء. أما الفقر فقد كان سمة تميزت بها شرائح اجتماعية متعددة من فئات المجتمع.¹

ويمكن تحديد أهم عناصر فئات المجتمع العامة في: التجار والجند والعمال والصوفية والرقيق والجواري وأهل الذمة.

وتجدر الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية، هي أن المجتمع البغدادي رغم ما ذكر عنه من تقسيم اجتماعي، فإن طبقة الخاصة لم تكن حكرا على فئة معينة، إذ أن فرصة الارتقاء في السلم الاجتماعي كانت متاحة لكل من اجتهد وجد من العوام، فالفرد العادي في المجتمع يستطيع أن يرتقي السلم الاجتماعي حتى يصبح من مجتمع الخاصة كالوزراء والأمراء، وكبار موظفي الدولة.²

1 - الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد، جيهان الراجحي، ص 83.

2 - المرجع نفسه، ص 84.

المبحث الثاني: حياة المهدي السموأل المغربي

إن المهتدين من أهل الكتاب في بقاع العالم قطعوا أشواطاً من التأمّلات، وأمعنوا النظر في معتقداتهم الباطلة وأعملوا العقل فيها فاختبروا مناهج للنقد الذاتي، وسلكوا طرقاً للاستدلال على قناعاتهم إلى أن استجابوا لنداء الفطرة وأقروا بالتوحيد الخالص، الذي أشعرهم بالعبودية الحقّة لله وليست لأحد سواه.

ومن ثم، فإن حياة ومصنفات هؤلاء المهتدين تستحق أن تصبح أعمالاً ومشاريع دراسية تعود بالنفع على فكرنا الإسلامي المعاصر، وخاصة أن المسلمين في حاجة إلى وسائل جديدة في حوارهم الديني مع أهل الكتاب، ومع غيرهم من الأمم التي يتفاعلون معها.

والمهتدي الذي نحن بصدد دراسة سيرته، هو من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، " الحكيم المحقق السموأل بن يحيى بن عباس المغربي " المتوفى عام 570هـ-1174م. كنيته أبو نصر. كان من أعظم اليهود قبل إسلامه. وهو طبيب رياضي مشارك في بعض العلوم. قدم مع أبيه إلى بلاد المشرق. كان أبوه ينشد المال شأن كل يهودي، أما هو فكان يحب العلم ويطلبه بشغف ومثابرة. سكن في بغداد مدة، ثم انتقل إلى أذربيجان في بلاد العجم، وأقام في مراغة، ولم يزل بها إلى آخر عمره. أتقن كثيراً من العلوم والفنون وتبحر فيها، كالرياضيات والطب والحكمة والتاريخ وغير ذلك، وصنف في ذلك مصنفات منها: المفيد الأوسط في الطب، إعجاز المهندسين، رسالة إلى أبي خدود في مسائل حسابية، نزهة الأصحاب في معاشرّة الأحاب، وغير ذلك.

المطلب الأول: مولده ونسبه ونشأته ومؤلفاته

يصعب على الباحث تناول الحديث عن سيرة هذا المؤلف ونشأته بشيء من التفصيل المستند على الأدلة، فكتب التراجم لم تكشف لنا الكثير عن حياته الاجتماعية، والبيئة الخاصة التي عاش فيها، ولم يصلنا شيء عنها إلا ما حكاه السموأل عن نفسه في سيرته الذاتية، التي نستطيع أن نستشف منها أنه عاش وترعرع في بيئة علمية دينية محضة. حيث توجه لطلب العلم والتزود منه منذ صغره ولم ينشغل بغيره.

1- السموأل في كتب التراجم:

تطرقت بعض كتب التراجم للتعريف بالحكيم السموأل المغربي، في حين أغفلت أخرى الترجمة لهذا العالم الجليل، وسأعرض هنا بعض هذه التراجم التي ستقربنا من شخصية هذا المهتدي وتعرفنا بنسبه ونشأته وإنتاجاته العلمية. أما مولده فلم تتطرق أي من هذه الكتب إلى ذلك.

مولده ونشأته ووفاته:

جاء في كتاب جمال الدين القفطي (ت 646 هـ)، "إخبار العلماء بتاريخ الحكماء":
« السموأل بن يهوذا المغربي، الحكيم اليهودي، قدم هو وأبوه إلى المشرق، (...) وارتحل إلى آذربيجان، وخدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة «مراغة» وأولد أولادا هناك، سلكوا طريقته في الطب. وأسلم فحسن إسلامه. ومات بالمراغة قريبا من سنة سبعين وخمسمائة»¹.

1 - إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646 هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005م، ص 161.

أما صاحب كتاب: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ)، فيقول: « هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (...) أصله من بلاد المغرب، وسكن مدة في بغداد، ثم انتقل إلى بلاد العجم، ولم يزل بها إلى آخر عمره، وكان أبوه أيضا يشدو شيئا من علوم الحكمة، ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت 629 هـ) قال: هذا السموأل شاب بغدادي كان يهوديا ثم أسلم، ومات شابا في مراغة (...) وأقام بديار بكر وأذربيدجان (...) وقال صاحب جمال الدين بن القفطي أن السموأل هذا لما أتى إلى المشرق ارتحل منه إلى أذربيدجان، وخدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم. وأقام بمدينة المراغة وأولد أولادا هناك سلكوا طريقته في الطب. وارتحل إلى الموصل وديار بكر وأسلم فحسن إسلامه، (...) ومات بالمراغة قريبا من سنة سبعين وخمسائة»¹.

وجاء في كتاب الصفدي (ت 764 هـ) " الوافي بالوفيات":

«المغربي الرياضي: السموأل بن يحيى بن عياش المغربي. ثم البغدادي الحاسب، كان يهوديا، فأسلم (...) وسكن أذربيجان ونواحيها مدة (...) وتوفي في حدود سنة 576 هـ. ورأيت بعضهم قد كتب في هامش الترجمة في تأريخ ابن النجار "الذيل على تأريخ بغداد"، قال: رأيت بخطه وقد ضبط اسم جده عباس بالباء الموحدة في أول كتابه الذي رد فيه على

1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف ب: ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، بدون طبعة، ص 471-472

اليهود، وفي آخره رسالة بخطه في ذكر مصنفاته (...). رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة جمعة وهي تاسع عشرين ذي الحجة سنة 558هـ، فأصبح فأسلم، وقد عظم نفسه، فأفرط».¹ وجاء في كتاب "الأعلام" للزركلي (ت 1396هـ):

« السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (نحو 570هـ/1175م): (...). أصله من المغرب. سكن بغداد مدة، وانتقل إلى فارس. وكان يهودياً، فأسلم. ومات في المراغة (بأذربيجان)».² وفي كتاب "أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين" يقول علي عبد الله الفتاح:

« السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (1100-1175م)، (...). استقر به المقام في شمال غربي فارس واعتنق الإسلام فكان دائماً مدافعاً عن الحق والقيم الدينية (...). ولد في بلاد المغرب ثم هاجر بصحبة والده الذي كان من كبار التجار، واستوطن مدينة بغداد (...). ثم سافر إلى الموصل بعد أن اشتهر بمهارته في الطب، ثم إلى بلاد فارس وأذربيجان (...). وقد كان هذا العالم يهودياً إسبانياً ومتعصباً لديانته، ولكنه عندما عاش مع المسلمين قرر دراسة العقيدة الإسلامية دراسة عميقة فاقتنع بها وآمن، وأنكر اليهودية ورفضها، واعتنق الدين الإسلامي وصار أحد المدافعين عنه».³

1 - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/200م، الجزء 15، رقم 5183، ص 276.
2 - الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ج3، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة 14، شباط / فبراير 1999م، ص 140.
3 - أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، الجزء الأول، ص 495-496.

وتعليقا على هذا النص الأخير نجد أن المؤلف علي عبد الله الفتاح قد أشار في ترجمته للسموأل أنه " كان يهوديا إسبانيا"، لكننا سنجد فيما هو آت أن المهتدي سموأل يؤكد أنه من أصول مغربية لا إسبانية وتحديدا من مدينة فاس.

مؤلفاته:

قال القفطي (ت 646 هـ): « وكان أبوه يشدو شيئا من علم الحكمة، وكان ولده سموأل هذا قد قرأ فنون الحكمة، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها، وكان عدديا -أي مشتغلا بالحساب- هندسيا، حقيقيا، وله في ذلك مصنفات رأيت منها: كتاب المثلث القائم الزاوية، وقد أحسن في تمثيله وتشكيله وعدة صوره ومبلغ مساحة كل صورة منها، صنفه لرجل من أهل حلب يدعى الشرف. وصنف منبرا في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها. وصنف كتبا في الطب. (...) وصنف كتابا في إظهار معائب اليهود، وكذب دعاويهم في التوراة، ومواضيع الدليل على تبديلها، وأحكم ما جمعه في ذلك.»¹

أما ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ)، فيقول: « كان فاضلا في العلوم الرياضية، عالما بصناعة الطب (...) وبلغ في العدديات مبلغا لم يصله أحد في زمانه. وكان حاد الذهن جدا، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى (...) وله رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الخشاب النحوي. وذلك أن ابن الخشاب كان معاصره، وكان لابن الخشاب

1 - إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص 161.

مشاركة في الحساب، ونظر في الجبر والمقابلة(...) وصنف كتابا في إظهار معائب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها، وأحكم ما جمعه في ذلك(...) وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب:

- كتاب المفيد الأوسط في الطب صنفه في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد للوزير مؤيد الدين بن أبي اسماعيل الحسين بن محمد بن الحسن بن علي.
- رسالة إلى أبي خدود في مسائل حسابية جبر ومقابلة.
- كتاب إعجاز المهندسين صنفه لنجم الدين أبي الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرلبيك (...) وفرغ من تصنيفه في صفر سنة سبعين وخمسمائة.
- كتاب الرد على اليهود.
- كتاب القوافي في الحساب الهندي، ألفه سنة 568 هـ.
- كتاب المثلث القائم الزاوية، وقد أحسن في تمثيله وتشكيله، صنفه لرجل من أهل حلب يدعى الشريف.

• كتاب المنير في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها

كتاب المياه»¹

وقال الصفدي (ت 764هـ) : «(...) البغدادي الحاسب (...) برع في العلوم الرياضية، وكان يتوقد ذكاء (...) قال الموفق عبد اللطيف: بلغ في العدديات مبلغا لم يصله أحد في

1 - عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص 471-472

زمانه، وكان حاد الذهن حدا بلغ في صناعة الجبر الغاية. وله "كتاب المفيد الأوسط في الطب"، و"كتاب إعجاز المهندسين" و"كتاب الرد على اليهود" و"كتاب القوامي في الحساب" (...) وعدتها (أي مصنفاة) خمسة وثمانون مصنفا في الحساب والمساحة والجبر والهندسة والنجوم والطب والأدب وغير ذلك»¹.

وأكد ذلك الزركلي (ت 1396هـ) في قوله: «السموأل (...) مهندس رياضي، عالم بالطب والحكمة (...) له (المفيد الأوسط) في الطب، و(رسالة إلى ابن خدود) في مسائل حسابية، و(إعجاز المهندسين) فرغ من تصنيفه في صفر سنة 570هـ، و(القوامي) في الحساب الهندي، و(المثلث القائم الزاوية)، و(المنبر) في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها، و(نزهة الأحاباب في معاشرة الأصحاب - خ) في شستريتي (4151)، و(بذل المجهود في إفحام اليهود - ط) و(الباهر - خ) في الرياضيات بمكتبة أيا صوفيا»².

ويسرد علي عبد الله الفتاح بتفصيل أكثر: « (...) عالم حقق نبوغا في الرياضيات ولا سيما الجبر وكذلك الطب وعلوم اللغة، ومارس الطب في العراق وسوريا وكردستان وأذربيجان (...) وكتب رسالة ضد بعض طوائف اليهود ونقد مبادئهم ووسائلهم الملتوية (...) واستوطن مدينة بغداد حيث درس بعض فنون البلاغة، والحكمة، وعلم الرياضيات، والطب، والهندسة، ثم سافر إلى الموصل بعد أن اشتهر بمهارته في الطب (...) عاش السموأل في مدينة مراغة وهي إحدى مدن أذربيجان يمارس مهنة الطب، ويقوم على تدريس الطلاب علوم الطب

1 - الوافي بالوفيات، الصفدي، الجزء 15، رقم 5183، ص 276.

2 - الأعلام، الزركلي، ص 140.

والرياضيات. وقد أعد كتابا في ذلك يذكر فيه محاسن العقيدة الإسلامية ومساوئ خرافات اليهودية وأباطيلهم.

وقد استفاد السموأل المغربي من تجارب والده في الأعمال التجارية، حيث كان يصحبه في كثير من الأحيان إلى معظم البلاد الإسلامية ليشاهد العلماء المسلمين ويتعلم منهم في الطب والرياضيات. وقد استطاع أن يكون على علاقة قوية مع رجال الدولة المسلمين وعلمائها ويعمق ثقافته الإسلامية والعلمية. فخلال الفترة التي أقامها السموأل المغربي في بغداد استطاع أن ينجز كتاب المفيد الأوسط في الطب. الذي احتوى على معلومات أصيلة في العلوم الطبية حققها من خلال علمه وفكره وخبرته وتجاربه ومشاهداته واستنتاجاته الشخصية وأهدى هذا الكتاب إلى الوزير مؤيد الدين بن اسماعيل، وأصبح هذا الكتاب الجديرة بالدراسة والبحث لطلاب العلوم الطبية.

كانت لجهود السموأل المغربي آثار كثيرة، فقد ساهم في تأسيس قواعد الرياضيات وكذلك أضاف نظريات علمية لجهود الخوارزمي في الجبر حيث اهتم بحل المعادلات الجبرية من الدرجات المختلفة وبكل أنواعها. وناقش عمليات الضرب والقسمة والجذور التربيعية لمتعددات الحدود باستخدام الأسس السالبة والمعادلات المختلفة. كما قدم أمثلة عديدة تمثل خطوات متتابعة ومنتالية لما توصل إليه على صورة جداول، وقد ناقش قضية إيجاد حاصل جمع بعض المتواليات العددية وقدم نماذج لعمليات حسابية.

من أهم مؤلفات السموأل المغربي: كتاب الماهر في الجبر، كتاب رسالة إلى ابن خدود في مسائل حسابية، وكتاب إعجاز المهندسين، وكتاب في المياه ، وكتاب القوافي في الحساب الهندسي، وكتاب المثلث قائم الزاوية، وكتب كثيرة في الطب، وكتاب المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلفة، وكتاب المفيد الأوسط في الطب، وكتاب نزهة الأصحاب في معاشرة الأحاباب، وكتاب الباهر في علم الرياضيات»¹.

إذن من خلال ما تم ذكره سلفا، يمكن أن نخلص إلى أن هناك اتفاق حول موسوعية هذا العالم الجليل الذي تألق في علوم الحساب والجبر والهندسة، وامتهن الطب وصنع عدة أدوية كان له السبق في ابتكارها، كما خلف تراثا قيما صب فيه لب خبرته وتجربته في كل هذه المجالات التي تخصص فيها، في حيز زمني محدود. إضافة إلى ذلك نجد إجماعا حول نسبة هذه الكتب إليه، واتفاقا على مكان وتاريخ وفاته، في حين لم يتطرق أحد إلى تاريخ ولادته.

2. ما يقوله السموأل عن نفسه:

نظرا لأهمية شخصية السموأل وتأثير تكوينه العلمي وإسلامه على منهجه في الدراسة النقدية للتوراة كما سنوضح في هذه الدراسة، فإنه من الضروري سرد أهم محطات حياته وخصائصها كما يرويها هو عن نفسه في كتابه " بذل المجهود في إفحام اليهود".
فيقول: بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

1 - أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، علي عبد الفتاح، الجزء الأول، ص 495-496.

"وذلك أن أبي كان يقال له الرآب يهوذا بن آبون من مدينة فاس التي بأقصى المغرب والرآب لقب، وتفسيره: (الحبر) وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة وأقدرهم على التوسع في الإنشاء والإعجاز والارتجال لمنظوم العبراني ومنثوره. وكان اسمه العربي أبا البقاء يحيى بن عباس المغربي. وكان اتصاله بأمي ببغداد وأصلها من البصرة وهي إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة والكتابة بالقلم العبري وهن بنات إسحاق بن إبراهيم البصري اللبوي أعني من سبط ليوي وهو سبط مضبوط النسب لأن منه كان موسى عليه السلام، وكان اسمها أم شموايل، النبي عليه السلام، وكان هذا النبي قد ولد بعد أن مكثت أمه عاقراً، لا ترزق ولداً، عدة سنين، حتى دعت ربها في طلب ولد، يكون ناسكاً لله، (...) فرزقت شموايل النبي، وذلك كله مشروح في أوائل سفر شموايل النبي. فمكثت أمي عند أبي مدة لا ترزق ولداً، حتى استشعرت العقم، فرأت في منامها أنها تتلو مناجاة (حنة) أم شموايل لربها، فنذرت أنها إن رزقت ولداً ذكراً، تسميه شموايل، (...) وحين رزقتني دعيتي: شموايل، وهو إذا عرب: السموأل، وكناني أبي أبا نصر، وهي كنية جدي.¹

بعد أن بين لنا السموأل في بداية كتابه هذا نسبه من جهة أبيه وأمه، سينتقل بعد ذلك للتطرق إلى نشأته العلمية؛ فيقدم لنا تفاصيل عن العلوم التي درسها منذ صغر سنه،

1- إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، السموأل بن يحيى المغربي (570هـ)، تحقيق ودراسة محمد عبد الله الشرفاوي، مكتبة الزهراء، ص من 45 إلى ص 47.

حيث كان أبوه حريصاً على تعليمه اللغة العبرية وعلوم التوراة بدايةً. وبعدها اختار له من أفاضل العلماء ليتلمذ على أيديهم في علوم الحساب والجبر والطب والهندسة. فيقول: " وشغني بالكتابة بالقلم العبري ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدي، فشغني حينئذٍ بتعلم الحساب الهندي وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ أبي الحسن بن الدسكري¹، وقراءة علم الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي، والتأمل في علاج الأمراض ومشاهدة ما يتفق من الأعمال الصناعية في الطب والمعالجات التي يعالجها خالي أبو الفتح بن البصري. ثم قرأت الحساب الديواني وعلم المساحة والجبر والمقابلة على الشيخ أبي المظفر الشهرزوري² وترددت إلى الأستاذ أبي الحسن بن الدسكري وأبي الحسن بن النقاش لقراءة الهندسة حتى حللت المقالات التي كانا يحلانها من إقليدس وأنا في خلال ذلك متشاغل بالطب. وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهيني عن المطعم والمشرب إذا فكرت في بعضها، وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها ورددت على من أخطأ من واضعيها وأظهرت

1 - عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن الحصين الدسكري (ت 486هـ)، أبو سعد الفقيه الشافعي، ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار، ج 1، ص 194، 195.

2 - محمد بن القاسم بن المظفر بن علي، الفقيه، أبو بكر الشهرزوري، ثم الموصلية، تلميذ الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وسمع منه الحديث، ومن أبي القاسم الأنماطي، وبنيسابور من أبي بكر بن خلف. طاف البلاد في شبابه، وأكثر الترحال والاجتماع بالأئمة، وحدث بعدة بلدان، وولي القضاء بأماكن شتى. روى عنه جماعة منهم: السمعاني، والحافظ بن عساكر، ولد سنة 453هـ، ومات سنة 538هـ ببغداد. (طبقات الشافعية، عماد الدين إسماعيل بن عمر، ابن كثير المتوفى سنة 776هـ، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004م، الجزء الثاني، رقم 591، ص 573). علي بن القاسم بن المظفر بن علي، أبو الحسن الشهرزوري الموصلية الشافعي، قال ابن عساكر: تولى قضاء واسط، ثم قضاء الموصل، وكان حسن الاقتداء، شهماً، رجلاً من الرجال. توفي بجلب سنة 532هـ. طبقات الشافعية، ج 2، رقم 576، ص 568.

أغلاط مصنفها وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه وأزريت على إقليدس في ترتيب أشكال كتابه، بعد أن كان كتاب إقليدس معجزا لسائر المهندسين. وكل ذلك في هذه السنة أعني الثامنة عشرة من مولدي، واتصلت تصانيفي في هذه العلوم منذ تلك السنة. فدونت ذلك لينتفع به من يقع إليه، وفي خلال ذلك ليس لي مكسب إلا بصناعة الطب وكان لي منها أوفر حظ إذا أعطاني الله من التأييد فيها ما عرفت به كل مرض يقبل العلاج من الأمراض التي لا علاج لها، فما عالجت مريضا إلا عوفي، وما كرهت علاج مريض، إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء، وكفوا عن تدبيره، فالحمد لله على جزيل نعمته وعظيم فضله"¹.

لم يكتف هنا السموأل بتلقي العلوم فقط، بل أتقنها وألف فيها كتبا لينتفع الناس بها، بعد أن اطلع على أهم كتب الحساب والهندسة وحللها وأظهر ما في بعضها من أخطاء، وردّها على أصحابها. ولم يقتصر اهتمامه على علوم الرياضيات والطب والصيدلة، بل كان شغوفا كذلك بالأخبار والحكايات فاطلع على كتب التاريخ ليروي عطشه منها.

ويقول: " وقد كنت قبل اشتغالي بهذه العلوم -وذلك في السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة- مشغوفا بالأخبار والحكايات، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان من الزمن القديم،

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، السموأل بن يحيى المغربي(570هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء، ص من 47 إلى 51. (انظر أيضا: بذل المجهود في إفحام اليهود، للحكيم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي(570هـ)، من أعظم أبحار اليهود قبل إسلامه، قدم له وأخرج نصوصه وعلق عليه عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى 1410 هـ / 1989م، ص 11-12-13-14).

فاطلعت على التصانيف المؤلفة في الحكايات وال نوادر على اختلاف فنونها، وطلبت الأخبار الصحيحة، فمالت نفسي إلى التواريخ، فقرأت كتاب أبي علي بن مسكويه¹ الذي سماه تجارب الأمم، وطلعت تاريخ الطبري² وغيرهما من التواريخ. وكانت تمر بي في هذه التواريخ أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- وغزواته وما أظهر الله تعالى له من المعجزات، وحباه به من النصر والتأييد في غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرهما، وقصة منشئه في اليتيم والضعف، ومعاداة أهله له، وإقامته فيما بين أعدائه يجاهدونهم بإنكار دينهم عليهم، والدعوة إلى دينه مدة طويلة وسنين كثيرة إلى أن أذن الله له في الهجرة إلى دار غيرها، وما جرى لأعدائه من النكبات ومصرعهم بين يديه بسيف أوليائه ببدر وغيرها، وظهور الآية العجيبة في هزيمة الفرس، ورستم الجبار معهم في ألوف كثيرة، في غاية من الحشد والقوة، بين يدي أصحاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهم يسير على حالة شديدة من الضعف، وانكسار الروم وهلاك عساكرهم على يدي أبي عبيدة عامر بن الجراح، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، ثم سياسة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وعدلها وزهدهما.

1 - أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (320هـ/421هـ): فاضل في العلوم الحكيمة، متميز فيها، خبير في صناعة الطب، جيد في أصولها وفروعها، مؤرخ، فيلسوف، أديب. له من الكتب: كتاب الأشربة، وكتاب تهذيب الأخلاق، وكتاب تجارب الأمم، انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، ص 331.

2 - وهو كتاب "تاريخ الرسل والملوك"، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، شيخ المفسرين والمؤرخين، المحدث الفقيه المقرئ، ولد سنة 225هـ، وتوفي سنة 310هـ. (انظر معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1993م، الجزء الخامس، ص 2441 وما بعدها.) وقد نشر الكتاب بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بدار المعارف بمصر، سنة 1386هـ/1963م.

ومع ذلك، فإنني لكثرة شغفي بأخبار الوزراء والكتاب قد اكتسبت بكثرة مطالعتي لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم قوة في البلاغة ومعرفة بالفصاحة. وكان لي في ذلك طبع يحمده الفصحاء، ويعجب به البلغاء، فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الأدمية في القرآن العظيم، فعلمت صحة إعجازه.¹

انتقل اهتمام الحكيم السموأل المغربي بعد تزلعه في علوم الرياضيات واكتسابه لمبادئ المنطق وقوة الاستدلال من جهة، ولفصاحة والبلاغة بمطالعة الأخبار والحكايات من جهة أخرى، إلى النظر والتأمل في أحوال الناس واختلافهم في الأديان والمذاهب، بعيدا عن التعصب لدين على حساب آخر، محكما في ذلك العقل، ومستبعدا التقليد الأعمى.

فيقول: " ثم إنني لما هذبت خاطري بالعلوم الرياضية، ولا سيما الهندسة وبراهينها، راجعت نفسي في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، وكان أكبر المحركات لي، في البحث عن ذلك، مطالعتي كتاب (برذويه الطيب)، من كتاب (كليلة ودمنة)، وما وجدت فيه، فعلمت أن العقل حاكم، يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا؛ إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسول، وتصديق المشائخ والسلف، لما صدقناهم، في سائر ما تلقيناه عنهم. وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف، وأصل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب.

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، من ص 51 إلى 54.

وإذا نحن حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قوله من غير امتحان لصحته، بل لمجرد كونه مأخوذاً عن السلف، لكن من أجل أن يكون أمراً ذا حقيقة في ذاته، والحجة موجودة بصحته. فأما الأبوة السلفية وحدها فليست بحجة؛ إذ لو كانت حجة لكانت أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار كالنصارى، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله، وأنه الرازق المانع الضار. فإن كان تقليد الآباء والأسلاف يدل على صحة ما ينقل عنهم، فإن ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة المجوس، وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود خاصة دون غيرهم من الأمم، فلا يقبل ذلك منهم، إلا أن يأتوا بدليل على أن آباءهم وأسلافهم كانوا أعقل الأمم. فإذا ادعت اليهود ذلك في حق آبائهم وأسلافهم، فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم في ذلك. وإذا تركنا التعصب لهم، فنحن نجعل لآبائهم أسوة بسائر آباء غيرهم من الأمم. فإذا كانت آباء النصارى وغيرهم قد نقلوا عن آبائهم الكفر والضلال الذي تهرب العقول منه، وتتفرغ الطباع السليمة عنه، فليس بممتنع أن يكون ما نقله اليهود عن آبائهم أيضاً بهذه الصفة. فلما علمت أن اليهود لهم أسوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسلاف، علمت أن ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوته موسى - عليه السلام - إلا شهادة التواتر. وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - كوجوده لموسى - عليه السلام - فإن كان التواتر يفيد تصديقا، فالثلاثة صادقون ونبوتهم معا صحيحة¹.

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمائل، ت الشرفاوي، من ص 54 إلى 58.

أدى تحكيم العقل وترجيحه عند السؤال إلى اقتناعه بالدليل القاطع بنبوة الأنبياء الثلاثة: موسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام جميعا، ومن تم اعتنق الإسلام، دون أن يلتزم بأداء فرائضه، مراعاة منه لحب أبيه له وتعلقه الشديد به وحرصه الدائم على تربيته وتعليمه، فلم يرد كسر خاطره بإعلانه إسلامه. فيتابع قوله: "وعلمت أيضا أنني لم أر موسى بعيني ولم أشاهد معجزاته، ولا معجزات غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئا من ذلك. فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق واحدا ويكذب واحدا من هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - لأنه لم ير أحدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل. وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم. فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدق أحدهم ويكذب الباقيين. بل الواجب عقلا أن يصدق الكل. فأما تكذيب الكل، فإن العقل لا يوجبه أيضا؛ لأننا إنما نجدهم أتوا بمكارم الأخلاق، وندبوا إلى الفضائل، ونهوا عن الرذائل، ولأننا نجدهم قد ساسوا العالم سياسة بها صلاح حاله. فصح عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى -عليهما الصلاة والسلام - وآمنت بهما. فمكثت برهة أعتقد ذلك من غير أن ألتزم الفرائض الإسلامية؛ مراقبة لأبي. وذلك أنه كان شديد الحب لي، قليل الصبر عني، كثير البر بي. وكان قد أحسن تربيتي؛ إذ شغلني منذ أول حدائتي بالعلوم البرهانية، وزين ذهني وخاطري في الحساب والهندسة المعلمين. فمكثت مدة طويلة لا يفتح علي وجه الهداية، ولا تحل عني هذه الشبهة، وهي مراقبة أبي، إلى أن حالت الأسفار بيني وبينه، ومدت داري عن داره، وأنا مقيم على

مراقبته، والتزم من أن أفجعه بنفسه. وحان وقت الهداية، وجاءتني الموعظة الإلهية برؤيتي للنبي -صلى الله عليه وسلم - في المنام، في ليلة الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسائة. وكان ذلك بالمراعة من أذربيجان"¹.

نخلص في نهاية هذا المطلب إلى أن السموأل المغربي (570هـ) قد كتب سيرته الذاتية بدقة وشمول، بدءا بتحديد نسبه، دون أن يشير إلى تاريخ ميلاده، مؤكدا بذلك ما جاء في كتب التراجم من أنه كان عالما متقنا لعدة علوم منها: اللغة العبرية وعلوم التوراة، الرياضيات، الطب، الهندسة. وقد ساعده على ذلك أنه نشأ في بيئة علمية، إذ كان أبوه حبرا من أحبار اليهود وأعلم أهل زمانه بعلوم التوراة، إذ سعى دائما إلى انتقاء أفضل العلماء لتلقين العلوم لابنه، فكان السموأل على حداثة سنه يبرع ويبدع في كل علم تعلمه، حتى غدا بحرا من العلوم، فساقه كل ذلك إلى الخوض في البحث في الأديان واختلافها، إلى أن اقتنع واهتدى إلى الإسلام فاعتنقه سنة 558هـ.

المطلب الثاني: نشأته العلمية

عرف السموأل أنه من العلماء الموسوعيين لسعة اطلاعه، فلم يكن من الذين يقصرون جهودهم على الموضوع الواحد ولا يقنعهم التخصص الضيق بل اجتهد في كافة العلوم، فقد أحاط بالعلوم الرياضية في عصره حتى صار حجة عصره في علمي الجبر والحساب. كما درس الطب على يد ابن ملكا البغدادي حتى أصبح طبيبا ماهرا.

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 58 - 59. انظر أيضا: بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق عبد الوهاب طويلة، ص 14- 15 - 16.

فقد ولد السموأل في بيت علم، فكان أبوه حبرا يهوديا، ومن ثم نشأ ابنه وحيدته تنشئة علمية

ممتازة، فتمكن من اللسان العبري، ودرس التوراة وفقهها وعلومها.¹

ثم درس الهندسة والرياضيات والهيئة وشيئا من علوم اليونان والطب على كبار المهندسين

والأطباء المرموقين، والمشهود لهم من المفكرين مثل: الدسكري، وهبة الله بن ملكا

البغدادى، والشهرزوري، وغيرهم. وقام برحلات وأجرى مقابلات ولقاءات مع العلماء

والشيوخ.²

وكان قد التفت قبل ذلك إلى دراسة الأساطير، فالتاريخ، والسيرة النبوية الطاهرة، ومما

أعانه في النبوغ في كل فن من هذه الفنون، ذهن متوقد، وتفرغ، وحرص، وحب عظيم

للعلم وتشاغل به.³

ومما يؤكد ذلك، قوله: " وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها ما يلهيني عن

المطعم والمشرب، إذا فكرت في بعضها. فخلوت بنفسي، في بيت مدة، وحللت جميع تلك

المسائل وشرحتها، ورددت على من أخطأ من واضعيها، وأظهرت أغلاط مصنفها، (...)

وقد كنت قبل اشتغالي بهذه العلوم، معتنيا بالأخبار والحكايات⁴.

1 - إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، للإمام المهدي السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق ودراسة محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل - بيروت، مكتبة الزهراء بجرم جامعة القاهرة، طبعة 1404هـ / 1983م، ص 21.

2 - المصدر نفسه، ص 22.

3 - المصدر نفسه، ص 22.

4 - المصدر نفسه، ص 50 - 51.

حصل على كل هذه العلوم، وهو في السنة الثامنة عشرة من عمره، ثم صنف واتصلت تصانيفه منذ تلك السنة إلى أن وفاه الأجل. وكان له حظ وافر في صناعة الطب والصيدلة. ومما قرأه من كتب التاريخ: " تاريخ الطبري"، وتاريخ أبي علي مسكويه المسمى " تجارب الأمم".¹

ومن قراءة التاريخ تعرف على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهاده، وصبره، واحتماله، وعلمه، وحلمه، وسمو خلفه، وهجرته، وعرف سيرة صحابته، والغزوات، والانتصارات المعجزة، لقلة العدد والعدد، من هنا انتبه حسه وقبلة وعقله ووجدانه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ودرس من رسالته.²

ثم كان له نصيب وافر من الفصاحة والبلاغة والتذوق الأدبي الرفيع ومن ثم التفت إلى معجزة القرآن الذي لا يباريه كتاب في هذا الباب، فعلم وتيقن من صحة إعجازه. ولقد انعكست ثقافته المتنوعة الواسعة في رصانته العلمية، وإحكام براهينه، وقوة جدله، وصحة لغته، وجزالة أسلوبه، وفخامة لفظه، يبرز هذا لو قارنا كتاب: «إفحام اليهود» بما كتبه المهتدي سعيد بن حسن الإسكندراني الذي انتقل إلى الإسلام من اليهودية سنة 697 هـ، في كتابه المسمى: «مسالك النظر في نبوة سيد البشر».³

1 - إفحام اليهود، وقصة إسلام السمائل، ت الشرقاوي، ص 22.

2 - المصدر نفسه، ص 23.

3 - المصدر نفسه، ص 23.

المطلب الثالث: كراهيته للتقليد والجمود

تجمع للسموأل فيض زاخر من المعرفة بالإسلام، وكان عقله وقلبه قد اطمأنا إلى صحة معجزة القرآن الكريم، ولأنه قد تربي حسه على المنطق، وتهذب خاطره على العلوم الرياضية والهندسية، وما تقتضيه من ضروب البرهنة، والتحقق من صحة الفروض تحققاً عقلياً، ولم يكن له من التقليد والجمود إلا حظ النفور والكراهية والمقت. فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، وفكر وتدبر، وكان قد رسخ يقينه بأن العقل حاكم، يجب تحكيمه على كليات الأمور، إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل وتصديق السلف، لما صدقناهم في سائر ما تلقيناه عنهم، يقول في ذلك ما نصه: "وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف، وأصل اتباع الأنبياء، مما أدى إليه العقل، فإن تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب".¹

إذا نحن حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد، علمنا أن النقل عن السلف، ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته، بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف، لكن من أجل أنه يكون أمراً ذا حقيقة في ذاته، والحجة موجودة بصحته.

فأما الأبوة والسلفية وحدهما: فليستا بحجة، إذ لو كانتا حجة، لكانتا أيضاً حجة لسائر الخصوم الكفار: كالنصارى، فإنهم نقلوا عن أسلافهم أن عيسى ابن الله، وأنه الرازق

1 - إفحام اليهود، وقصة إسلام سموأل، ت الشرقاوي، ص 24.

المانع الضار النافع.¹ فإن كان تقليد الآباء والأسلاف، يدل على صحة ما نقل عنهم، فإن

ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة النصارى، ومقالة المجوس.²

ويوظف الإمام السموأل هذا الأصل العلمي المنهجي الثابت في مناقشة دعوى اليهود،

وتفنيد مزاعمهم، ونقض تأسيسهم ويستخدمه بمهارة واقتدار يعكسان ثقافته الرياضية

الهندسية والمنطقية.³

وهكذا يظهر لنا في ختام هذا المبحث أن العالم الجليل السموأل المغربي من خلال سرده

لسيرته الذاتية يؤكد صحة ما ترجمت له كتب التراجم التي تم ذكرها، فقد دقق وفصل في

نسبه، ونشأته، وتكوينه العلمي، إلى أن هداه الله إلى الإسلام فأصبح من الداعين إليه

والمدافعين عنه. ويعتبر من العلماء المهتمين القلائل الذين خدموا الدين الإسلامي وقدموا

للإنسانية خدمات جليلة في مجالات علمية مختلفة كالطب والرياضيات وغيرها من العلوم

التجريبية والنظرية، من خلال مؤلفات أصبحت مرجعا للعلماء والباحثين من بعده وإلى

حدود عصرنا الحاضر.

1 - إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، الشرقاوي، ص 24. (وانظر شريعة إيمانهم في المصادر التالية: النصيحة الإيمانية لفضيحة الملة النصرانية، للمهدي نصر بن يحيى المتطبب. وتنشيط دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار، والفصل لابن حزم).

2 - إسلام السموأل: المخطوط. عن إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، ص 24.

3 - إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، الشرقاوي، ص 24.

المطلب الرابع: السموأل بين التأثير والتأثر

• هل تأثر السموأل بمن سبقه؟

قد يظن أن تلمذة السموأل على يد الفيلسوف (الذي كان يهود وأسلم) هبة الله بن ملكا (ت560هـ)، صاحب كتاب "المعتبر في الحكمة"، وقد يظن كذلك أن زمانته ومعاصرتة

لموفق الدين البغدادي في طلب العلم جعلته يتأثر بهذا المناخ الجدلي الفكري.

لكن ينبغي ألا ننسى أن السموأل نفسه قد أخبرنا أنه انتقل من اليهودية إلى الإسلام، بعد أن نظر وفكر وتدبر، وأيقن بالبرهان القاطع بطلان ما عليه اليهود، بل إنه يصر على ذلك، لدرجة أنه لم يُذع مناميه اللذين رأى فيهما شموائيل النبي، والمصطفى صلى الله عليه وسلم، إلا بعد أربع سنوات من إعلان إسلامه، حتى لا يظن أنه قد ترك دينه لأضغاث أحلام وهو اجس غامضة.

وإنه في سيرته الذاتية التي كتبها بقلمه، قد كفانا مؤونة الافتراض والتخمين والاستنتاج، ولم تكن الرؤيا هي التي حملته على الانتقال إلى الإسلام، فهي كانت رادعة له وزاجرة عن التمادي في عدم إعلان أو إشهار ما آمن به، وأيقن بصحته. فهو قد آمن بالإسلام بعد نظر وتمعن ومقارنة بين الأديان وعقائدها وحججها.¹

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشراوي، ص 27 و 28.

• تأثير السموأل فيمن بعده:

تأثر بالسموأل عدد من علماء الأديان، ومن هؤلاء نذكر القرافي (ت 749هـ) في كتابه "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة"، وابن القيم (ت 728هـ) في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

إلا أن الإمام القرافي لم يشر في رده على اليهود والنصارى، ولو مرة واحدة، إلى أنه أخذ من غيره، ولكن من خلال البحث تبين أنه يأخذ من السابقين قبله، فهو يأخذ من السموأل، كما أنه يأخذ من أبي عبيدة الخزرجي، ويأخذ من القرطبي، وأكثر أخذه من أبي البقاء الجعفري.¹

فمن أمثلة أخذ القرافي من السموأل:

• يقول السموأل في إثبات تحريف التوراة: "علمائهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة، لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يثبتها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي... ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (هاأزينو)... ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة"².

1 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ص 242.

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق محمد عبد الله الشراوي، ص 135 وما بعدها.

• ويقول القرافي: " إن أحبار اليهود يعلمون علما يقينا أن هذه التوراة ليست المنزلة على بني إسرائيل بعينها، بسبب أن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنها منهم، وخص بها ...أولاد ليوي... ولم يبذل موسى عليه السلام لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها هأزينو...ثم إن الهارزنيين الذين خصوا بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة"¹.

• يقول السموأل في رده على اليهود في إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام: " أليس في التوراة التي في أيديكم... (لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرائهم، إلى أن يأتي المسيح)، ولا يقدر على جده، أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام، ثم انقضى ملككم، فإن لم يكن لكم اليوم ملك، فقد لزمكم من التوراة، أن المسيح قد أرسل"².

• ويقول القرافي: " إن نص التوراة يقتضي نبوته عليه السلام، وهو أن فيها (...) لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرائهم، إلى أن يأتي المسيح، وكذلك كان، مازالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح عليه السلام، ثم صاروا ذمية محقورة، ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه، وهو دليل قاطع على نبوته عليه السلام"³.

1 - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي، ت بكر زكي عوض، الطبعة الثانية 1407هـ/1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 78.

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق محمد عبد الله الشراوي، ص 102.

3 - الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص 71.

وأما الإمام ابن القيم، فقد اعتمد رحمه الله جملة من المصادر التي لها قيمتها العلمية، وقد تنوعت ما بين كتب في التفسير، وفي الحديث، وفي السيرة النبوية، وكذلك كتب الطبقات وتراجم الصحابة... كما اعتمد مجموعة من المصادر المتخصصة في موضوع البحث مثل "بذل المجهود في إفحام اليهود" للسموأل، وكتاب "بين الإسلام والمسيحية" لأبي عبيدة

الخرجي، وكتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخه ابن تيمية.¹

ولقد بلغ من احتفاء عالم كابن القيم، بالمعلومات الدقيقة التي أوردها سموأل، أن اعتمد عليها وجعلها العمدة والأساس في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، فلقد ضمن ابن القيم كتابه هذا فصولاً بأكملها من كتاب (إفحام اليهود).²

وهذا ما أكده المحقق عبد الوهاب طويلة من أن هذا الكتاب قد أفاد منه واستشهد بنصوصه كثير من العلماء والباحثين الذين اشتغلوا بمناظرة أهل الكتاب أو مقارنة الأديان قديماً وحديثاً، وعلى رأسهم ابن القيم رحمه الله في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".³

كما أنه ضمن كتابه "إغاثة اللهفان" كتابات سموأل بنصها، في فصول مطولة، واعتمد عليها اعتماداً كلياً وليس ذلك فحسب لكنه عندما تحدث عن أحكام اليهود في كتابه "أحكام أهل الذمة" أخذ عن كتاب سموأل نصاً وروحاً، وبذلك كان سموأل مصدراً علمياً

1 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، مقدمة المحقق، ص 58 - 59.

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام سموأل، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ص 31.

3 - بذل المجهود في إفحام اليهود، عبد الوهاب طويلة، ص 11. من مقدمة المحقق.

مهما لابن القيم، وليس من الدارسين لابن القيم من وضعه بين شيوخ الذين نهل من تراثهم، خصوصا وأن ابن القيم رحمه الله لم ينسب كلام السمؤال إلى صاحبه صراحة، بل سكت عن ذلك في كل المواضع.¹

ويمكن القول بأن ابن القيم قد نشر كتاب (إفحام اليهود) في كتبه، نشره يكاد يكون تاما أكثر من مرة، وهو بذلك قد أفاد المسلمين بلاريب، وأما عدم الإشارة إلى السمؤال أو غيره، ربما كانت طريقة في التأليف والتصنيف آنذاك.²

ومن أمثلة أخذ ابن القيم من السمؤال:

يقول السمؤال في إلزام اليهود بالنسخ: (أن من أمر بشيء وضده، في زمانين مختلفين،

غير مناقض بين أوامره، وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد).³

ويقول ابن القيم مفصلا ومبينا: (ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر

بالشيء في وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به في وقت آخر، لحصول المصلحة وتبدله بما

هو خير منه، وينهى عنه ثم يبيحه في وقت آخر لاختلاف الأوقات والأحوال في

المصالح والمفاسد).⁴

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، مقدمة المحقق ص 31.

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، مقدمة المحقق ص 32.

3 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، ت الشرقاوي، ص 88.

4 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ص 444.

يقول السموأل في بيان كفرهم وفساد عقولهم وتجريئهم على الله تعالى: (انتبه لم تنام يارب، استيقظ من رقدتك).¹

ويقول ابن القيم: ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له: (يا أبانا انتبه من رقدتك، كم تنام).²

ويستبين مما سبق أن الإمام السموأل رحمه الله، لم يتأثر بمنهج من سبقه من علماء مقارنة الأديان، وأثر فيمن جاء بعده، وهذه ميزة قل من تميز بها مثل السموأل. وبذلك يمكن القطع بأن كتاب (إفحام اليهود) قد أثر تأثيرا إيجابيا عميقا فيمن كتب في مجال مقارنة الأديان عموما، وفي جدل اليهود خصوصا، ولقد عرض السموأل فيه لقضايا أساسية رئيسية مثل النسخ، ونبوة محمد وموسى والمسيح عليهم السلام، وفرق اليهود، وتحريفهم، وتدوين التوراة ووضع شروحهم عليها. كما عرض لقضايا فرعية، لكنه قد وظفها بمهارة عجيبة في جدال خصمه، وفي تجلية قضايا الرئيسية وكشفها. وقد أظهر قدرة جدلية فائقة، تميزت عن جدل المتكلمين التقليديين بإلزامها الخصم وقطعه، وإقناع القارئ في نفس الوقت بما أحب أن يقنعه به، فهو جدال علمي رصين، غير جاف أو مستنكر.³

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 131.

2 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ص 444.

3 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ص 32.

ففي نقد نقده للافتراءات التي طالت موضوع الألوهية، سلك الحكيم السموأل مسلك الإتيان بنصوص من التوراة أو ببعض ما يتلونه في صلاتهم تثبت تجسيمهم لله تعالى وتشبيهه بمخلوقاته.¹

وفي موضوع نقد افتراءات اليهود في النبوة والأنبياء، ركز الحكيم السموأل على القصص المفتريات في التوراة وأوضح أن الباعث عليها هو العداوة المستحكمة بين الهارونيين والداووديين بسبب الإمامة فيهم، فاستغل عزرا وهو هاروني كتابته للتوراة ليطعن في شرف منافسيهم، فأوصل نسب داود إلى فارص أحد أجداده وهو ابن سفاح من زنى يهوذا ابن يعقوب بزوجة ابنه، وأما الموابيون وبني عمون فهم أيضا أبناء زنى لوط بابنتيه²، ويرى الحكيم السموأل أن المحرفين أرادوا تحقيق هدفين من هذه الافتراءات، الطعن في شرف أعدائهم والتهرب من تطبيق حد الزنا بنسبته إلى أنبيائهم.³

1 - سفر الخروج 24: 9 - 11، و 31: 15، سفر التكوين 6: 5 - 7، و 8: 21.

2 - سفر التكوين 19: 30 - 38 و 38: 1 - 30.

3 - مجلة المدونة، ص 342.

المبحث الثالث: قصة إسلام السموأل المغربي ودوافع ذلك

نالت قصة إسلام السموأل بن يحيى المغربي من اهتمام العلماء والباحثين في المجال ما لم تنله غيرها من قصص إسلام المهتدين، اعتبارا لنسبه ولكونه من أكبر احبار اليهود، ولمكانته العلمية، مما جعله عرضة للانتقاد من طرف أهل ملته الذين لم يتقبلوا تركه لدينه ودخول الدين الإسلامي الجديد. كما لم يكن من اليسير عليه إعلان إسلامه أمام والده خشية عقوقه له، فوجد نفسه في صراع بين كل هذا ومجموع القناعات القوية بالإسلام وتأثير الرؤى والمنطق العقلي الذي يمليه تخصصه في العلوم التجريبية والنظرية، حيث أفضى به إلى الاهتداء لمصادر انحراف العقل لدى أهل الكتاب.

وقد أورد بنفسه قصة إسلامه في كتابه " إفحام اليهود"، حيث بين فيها الدوافع والأسباب التي أدت إلى تأخر جهره بالإسلام رغم اقتناعه المبكر به.

وهذا نص روايته: بعد حمد الله والصلاة على نبيه، محمد المصطفى، وعلى آله:

" إن العناية الإلهية لتسوقه من تسبق - في علم الله - هدايته حتى يوجد منه الاهتداء، في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى وجوده منه فيه. وأنا أذكر سبب ما وفقني الله له من الهداية، وكيف انسأقت بي الحال، منذ نشأت إلى انتقالي عن مذهب اليهود، ليكون عبرة وموعظة لمن يقع إليه. وليعلم متأمله، أن اللطف الإلهي، أخفى من أن يحاط بكنهه فإن الله يخص بفضله من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويهديه صراطا مستقيما".¹

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي. ص 45.

بعد هذا التقديم انتقل إلى بيان أهمية كتب السير في قصة إسلامه، حيث يقول: " فمالت نفسي إلى التواريخ، (...)، وطالعت تاريخ الطبري وغيرها من التواريخ. وكانت تمر بي (...) أخبار النبي - صلى الله عليه وسلم- وغزواته وما أظهر الله تعالى له من المعجزات، وحباه به من النصر والتأييد (...). ومع ذلك فإني لكثرة شغفي بأخبار الوزراء والكتاب، قد اكتسبت بكثرة مطالعتي لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم، قوة في البلاغة ومعرفة بالفصاحة (...). فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الأدبية في القرآن العظيم، فعملت صحة إعجازه (...) ثم إني لما هذبت خاطري بالعلوم الرياضية، ولا سيما الهندسة وبراهينها، راجعت نفسي في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب. وكان أكبر المحركات لي، في البحث عن ذلك، مطالعتي كتاب (برذويه الطيب) من كتاب (كليلة ودمنة)، وما وجدت فيه، فعملت أن العقل حاكم، (...) إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل، (...) لما صدقناهم، (...) فأما الأبوة والسلفية وحدهما فليستا بحجة. "1

وهكذا يعرض السموأل دوافع إسلامه، وما أثر فيه من قراءات ومواقف، فقد قرأ كتب التاريخ والسيرة، واطلع على معجزات وكرامات النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أدرك وأيقن بصحة إعجاز القرآن الكريم، بعدها بدأ المقارنة والتأمل في أديان الناس، وترك التقليد، وحكم العقل. إلى أن انتهى إلى التيقن بصحة النبوات الثلاث: لموسى وعيسى ومحمد

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص من 51 إلى 55.

عليهم الصلاة والسلام. وعندما صح عنده بالدليل القاطع، نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليه وسلم، آمن بهما.

حيث قال: " (...) علمت أن ليس بأيديهم حجة صحيحة، بنبوة موسى، إلا شهادة التواتر. وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد كوجوده لموسى، عليهم السلام أجمعين، فإن كان التواتر يفيد تصديقا، فالثلاثة صادقون، ونبوتهم معا صحيحة. (...) فصح عندي، بالدليل القاطع، نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم، وآمنت بهما"¹.

إلا أن مسألة البر بوالده، منعتة أن يعلن إسلامه إذ ذاك، إلى أن فتح الله عليه، وحل عنها، لما رأى مناما. ولم يكن انتقاله إلى الإسلام لمجرد الرؤيا، بل إنها دفعته لأن يشهر ما اهتدى إليه بالدليل العقلي القاطع، واعتقده سرا.

وهذا ما يوضحه من خلال كلامه: " (...) فمكثت برهة أعتقد ذلك، من غير أن ألتزم الفرائض الإسلامية، مراقبة لأبي، وذلك أنه كان شديد الحب لي، قليل الصبر عني، كثير البر بي، وكان قد أحسن تربيتي، إذا شغلني منذ أول حدثي، بالعلوم البرهانية وربى ذهني وخطري في الحساب والهندسة، العلمين اللذين مدح أفلاطون² عقل من يتربى ذهنه في النظر فيهما، فمكثت مدة طويلة، لا يفتح علي وجه الهداية، ولا تنحل عني هذه

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمائل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، ت الشرقاوي، ص 58 و 59.

2 - هو الفيلسوف اليوناني المشهور، ولد 428 ق.م، وتوفي 347 ق.م. (انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أصيبعة، تحقيق عامر النجار، ص 261 إلى 263).

الشبهة، وهي مراقبة أبي، إلى أن حالت الأسفار بيني وبينه، وبعدت داري عن داره، وأنا مقيم على مراقبته، والتذمم من أن أفجعه بنفسه.

وحان وقت الهداية، وجاءتني الموعظة الإلهية برؤيتي للنبي صلى الله عليه وسلم، في المنام ليلة الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسة، وكان ذلك بمراغة¹ من آذربيجان.²

وهذه تفاصيل المنامين اللذين رآهما السموأل كما يرويها بنفسه:

• المنام الأول:

يقول السموأل: « رأيت كأني في صحراء فيحاء، مخضرة الأرجاء، يلوح من شرفها شجرة عظيمة، والناس يهرعون إلى تلك الشجرة، فسألت بعضهم عن حال الناس، فقال: "إن تحت الشجرة شمائل النبي جالس والناس يسلمون عليه فسررت بما سمعته، وقصدت الشجرة فوجدت في ظلها شيخا جسيما، بهيا، وقورا، شديد بياض الشعر عظيم الهيبة، بيده كتاب ينظر فيه، فسلمت عليه، وقلت بلسان عربي: السلام عليك يا نبي الله، فالتفت إلي مبتسما وهش إلي، وقال: وعليك السلام، يا شريكنا في الاسم، اجلس لنعرض عليك أمرا. فجلست بين يديه، فدفع إلي الكتاب الذي بيده، وقال: اقرأ ما تجده بين يديك. فوجدت بين

1 - عاصمة إقليم آذربيجان بإيران.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 59.

يدي هذه الآية من التوراة: " نابي أقيم لاهيم مقارب أحيهم كاموخا إيلا ويشماعون ".

تفسيره: نبيا أقيم لهم من وسط أخوتهم مثلك، به فليؤمنوا.¹

وهذه مناجاة من الله عز وجل لموسى، وكنت أعرف أن اليهود يقولون: إن هذه الآية نزلت في حق شموائل النبي، لأنه كان مثل موسى، يعنون أنه كان من سبط ليوي، وهو السبط الذي كان منه موسى.

فلما وجدت بين يدي، هذه الآية من التوراة، قرأتها، وظننت أنه يذهب إلى الافتخار، بأن الله تعالى ذكره في التوراة، وبشر به موسى عليه السلام. فقلت: هنيئا لك يا نبي الله، ما خصك الله به من هذه المنزلة. فنظر إلي مغضبا، وقال: (أو إياي أراد الله بهذا، يا ذكيا...! ما أفادتك إذا البراهين الهندسية؟). فقلت: يا نبي الله، فمن أراد الله بهذا؟.

قال: الذي أراد به في قوله: "هو فيع ميهار فاران". وتفسيره: إشارة إلى نبوة وعد بنزولها على جبال فاران، فلما قال لي ذلك، عرفت أنه يعني: المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأنه المبعوث من جبال فاران، وهي جبال مكة، لأن التوراة ناطقة نسا بأن فاران مسكن لآل إسماعيل.² وذلك قول التوراة: (ويشب بمد نار فاران). تفسيره: "وأقام في برية فاران"³، يعني إسماعيل ولد إبراهيم الخليل عليهما السلام. ثم إنه عاد والتفت إلي، وقال: (وأما

1 - جاء في سفر التثنية الإصحاح 18: (18 - 22): يتكلم موسى عليه السلام: (قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا،

أقيم لهم نبيا من وسط إخوانهم، مثلك، وأجعل كلامي في فمه...).

2 - انظر سفر التكوين، الإصحاح 21: (20 - 21): " وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر".

3 - انظر سفر التكوين، الإصحاح 21: (18 - 21). (ص 31 نشرة البروتستانت ط 1970 م).

علمت أن الله لم يبعثني بنسخ شيء من التوراة، وإنما بعثني، لأذكرهم بها، وأحيي شرائعها، وأخلصهم من أهل فلسطين؟!). فقلت: بلى يا نبي الله. قال: (فأي حاجة لهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم، ولم يغير شريعتهم؟؟ أرايتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال، أو أرميا، أو حزقيل؟)¹. فقلت: لا، لعمرى، لم يحتج إلى ذلك. ثم أخذ المصحف من يدي وانصرف مغضبا، فارتعت لغضبه، وازدجرت لموعظته، واستيقظت مذعورا، فجلست، وكان وقت السحر، والمصباح يقدر في غاية استنارته، فتذكرت المنام جميعه، فإذا أنا قد تخيلته، لا يذهب علي منه شيء.

فعلمت أن ذلك، لطف من الله سبحانه وتعالى وموعظة لإزالة الشبهة التي كانت تمنعني من إعلان كلمة الحق والتظاهر بالإسلام. فتبت إلى الله من ذلك واستغفرته، وأكثرت من الصلاة على رسول الله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأسبغت الوضوء، وصليت عدة ركعات لله عز وجل، وأنا شديد الفرح والسرور بما قد انكشف لي من الهداية. ثم جلست مفكرا، فغلب علي النوم عند تفكري ونمت»².

وجد السؤال المغربي ضالته في هذه الرؤيا، فاعتبرها إشارة من الله تعالى له لإزالة الشبهة التي منعتة من الجهر بإسلامه، كما كان دافعا له للاستغفار وأداء أول صلاة له بعد أن اطمأن قلبه لما رأى.

1 - دانيال وأرميا وحزقيل: هم من أنبياء بني إسرائيل وتنسب لهم أسفار بأسمائهم، سفر دانيال، سفر أرميا، وسفر حزقيال. (المزيد من التفاصيل عن هذه الأسفار، انظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ص 63. انظر أيضا: التوراة تاريخها وغاياتها، ص 41 و42).

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، ت الشرقاوي، ص 60 - 64.

• المنام الثاني:

يحكي السموأل عن منامه الثاني الذي كان الدافع القوي والمباشر لتخليه عن غفلته، وإسراعه للجهر بإسلامه في أحد مساجد مراغة، حيث تمكن من رؤية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المنام.

فيقول: " فرأيت كأني جالس في سكة عامرة، لا أعرفها، إذ أتاني آت، عليه ثياب المتصوفة وزى الفقراء، فلم يسلم علي، لكنه قال: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهبته، وقمت معه مسرورا مسرعا مستبشرا بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم، فسار بين يدي، وأنا من ورائه حتى انتهى إلى باب دار، فدخله واستدخلني، فدخلت وراءه، وسرت خلفه في دهليز طويل، قليل الظلمة إلا أنه مظلم.

فلما انتهيت إلى طرف الدهليز، وعلمت أنه قد حان إشراف النبي صلى الله عليه وسلم، هبت لقاؤه هيبة شديدة، فأخذت في الاستعداد للقاءه وسلامه. وذكرت أنني كنت قد قرأت في أخباره صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا لقي في جماعة قيل: (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته). وإذا لقي وحده قيل: السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته. فعزمت على أنني أسلم عليه سلاما عاما، لتدخل الجماعة في السلام، لأنني رأيت ذلك كأنه الأولى والأليق. ثم أشرفت على صحن الدار، وكان مقابل الدهليز مجلس طويل، وعن يسرة الداخل مجلس آخر، وليس في الدار غير هذين المجلسين.

وفي كل واحد من المجلسين، رجلان لا أحقق الآن صور أولئك الرجال، إلا أنني أظن أكثرهم كانوا شبانا، لكنهم كانوا كالمتهيين للسفر. فمنهم من يلبس ثيابا للسفر، وأسلحتهم قريبة منهم، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائما فيما بين المجلسين، أعني في الزاوية التي في ذلك الركن من أركان الصحن، وكأنه قد كان في شغل، وقد فرغ منه وانقلب عنه ليشرع في غيره، ففجأته بالدخول عليه قبل شروعه في غيره. وكان صلى الله عليه وسلم لابسا ثيابا بيضا، وعمامته معتدلة اللطافة، وعلى عنقه رداء أبيض حول عنقه، وهو معتدل القامة، نبيل، جسيم، معتدل اللون بين البياض والحمرة، واليسير من السمرة، أسود الحاجبين والعينين، وشعر محاسنه نصف كأنه شعره، وشعره ومحاسنه أيضا معتدلة بين الطول والقصر.

ولما دخلت عليه ورأيت، التفت إلى ورآني، فأقبل علي مبتسما، وهش إلي جدا. فذهلت لهيبته عما كنت قد عزمت عليه من السلام، فسلمت سلاما خاصا.

فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. وألغيت الجماعة، فلم ألتفت ببصري وقلبي إلا إليه. فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ولم يكن بين تسليمي عليه، وبين سعبي إليه توقف ولا زمان، بل جريت إليه مسرعا، وأهويت بيدي إلى يده، ومد يده الكريمة إلي، فأمسكتها بيدي، وقلت: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله).

وذلك أنه خطر بقلبي أن النحاة: منهم من زعم أن الأسماء الأعلام هي أعرف المعارف، ومنهم من يقول إن الأسماء المضمرة هي أعرف المعارف، وهو الصحيح، لأن الكاف من

قولي "أنك" لا يشارك المخاطب فيه أحد، لأنها لا تقع إلا عليه وحده¹. فرأيته قد ملئ ابتهاجا! ثم جلس في الزاوية التي بين المجلسين، وجلست بين يديه، وقال: (تأهب للمسير معنا إلى غمدان للغزاة²). فلما قال ذلك وقع في نفسي أنه يعني: (المدينة العظمى) التي هي كرسي ملك الصين، وأن الإسلام لم يستول عليها بعد. وكنت قد قرأت قبل ذلك أن الطريق الأقرب المسلوك إلى الصين، في البحر الأخضر، وهو أشد البحار أهوالا وأعظمها أخطارا.

فلما سمعت ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم، خفت من ركوب البحر، وقلت في نفسي: إن الحكماء لا يركبون البحار فكيف أركب البحر؟ ثم قلت: في نفسي أيضا من غير توقف، يا سبحان الله! أنا قد آمنت بهذا النبي، وبايعته، أفيأمرني بأمر، ولا أتابعه؟ فإذا أي مبايعة تكون مبايعتي له؟ وعزمت على السمع والطاعة.

ثم وقع لي خاطر آخر، وقلت: إذا كان معنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فإن البر والبحر يكونان مسخرين لنا، ولا خوف علينا من سائر الأخطار. وطاب قلبي بذلك وحسن يقيني وقبولي. وأنا أنكر أن هذه الأفكار والخواطر، ظهرت لي وأنا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، في غير زمان، أعني من غير توقف يستبطنني به عن إجابته. فما كان بأسرع من أن قلت له: سمعا وطاعة، يا رسول الله. فقال: (على خيرة الله

1 - في هذا دلالة على تمكنه من الثقافة العربية الإسلامية، إذ قال وأشهد أنك رسول الله، بالضمير المخاطب، ولم يقل: "أن محمدا رسول الله" بالاسم العلم، لما علل وأظهر من الفرق الدقيق اللطيف بين الصياغتين. (تعليق المحقق الشرقاوي، ص 67، حاشية الكتاب)

2 - أي: للغزو.

تعالى). فقامت بين يديه وخرجت. فما وجدت في الدهليز الظلمة التي كانت فيه عند الدخول! فلما خرجت من الدار، ومشيت قليلا، وجدت كأنني في سوق (مراغة)، فيما بين الصيارف وبين المدرسة القضوية وكأني أرى ثلاثة نفر عليهم زي المتصوفة، وثياب الزهاد. ومنهم من على بدنه صدره صوفٍ خشن أسود، وعلى رأسه مئزر من جنسها، ويده قوس ملفوفة في لباد خلق، ويده الأخرى حربة نصابها من سعف النخل، والآخر متقلد سيفاً، غمده من خوص النخل، لأنه كان قد انطبع في خيالي، منذ كنت صغيراً، حين قرأت أخبار ظهور دولة الإسلام، كيف كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ضعفاء، فقراء، وليس لهم من الآلات إلا شبيها بما ذكرنا، وأنهم كانوا مع ذلك ينصرون على الجيوش الكثيفة، والخيول العديدة ذوي الشوكة القوية. فلما رأيت النفر الثلاثة قلت: هؤلاء هم المجاهدون والغزاة، هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مع هؤلاء أسافر وأغزو. وكانت الدمعة تبدر من عيني في النوم، لفرط سروري بهم، وغبطني إياهم! ثم استيقظت والصبح لم يسفر بعد. فأسبغت الوضوء وصليت الفجر، وأنا شديد الحرص على إشهار كلمة الحق، وإعلان الانتقال إلى دين الإسلام. وكنيت حينئذٍ بمراغة من آذربيجان، في ضيافة "الصاحب الأمجد فخر الدين عبد العزيز بن محمود بن سعد بن علي بن حميد المضري"¹ رحمة الله عليه. وكان قد ابتلي بمرض،

1 - لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

قد عافاه الله منه، ولي به أنس متقدم. فدخلت إليه في أوائل نهار الجمعة المذكور يومئذٍ، وعرفته أن الله قد رفع الحجاب عني وهداني، فما أعظم استبشاره يومئذٍ بذلك.

وقال: الله، إن هذا الأمر مازلت أتمناه وأترجاه، وطالما قد حاورت قاضي القضاة صدر الدين في ذلك، وكنا جميعاً نتأسف على علومك وفضائلك ألا تكون إسلامية، فالحمد لله على ما ألهمك به من صلاحٍ وهداية، وعلى استجابته دعاءنا في ذلك.

فقل لي: كيف فتح الله ذلك عليك، وسهله بعد إرتاجه¹ وامتناعه؟ فقلت: ذلك أمر أوقعه الله في نفسي بالإلهام والفكر. ودليله العقلي وبرهانه، قد كنت قديماً أعرفه، ودليله في التوراة، إلا أنني كنت أراقب أبي وأكره أن أفجعه بنفسي، تدمما من الله تعالى، والآن قد زالت عني هذه الشبهة، مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقام صاحب لفرط سروره قائماً، واهتز فرحاً، وكان قبل ذلك لا يقوم إلا بالتكلف، وغاب عني، واستجلسني إلى عودته، وأفاض علي من الملابس أجلها، وحملني من المراكب على أنبلها، وأمر خواصه بالسعي إلى الجامع بين يدي.

وكان صاحب قد تقدم إلى الخطيب، وأمره بالتأخير والتوقف إلى وقت حضوري في المسجد، لأن الوقت ضاق إلى أن فرغ الخياطون من خياطة الجبة التي أمر صاحب بتفصيلها. فسرت إلى الجامع، والجماعة في انتظاري، وارتفع التكبير من جماعة أهل المسجد حين أشرفت عليهم. وارتج المسجد الجامع من صلاتهم على رسول الله صلى الله

1 - إرتاجه: انغلاقه وامتناعه.

عليه وسلم. ثم رقى الخطيب المنبر، ووعظ الناس القاضي صدر الدين، ملك الوعاظ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم بن لى، وأظنّب في مدحي وإحماد ما أيدي الله به من التيقظ والهداية وبالغ في ذلك مبالغة تجاوز حد الوصف. وكان أكثر المجلس متعلقا بي. وفي عشية ذلك اليوم، أعني ليلة عيد النحر، ابتدأت بتحرير الحجج المفحمة لليهود، وألفتها في كتاب، وسميته بإفحام اليهود¹.

واشتهر ذلك الكتاب، وطار خبره، وانتسخ مني في عدة بقاع نسخ كثيرة، بالموصل وأعمالها، وديار بكر، والعراق، وبلد العجم. ثم أضفت إليه بعد وقت فصولا كثيرة² من الاحتجاج على اليهود، من التوراة، حتى صار كتابا بديعا لم يعمل في الإسلام مثله، في مناظرة اليهود البتة.

وأما المنام الأول، والمنام الثاني، فإنني لم أذكرهما للصاحب، ولا لغيره من أهل مراغة إلى انقضاء أربع سنين من أوان رؤيتهما. وكان ذلك لشيئين: أحدهما: أنني كرهت أن أذكر أمرا لا يقوم عليه البرهان، فربما يسرع خاطر من يسمعه إلى تكذيبه لأنه أمر نادر، قليلا ما يتفق، إذا كان العاقل يكره أن يعرض كلامه للتكذيب، سرا أو علانية.

والثاني: أنني كرهت أن يصل خبر المنامين إلى من يحسدني في البلاد، على ما فضلني الله به من العلم والحرمة، فيجعل ذلك طريقا إلى التشنيع علي، والإضرار على مذهبي،

1 - أي أن تاريخ تأليف الكتاب هو تاريخ إظهار إسلامه، وهو سنة 558هـ. وفي هذا دليل على أن السموأل ألف كتابه (إفحام اليهود) أولا، ثم وضع قصة إسلامه ورؤيته للمنامين بعد ذلك.

2 - يدل ذلك على أن السموأل لم يؤلف كتابه جملة واحدة، لكنه أضاف إليه وزاد فيه بعد أن وضعه لأول مرة في مراغة سنة 558 هـ.

فيقول: إن فلانا ترك دينه لمنامٍ رآه، وانخدع لأضغاث أحلام. فأخفيت ذلك إلى أن اشتهر كتاب (إفحام اليهود)، وكثرت نسخه وقرأه علي جماعة كثيرة من الناس.

فلما تحقق الناس، أعني أن انتقالي من مذهب اليهود إنما كان بدليل، وبرهان، وحججٍ قطعيةٍ عرفتُها، وأني كنت أخفي ذلك ولا أبوح به، مدة، مراقبةً لأبي وبراهنٍ به، فحينئذٍ أظهرت قصة المنامين وأوضحت أنهما كانا موعظةً من الله تعالى، وتنبئها على ما يجب تقديمه، ولا يحل لي تأخيره بسبب والدٍ أو غيره.

وكتبت كتاباً إلى أبي إلى (حلب)، وأنا يومئذٍ بحصن كيفا، وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره، ولا يقدر على إبطاله، وأخبرته أيضاً بخبر المنامين. فأنحدر إلى (الموصل) ليلقاني، وفاجأه مرض جاءه بالموصل، فهلك فيه. فليعلم - الآن - من يقرأ هذه الأوراق، أن المنام لم يكن باعثاً على ترك المذهب الأول، فإن العاقل لا يجوز أن ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحلام، من غير برهانٍ ولا دليلٍ. لكنني كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل، الحجج، والبراهين، والأدلة، على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فتلك الحجج والبراهين، هي سبب الانتقال والهداية، وأما المنام فإنما كانت فائدته الانتباه والازدجار من التماذي في الغفلة والتربص بإعلان كلمة الحق، بعد هذا، ارتقاباً لموت أبي. فالحمد لله على الإسلام، وكلمة الحق، ونور الإيمان،

ونور الهداية، وأسأله الإرشاد لما يرضيه بمحمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً".¹

هذه إذن هي قصة إسلام المهدي السموأل المغربي كما يرويها بنفسه بكل تفاصيلها، والتي أوضح من خلالها الدوافع التي أدت إلى اعتناقه الإسلام، مجملة في التأمل والتدبر في اختلاف الناس في الأديان، حيث ساعده على ذلك اطلاعه الكبير على كتب التاريخ والسير، وتأثره بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته، التي رآها نصراً وتأييداً إلهياً له، ووجد أن التوراة أيضاً تشير لنبوته صلى الله عليه وسلم. بعد أن تهذب خاطره بعلوم الرياضيات والطب فاكتسب القدرة على البرهنة، وغلب تحكيم العقل على التقليد. فأكد أنه انتقل عن دين أسلافه بالحجة والبرهان القاطع. أما المنامان فكانا دافعين ومحضين له في إعلان إسلامه والجهر به وعدم التماذي في الغفلة. فلما تيقن من حقيقة إيمانه أشهر إسلامه عام 558هـ الموافق لـ 1163م بمراغة، فصار حجة يدافع عن الإسلام، ويظهر عيوب اليهودية، وذلك بقدرته الفائقة على المقارنة المنطقية بين الإسلام واليهودية.

وفي ختام هذا الفصل نخلص إلى أن أهل الكتاب بصفة عامة، قد عرفوا في ظل الإسلام، أمناً اجتماعياً واقتصادياً وازدهاراً فكرياً، لم يشهدوا له مثيل في غير الحضارة الإسلامية. ونجدهم في هذه الفترة الزمنية (القرن السادس الهجري) وفي بغداد خاصة، قد بلغوا مناصب ومنازل مهمة في المجتمع الإسلامي. وأحسن دليل على ذلك ما عاشه

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، ت الشرقاوي، ص 65 - 73.

السموأل المغربي من تنشئة علمية بين علماء بغداد دون أن يجد تمييز أو تهميش من المجتمع الإسلامي الذي عاش فيه.

فقد قصدت أسرة سموأل المغربي اليهودية الديانة، المغربية الأصل، مدينة بغداد، مدينة العلم والعلماء، حتى يتربى ابنها على يد أفضل العلماء، فكان هذا الاحتكاك بالعلم والعلماء سببا في هدايته لطريق الإسلام، فأصبح من المدافعين عنه والداعين إليه.

الفصل الثاني: كتاب " إفحام اليهود "

المبحث الأول: التعريف بكتاب " إفحام اليهود "

المطلب الأول: عنوان الكتاب وتحقيقاته

المطلب الثاني: توثيق صحة نسبة النص لصاحبه

المطلب الثالث: الغاية من تأليف الكتاب

المبحث الثاني: قراءة في كتاب إفحام اليهود

المطلب الأول: فصوله ومواضيعه الكبرى

المطلب الثاني: تحليل لبعض الأفكار الواردة في الكتاب

الفصل الثاني: كتاب " إفحام اليهود "

تمهيد:

يعد كتاب " إفحام اليهود " لمؤلفه " السموأل بن يحيى المغربي "، من أشد الكتب المؤلفة إفحاما لليهود، فقد جاء لبيان الحق، ولرد على أهل العناد، وتفنيد مزاعمهم. حيث عمل مؤلفنا الذي كان حبرا من أحبار اليهود فأسلم وهداه الله إلى الطريق المستقيم، على تبين مسائلهم وتوضيح زيغهم، انطلاقا مما يؤمنون به في كتبهم، متبعا بذلك منهجا علميا واضحا يصعب معه الإنكار أو التملص من الحقيقة. فغدا نبراسا لمن جاء بعده من العلماء المهتدين وغيرهم.

وإذا أردنا التحدث عن قيمة هذا الكتاب بين هذا الزخم من المؤلفات في علم مقارنة الأديان، نجد أن لمؤلفات المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب قيمة علمية مميزة في تاريخ الأديان. وتستمد تميزها من أن هؤلاء المهتدين كانوا علماء في دياناتهم السابقة لإسلامهم. فكانوا بذلك الأقدر على فهم الديانتين اليهودية والنصرانية، لأنهم مارسوا شعائرها وأعدوا إعدادا خاصا للدفاع عنها.¹ وهذا ما يؤكد السموأل في قوله: " (...) وشغلني بالكتابة بالقلم العبري ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى أحكمت علم ذلك".²

1 - المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأحبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري، خالد السيوطي، مكتبة وهيبة القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م، ص 47 - 48.

2 - بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق عبد الوهاب طويلة، ص 12.

فهم لا يحاورون أهل دياناتهم السابقة من موقع الدفاع عن الإسلام فحسب، بل يحاورونهم
محاورة المتفقهين فيها العارفين بخباياها وأسرارها. بغية إظهار الحق وبيان زيف عقائدهم.
ولتحقيق هذه الغاية ألف السموأل المغربي كتابه هذا، مستشعرا مسؤوليته العلمية والدينية،
لبيان وكشف ما عليه اليهود من تبديل وتحريف وتزييف، ودهاء وتناقض، وحقد وجبن
وتعصب، وأن ذلك ديدنهم ووجهتهم، وسيلهم قبل الأسر البابلي وبعده.¹

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 13.

المبحث الأول: التعريف بكتاب " إfachام اليهود "

المطلب الأول: عنوان الكتاب وتحقيقاته

اختلفت آراء المحققين حول عنوان الكتاب موضوع الدراسة، فكان لكل منهم حجة تعزز اختياره لعنوان من هذه العناوين.

إلا أن السموأل نص على أنه سمي كتابه: "إfachام اليهود"، وذلك في مخطوطة " إسلام السموأل". وهناك بعض مخطوطات¹ الكتاب تعنون له بـ : "بذل المجهود في إfachام اليهود"². وقد ألف السموأل كتابه هذا، غداة أن أعلن إسلامه، بمراغة في آذربيجان سنة 568هـ. إلا أنه قد أعاد فيه النظر، ونقحه وزاد عليه فصولاً فيما بعد، كما أشار إلى ذلك بنفسه.³

وهذه تحقيقات الكتاب:

قام مجموعة من الباحثين بتحقيق مخطوطات السموأل المغربي، وهذا ما استطعت الاطلاع عليه:

- " إfachام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم": تحقيق

الدكتور محمد عبد الشراقوي، طبعة دار الجيل - بيروت 1404هـ / 1983م.

وقد اعتمد في تحقيقه على مخطوطة طوب فابي سراي بتركيا، وهي المرقمة برقم

1 - مثلًا النسخة المحفوظة في الظاهرية بدمشق رقم 5111، وهي ناقصة، ولها مصورة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام بالرياض، ميكروفيلم رقم (1190). عن إfachام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشراقوي، ص 33، مقدمة المحقق.

2 - إfachام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشراقوي، ص 32 - 33، مقدمة المحقق.

3 - انظر المبحث الثالث: قصة إسلام السموأل، من الفصل الأول.

454 506 R 4832 ، ومنها مصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود برقم

وهي نسخة كاملة، منسوخة عن مخطوطة بخط المؤلف، قد نسخت في 17 صفر

1115هـ.¹

- " بذل المجهود في إفحام اليهود": قدم له وعلق عليه الأستاذ عبد الوهاب طويلة،

طبعة دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، 1410هـ / 1989م.

- "غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود": حققه الدكتور إمام حنفي سيد عبد

الله، طبعة دار الآفاق العربية - القاهرة 1427هـ / 2006م. ويقول إن كتاب

السموأل " غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود" قد جاء بعد كتابه "إفحام

اليهود" ببضع سنوات وأضاف إليه وعدل فيه وزاد المنامات المحمدية التي كان قد

رآها، وبين سبب إسلامه.²

المطلب الثاني: توثيق صحة نسبة النص لصاحبه

هل ألف سموأل كتاب "إفحام اليهود"؟

لقد أشار سموأل إلى كتابه هذا، في كتابه " قصة إسلام سموأل"، وذكر أنه ألف كتابا

في إفحام اليهود، غداة أن أعلن إسلامه، بمراغة بأذربيجان سنة 568هـ.³

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام سموأل، ص 35. عن مقدمة المحقق.

2 - غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، ت إمام حنفي سيد عبد الله، ص 26.

3 - انظر المبحث الثالث: قصة إسلام سموأل، من الفصل الأول.

وكذلك فإن من ترجموا له، ومنهم معاصرون له، قد أجمعوا على أنه قد كتب كتابا في الرد على اليهود بعد أن أعلن إسلامه.

كما أن ناسخي بعض مخطوطات الكتاب يذكرون أنهم نقلوها عن نسخة كتبها المؤلف بخط يده سنة 568هـ.¹

ولقد ذكره الكاتب اليهودي سعد بن منصور بن كمونه (المتوفى سنة 683هـ)، في كتابه المعروف بـ: (تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث) وقد أفرد هذا المؤلف اليهودي عدة صفحات في مواضع متفرقة لنقد كتاب السموأل والرد عليه، يقول مثلا: (فإن صاحب كتاب إفحام اليهود قال في كتابه المذكور ما حكايته... إلخ)²، ويذكر في موضع آخر: (واستدل صاحب كتاب الإفحام الذي كان يهوديا، فعاند اليهود وأسلم... إلخ).³

وقد ذكر حاجي خليفة (ت 1067هـ/1657م) في كتاب (كشف الظنون)، كتاب "إفحام اليهود" ونسبه إلى أبي نصر السموأل⁴. وكذلك فعل اسماعيل البغدادي (ت 1399هـ) في كتابه (هدية العارفين) حينما ترجم له وذكر تصانيفه⁵. كما أن المستشرق اليهودي (موشي

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 33 ، مقدمة المحقق.

2 - تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث: اليهودية المسيحية الإسلام، سعد بن منصور بن كمونة اليهودي (القرن السابع الهجري)، دار الأنصار، بدون طبعة، ص 28

3 - تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ص 95

4- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، صححه وطبعه: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة، المجلد الأول، ص 132

5- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، طبعة 1370هـ/1951م، المجلد الأول، باب السين، ص 409.

برلمان) قد عنى بنشره وترجمته إلى الإنجليزية، وطبع في المجمع الأمريكي للبحوث اليهودية بنيويورك سنة 1964م، ولم يقدح في نسبته لمؤلفه.¹

ويقول أحد محققي الكتاب: « إن الكتاب قد طبع في الستينيات عن نسخة تحت عنوان " بذل المجهود في إفحام اليهود" وقدم له الأستاذ محمد أحمد الشامي، وقد وجدت فيه نقصا شديدا، وأخطاء كثيرة، ليست من أصل الكتاب وضعها الناشر تحت عنوان "الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي" وهي ليست من تأليف السموأل ولا من كتابه في شيء، ولكنها رسالة وجدت في المجموع الذي عثر فيه الناشر على مخطوط "إفحام اليهود"». ²

مما سبق ذكره، تتأكد صحة نسبة الكتاب لصاحبه السموأل بن يحيى المغربي، فقد تم الإجماع على ذلك من طرف المترجمين له والعلماء الذين درسوا كتابه، إضافة إلى أن السموأل أثبت ذلك في كتابه بنفسه.

المطلب الثالث: الغاية من تأليف الكتاب

إن ما يجعل كتاب إفحام اليهود غاية في الأهمية، ويجعل منه مؤلفا غير عادي، يتمثل في موضوع الكتاب نفسه، فهو يحمل بين طياته الدلائل والحجج على تحريف اليهود

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 34 - 35.

2 - غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، ت إمام حنفي سيد عبد الله، ص 26 - 27.

لكتبهم وبيان كذبهم، كما أنه ليس امتدادا لما كتبه الأئمة السابقون عليه، وفي شخصية صاحبه، إذ يعتبر من خاصة اليهود وكبار أحبارهم.

فقد دأب المهتدون إلى الإسلام من أهل الكتاب على ذكر وبيان أسباب تأليفهم لكتبهم في مجال مقارنة الأديان، ومنهم السموأل المغربي، إذ صرح بالدافع الذي جعله يؤلف كتابه، في مقدمته فقال بعد حمد الله والثناء عليه لهدايته إلى الدين الحق: " والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة، الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يعنور كلمتهم (ملتهم) من الفساد. على أن الأئمة -ضوعف ثوابهم- قد انتدبوا - قبلي- لذلك، وسلخوا في مناظرتهم اليهود أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به لا يكادون يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جعل الله إلى إفحامهم طريقا مما يتداولونه في أيديهم، من نص تنزيلهم، وإعمالهم¹ كتاب الله عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم."²

ف نجد هذه الغاية تكاد تكون مشتركة بين جل المهتدين، ذلك أنهم بعد إسلامهم يعتبرون أنه من الواجب اتجاه الإسلام بيان خبايا وأسرار بطلان العقيدة التي كانوا يعتقدونها. ومثال على ذلك ما ذكره عبد الحق السبتي (ت بعد 796هـ) في خاتمة كتابه الحسام

1 - وجاءت بعبارة: "وأعماهم الله عنه عند تبديلهم"، في: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق الشرقاوي، ص 30.

2 - بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق طويلة، ص 17 - 18. انظر أيضا: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق الشرقاوي، ص 30، وغاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، ت إمام حنفي سيد عبد الله، ص 36.

الممدود: (ولأن المقصود الأعظم من هذا التأليف الأعز إنما هو بيان جدهم للنبي صلى الله عليه وسلم).¹

في ختام هذا المبحث نخلص إلى أن كتاب " إفحام اليهود " ثبتت صحة نسبته لصاحبه السموأل المغربي، رغم اختلاف العناوين التي وضعها محققو هذا الكتاب، إلا أنهم اتفقوا على محتواه، فلا نجد اختلافات كثيرة بينهم في تعاملهم معه، سوى في طريقة التقديم لهذا الكتاب، فكل واحد منهم عالجه بطريقة تختلف عن الآخر.

1 - الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي السبتي، تحقيق عمرو وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م، ص 209.

المبحث الثاني: قراءة في كتاب إفحام اليهود

المطلب الأول: فصوله ومواضيعه الكبرى

قسم السموأل المغربي كتابه إلى جزأين، خصص الجزء الأول للمقدمة وعرض قصة إسلامه والمنامين، فيما أورد الجزء الثاني في سبعة عشر فصلا وخاتمة، تطرق في بعضها إلى إلزام اليهود النسخ في أصولهم التي يعتمدونها، وإفحامهم بالأدلة والحجج القاطعة من كتابهم على نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام، كما خصص فصولا لبيان كفرهم وفضائحهم وتبديلهم للتوراة.

ففي مقدمة الكتاب أمارط السموأل بن يحيى بن عباس المغربي اللثام عن نسبه من جهة أمه وأبيه، بعد أن أثنى على الله بالحمد والشكر على أن هداه وأرشده إلى دين الحق بفضله ومنه.

ثم بدأ بتقديم تفاصيل سيرته الذاتية منذ أن كان صغيرا حيث شغله أبوه بالكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى أحكمها. وعندما وصل الثالثة عشرة من عمره، تعلم الحساب الهندي، وحل الزيجات، وقراءة علم الطب والتأمل في علاج الأمراض، والحساب الديواني، وعلم المساحة، والجبر والهندسة. ففتح الله عليه وأتقن هذه العلوم وأخذ يقدم تصانيفه فيها. وقد أبرع في صناعة الطب فكان من أمهر أطباء عصره.

شغف في تلك الفترة أيضا بحب قراءة التاريخ والأخبار والحكايات، وكذلك الأدب والدواوين حتى وصل إلى القراءة في التاريخ الاسلامي وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم

وغزواته وانتصاراته في الدعوة إلى الله. واكتسب من كثرة مطالعته لتلك الأخبار قوة في البلاغة ومعرفة بالفصاحة، جعلته يدرك صحة إعجاز القرآن الكريم. فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، وأدرك أهمية أعمال العقل في قبول النص والحكم على ما نقل عن الآباء والأجداد.

وأكد أن الأبوة والسلفية وحدهما ليستا حجة، وأن ما ورد بالنقل لا بد أن يعرض على ميزان العقل. ورد على اليهود ادعاءهم أن آبائهم كانوا أعقل من آباء الأمم وأسلافهم، كما أدرك أنه لا يجوز للعاقل أن يصدق بأحد الأنبياء عليهم السلام ويكذب بالآخرين، لأنه لم ير أحدهم، ولا شاهد أحوالهم إلا بالنقل، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم، فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدق أحدهم، ويكذب الباقي، بل الواجب عقلا إما تصديق الكل، وإما تكذيب الكل. فصح عنده، بالدليل القاطع، نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم، وأمن بهما. وهنا نجده نهج منهجا تحليليا رائعا أدى به من منطلق حبه لمعرفة الحق وصبره عليه، وبتوفيق الله، إلى المنهج الحق.

وأورد السموأل في هذه المقدمة اعترافه بإسلامه دون التزامه بالفرائض الإسلامية خوفا على أبيه الذي كان شديد الحب له، من معرفة الخبر.

ثم انتقل السموأل إلى ذكر تفاصيل رؤيته للمنامين اللذين كانا موعظة له من الله لإشهار إسلامه سنة 558هـ بمراغة. وأنه لم يذكر ذلك للناس إلا بعد مرور أربع سنوات من رؤيته

لهما، حتى لا يقولوا تحول عن دين آباءه لمجرد أضغاث أحلام، بل أراد أن يثبت ذلك بالحجة والبرهان القاطع. فأخفى ذلك إلى أن اشتهر كتاب " إفحام اليهود " .

صدر مؤلفنا الجزء الثاني من كتابه إفحام اليهود، بذكر الغرض من تأليفه، وهو الرد على أهل اللجاج والعناد. ثم عرض في الفصل الأول إلزامه لهم النسخ بنص كتابهم، وأورد عدة أدلة في هذا الباب وبين أن عين النسخ يظهر في أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحا من قبل.

وخصص الفصل الموالي لإفحام اليهود والنصارى بالحجة العقلية، وإلزامهم الإسلام. فقال إنه: «لا يسع عاقلا أن يكذب نبيا ذا دعوة شائعة، وكلمة قائمة، ويصدق غيره، لأنه لم ير أحدهما ولا شاهد معجزاته، فإذا اختص أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب، فقد تعين عليه الملام والإزرء عقلا»¹.

ثم عاد في الفصول الثلاثة الموالية ليوضح أوجها أخرى في إثبات النسخ بأصولهم مقدما الدلائل والحجج من نص كتابهم، من مثل ذلك: أنهم جعلوا لأمس العظم والقبر والميت طاهر يصلح للصلاة، وهذا عكس ما ورد في التوراة من أنه يجب الطهارة منه برماد البقر.

1- إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 91

وفيما يخص صلواتهم وأصوامهم، أكد أنها ليست هي التي فارقهم عليها موسى عليه السلام، وبين ما لحقها من زيادة اقتضتها أسباب لاحقة لهذا العصر، ومنها صيامهم يوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره، وصوم كدليا.

ويواصل السموأل في الفصلين السادس والسابع إفحامه لليهود ويلزمهم نبوة المسيح عليه السلام، ثم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث يذكرهم بأنه جاء في التوراة أنه يزول ملكهم عند ظهور المسيح، فلا بد من الإيمان به بعد انقضاء ملكهم. ولا يمكنهم جحد ذلك. ثم يوجب عليهم الإيمان بمعجزات الرسل بالتواتر وهذا يصح مع عيسى والمصطفى عليهما السلام، أي أن كل من أظهر معجزات شهد بها التواتر مصدق في مقالته، وهذا يلزمهم التصديق بنبوة عيسى والمصطفى عليهما السلام.

أما الفصل الثامن فنذكر فيه ما يعتقده ويحكيه اليهود عن عيسى عليه السلام، فقد أنكروا عليه مداواة المرضى في يوم السبت، وادعوا أنه طبيب استخدم حيله وأدويته لتأييد زعمه للنبوة.

وبعد ذلك خصص فصلا لذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فرد على قولهم بأن النبي المذكور في التوراة ليس محمدا وإنما هو شموائيل. فأكد أن التوراة في هذا الفصل أمرتهم بالإيمان بالمصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثم شرع في الفصلين المواليين في ذكر الإشارة إلى اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، واستعان بعلم حساب الحروف بالجمل لإثبات ذلك، في تحليل كلمة "بمادام" التي عدد حساب حروفها هو 92، وهو مساو لحساب عدد حروف لفظة "محمد"، ولم يرد الله إيضاحها حتى لا يحرفها اليهود كما حرفوا غيرها، أو يسقطوها من التوراة، فالتوراة حسب قوله ليست كلها محرفة. كما ذكر الموضوع الذي أشير فيه إلى نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام، في التوراة، وفيها الإشارة إلى الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، ما يقتضي للعقلاء، أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالته.

انتقل في الفصل الثاني عشر إلى إبطال ما يدعونه من محبة الله إياهم دون غيرهم من الناس بالحجج والبراهين الدامغة، فألزمهم بما يقرون به من أن الله يحب المهتدين الصادقين من كل طائفة، ويبغض الكفار الجاحدين ولو من طائفته.

بعد ذلك بين السموأل في الفصل الثالث عشر الذي عنونه ب: فصل في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم، أنهم يدعون أنه لا يظهر الملك لله، إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته. فرد السموأل ذلك إلى أن هؤلاء إنما نطقوا بهذه الكفريات من شدة الضجر من الذل، وطول الشتات، والعبودية التي عاشوها خلال السبي، وانتظارهم لفرج لا يزداد منهم إلا بعدا. فأوقعهم ذلك في الطيش، وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهديان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة. فتجروا على الله بالمناجاة القبيحة. وقاموا بتفسير

ما عندهم، بما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها. وهذا هو التأويل الفاسد، أوتحريف الكلم عن مواضعه.

إضافة إلى ذلك فقد نسبوا إلى الله الندم على أفعاله، ووصفوه بالتعب والعبث وبكل عيب وشناعة، وهذا مستحيل في حقه جل جلاله. وبين السموأل المواضع في التوراة الدالة على ذلك ورد عليهم ذلك بما عندهم، واستبعد أن تكون هذه الكفريات في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

وفي الفصل الموالي بين مؤلفنا السبب في تبديلهم التوراة وتحريفها، وأكد أن أحبارهم وعلماءهم يعلمون أن التوراة الحالية ليست هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، لأنه سلم التوراة إلى الأئمة من بني ليوي (بني هارون) وأفردهم بهذا الشرف صونا لها من بني إسرائيل، الذين لم يبذل من التوراة لهم إلا نصف سورة، لتكون شاهدا عليهم. حيث اشتملت هذه السورة على ذم طباعهم، وسوء أخلاقهم، وذكر مخالفتهم لشرائع التوراة، فكتب الله عليهم العذاب والسخط والخراب والشتات والذلة، وقد علموا بذلك.

وأكد أن السبب الأساسي في هذا التبديل أن الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم "بخت نصر" ¹ على دم واحد يوم فتح بيت المقدس. وأن عزرا¹ لما

1 - بخت نصر: قائد بابلي غزا القدس سنة 586 ق.م وخرب هيكل سليمان، وأسر سبعين ألفا، وساقهم أمامه إلى بابل، وهم معظم يهود العالم آنذاك. وأما رواية التلمود عن تدمير الهيكل فتقول: (عندما بلغت ذنوب بني إسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما لفضوا أن ينصتوا لتحذيرات أرمياء، ترك أرمياء أورشليم، وعندما هجرها إلى بنيامين دمر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل وحطم الهيكل المقدس، ونهب مجوهراته، وتركه فريسة للنيران الملتهبة، فذبح نبوخذ نصر

رأى ما وقع بالقوم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن. فخلص السمؤال بذلك إلى أن التوراة التي بأيديهم هي كتاب عزرا وليست كتاب الله.

وأورد أن الدولة، إذا انقضت عن أمة باستلاء غيرها عليها، انطمتت حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة، بتتابع الغارات والمصادمات، وإخراب البلاد، وإحراق بعضها. فما كان من اليهود إلا أنهم عمدوا إلى تأويلات خاطئة لبعض نصوصهم، واخترعوا صلاة الخزنة لما منعهم الفرس من الصلاة، وصاغوا لها أدعية بألحان عديدة. وبدلوا وغيروا وطال التحريف العقائد والشرائع والأخلاق، وشحنوا التوراة بالحكايات الباطلة والمحالات المستغربة.

إضافة إلى ذلك فقد نال اليهود ذلا كبيرا على يد بعض ملوكهم، الذين أرغموهم على عبادة الأوثان، وقتلوا الأئمة والعلماء وأحرقوا الكتب. وما عرفوا العدل والطمأنينة إلا في ظل الإسلام.

وخصص الفصل الخامس عشر لما يعتقدونه في دين الإسلام وفي المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث زعموا أنه رأى أحلاما، تدل على أنه صاحب دولة، كما ادعوا أنه

سكان أورشليم، وكهنتها، وشعبها، كهولها وشبابها، نساؤها وأطفالها). إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، حاشية الكتاب، ص 138 - 139. عن كتاب "التلمود" ظفر الإسلام خان، ص 68.

1 - عزرا: كان عزرا خادما لملك الفرس، وكان حظيا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، بعد أن خربه بخت نصر، وكتب لليهود التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونيا، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود. وقد كان يسمى عندهم (عزرا هوفير) لأنه ليس بنبي، وتفسيره: الناسخ. وهو غير (العزير) المعروف. إفحام اليهود، ص 151 - 152.

اجتمع بأحبار اليهود خلال رحلته إلى الشام في تجارة لخديجة رضوان الله عليها، فعرفوه بعبد الله بن سلام الذي قرأ عليه علوم التوراة وفقهها، ثم نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن لعبد الله بن سلام.

بعد ذلك قدم السموأل أدلة تفصيلية على افتراءات اليهود على أئمة الهدى، وصفوة خلق الله، رسل الله جميعا صلوات الله عليهم، فلم يكذب نبي يفلت من افتراء وبهتان بني إسرائيل. فيصرون نبي الله نوحا سكي¹، ونبي الله لوطا يزني بابنتيه وتحملان منه سفاحا²، ونبي الله ابراهيم كاذبا ورجلا ماديا شرها يتاجر بزوجه الحسناء عند الملوك لجمع المال³، ودينسوا صورة أبيهم يعقوب (إسرائيل) فصوروه سارق نبوة من أخيه بالمكر والخديعة⁴، وعلى هذا الغرار من الإفك، والكذب، والبهتان، والعدوان، والكفر، يصفون باقي أنبياء الله بما فيهم هارون وداود وسليمان وعيسى والمصطفى صلوات الله عليهم جميعا. والعجيب أنهم ينسبون هذه الافتراءات الآثمة إلى وحي الله، تعالى سبحانه عما يقولون علوا كبيرا. أما في يخص اعتقادهم في القرآن الكريم، فهم يقولون إنه ينقض بعضه بعضا، أي ينسخ بعضه بعضا. فرد عليهم السموأل أن صومهم يوم السبت، قد نسخ فريضة السبت، وأتاهم بالدليل على أن الصوم الأكبر جاءهم بعد افتراض السبت، الذي فرض عليهم فيه الراحة وتحريم المشقات.

1 - سفر التكوين الإصحاح 9.

2 - سفر التكوين: 19 - 30 - 38.

3 - سفر التكوين: 19 - 20.

4 - سفر التكوين: 27.

وأما قولهم في الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، فهم يطلقون عليه فيما بينهم اسمان فقط: وهما " فاسول" بمعنى: الساقط، و" موشكاع" بمعنى: المجنون، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قال تعالى: ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾¹، وقال سبحانه: ﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾².

وتناول في الفصل السادس عشر بعض فضائحهم، وفيه يفصل السموأل في مذهب اليهود في شريعتهم في زوجة الأخ الذي يموت ولا ينجب ولدا يحمل اسمه، (ويسمونها قصة اليتامى والحالوص)، حيث أوجبوا على الرجل أن يتزوج بزوجة أخيه إذا مات، وإلا اشتكته المرأة لقومها بعدم رغبته في نكاحه لها، فتبصق في وجهه وينعت بمخلوع النعل، وهي صفة ذميمة. فإن رفضت هي النكاح ألزموها بالكذب عليه، وأنه هو الذي رفض، فيلزمونه بالكذب أيضاً، ويلزمونه بعقاب على ذنب لم يجنه.

وفي آخر فصل في كتابه، ذكر السموأل السبب في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم، وأرجع ذلك إلى عاملين أساسيين، أولهما: من جانب فقهاءهم وهم الحاخاميم، حيث أقر أنهم اجتمعوا على تأليف كتابي المشنا وهو الكتاب الأصغر، والتلمود وهو الكتاب الأكبر والذي ألف عبر عصور تاريخية مختلفة، فانتبه المتأخرون إلى أن الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف، فحرموا الزيادة فيه، فوقف التلمود في المقدار الذي هو عليه

1 - سورة النساء، الآية 51.

2 - سورة النساء، الآية 45.

الآن. وفي هذين الكتابين تحريم مؤاكلة الأجانب ومناكحتهم. على غير ما جاء في التوراة من تحريم مناكحة عباد الأصنام فقط، وأكل ما يذبحونه بأسمائها. وفي هذا تشديد منهم على أنفسهم.

كما أن السموأل فصل الحديث عن الأمور الأخرى التي تم فيها تشديد الإصر ومنها: أنهم حرموا أكل الرئة، والقلب الملتصق بالذبيحة، بزعمهم أنها نجس (أي طريفا)، وهذه التسمية هي أول التعدي منهم لأن معناها في اللغة العبرية: "الفريسة". وكذلك حرفوا معنى ما جاء في التوراة من تحريم الفريسة، حيث جاء في نص التوراة: "ولحما فريسة في الصحراء لا تأكلوا، للكلب ألقوه". فقالوا معناها: (إذا ذبحتم ذبيحتكم ولم توجد فيها هذه الشروط، فلا تأكلوها، بل تبيعوها على من ليس من أهل ملتكم)، وذلك أنهم فسروا "للكلب ألقوه"، أي: لمن ليس على ملتكم أطعموه وبيعوه. وهنا ظهر التعدي، وتحريف الكلام عن موضعه من مشائخهم في هذا التفسير. مما جعل مؤلفنا يرد عليهم بقوله: "ألا إنهم - على الحقيقة - أشبه بالكلاب، وأحق بهذا اللقب والتشبيه، لقبح عقولهم، وسوء ظنونهم واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم".¹

ثم انتقل في نفس الفصل ليبين أن اليهود على فرقتين²: الأولى اسمها: القراؤون، وهم لم يؤمنوا بما جاء في التلمود، ويصفون أصحابه بقول الكذب على الله، فانفصلوا عن

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص 169.

2 - حسب وجهة المؤلف أن اليهود على فرقتين، وقد قدم تفصيل ذلك في كتابه "إفحام اليهود" ص: 171 إلى ص 175، ت الشرقاوي. ولا يوجد في كتابه هذا ذكر لغيرهما.

الفقهاء، وخالفوهم في سائر الأمور التي لم تنطق بها التوراة. ولهم تصانيف لم يبالغوا فيها في الكذب على الله تعالى، إلى حد أن يدعوا النبوة. وأكثرهم خرج إلى دين الإسلام. والفرقة الثانية اسمها: الربانيون، وهم أكثر عددا، وهم الحخاميم الفقهاء المفترين على الله، وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، وينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية. وهم الذين شددوا على اليهود دينهم، وضيقوا عليهم المعيشة والإصر حتى لا يختلطوا بباقي الأمم.

والعامل الثاني في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم: هو تشتت اليهود في شرق البلاد وغربها، فكان إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة، بالغ في التورع والاحتياط في دينه، وشرع في إنكار أشياء عليهم، فينسب ذلك لمشائخه وأهل بلده، قصد الرئاسة عليهم أو تحصيل غرض منهم.

أما خاتمة الكتاب، فقد خصصها السموأل لوصف اليهود بأنهم قوم جهالة وضلالة، وأنهم أعداء أنبياء الله، وأنهم عبدوا العجل والأصنام من غير الله، وأصرروا دائما على مخالفة أنبيائهم إلى أن انقضت دولتهم.

كما أبان عن تسرعهم إلى قبول الباطل والمستحيل، فأورد تفاصيل قصة تنبئ عن قلة عقولهم، وهي قصة مناحيم بن سليمان المعروف بابن الروحي، وهو من يهود بغداد، حيث استغل ثقة والي الموصل آنذاك فيه، وتوهم قدرته على الاستيلاء على القلعة، فطلب

العون من اليهود الأعاجم بنواحي آذربيجان، إلا أن خطته باءت بالفشل، فقتله الوالي وحده حقنا لدماء اليهود.

وذكر في نهاية الكتاب بعد الخاتمة، رسالة وردت عليه وجوابه عليها، فكان سؤال السائل: هل اتباعه للمصطفى كان هوى وعبث، وهذا لا يليق بعالم وحكيم مثله، أم هو بدليل وبرهان وبحث ونظر؟.

فرد السموأل بحكمة أن الله هداه بالدليل الواضح والحجة الثابتة، وأما تأخر الإعلان عن كلمة الحق إنما كان لتوخي الوقت المناسب، وقد أداه العقل والأدلة الصحيحة إلى الحق. فهو لا حاجة له في البحث عن كل المذاهب لأن الحق في جهة واحدة وليس بمتعدد، ولزم من صحته بطلان سائر المذاهب. وفي السؤال عن الطريق الذي صحت به دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم عنده فهو شهادة الأمم العظيمة بنبوته مع المعجز الأعظم وهو فصاحة القرآن، وأكد ذلك إشارات من التوراة دلت عليه.

وأما قضية اختلاف المذاهب في الإسلام فهو اختلاف بين الأئمة في توابع وصغائر، لا في أصل العقيدة.

وبذلك يمكن تجميع فصول هذا الكتاب بناء على وحدة الموضوع في خمسة أبواب كبرى على هذا المنوال:

(1) - إثبات النسخ في كتب اليهود. (الفصول: الأول والثالث والرابع والخامس).

(2) - إفحام اليهود وإلزامهم الإسلام وبيان معتقدتهم فيه. (الفصلان الثاني والخامس عشر)

(3) - معتقد اليهود في عيسى عليه السلام وإلزامهم نبوته ونبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم. (الفصول: السادس والسابع والثامن).

(4) - دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم من التوراة. (الفصول: التاسع والعاشر والحادي عشر).

(5) - إبطال ما يدعيه اليهود من محبة الله وبيان كفرهم وفضائحهم. (الفصول: الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسادس عشر والسابع عشر).

المطلب الثاني: تحليل الأفكار الأساسية الواردة في الكتاب

ركز السموأل في كتابه على نقاط بالغة الأهمية، وعالجها بمنهج متفرد متميز لم يسبق إليه، واستفاد منه من جاء بعده.

• النقل بالتواتر: أكد السموأل في بدايات كتابه أن الأبوة والسلفية ليستا حجة على

صحة النقل عن السلف، وأوجب التأكد والتوثق من صحة النقل بالحجة والبرهان، وإلا فإن

ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة النصارى ومقالة المجوس، وهذا ليس معقولا.¹

وهذا البرهان العقلي ذهب إليه أيضا العالم أبو الحسن العامري (ت 381هـ) في كتابه "

الإعلام بمناقب الإسلام" حيث أكد على ضرورة ترك الاقتداء بالسلف وترجيح العقل

1 - إفحام اليهود، تحقيق الشرقاوي، ص 55.

الصريح في إثبات أحقية دين على آخر.¹ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ

مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُو جُنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ^ط قَالُوا إِنَّا بِمَا

أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَتَتْكُمْ مِّنْهُم^ط فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾².

وهذا الرأي يعرض الأصل العلمي المنهجي الثابت للسموأل في مناقشة دعوى اليهود، وتفنيد مزاعمهم، بمهارة تعكس ثقافته الرياضية المنطقية، حيث تبرز هنا فكرة النقد الخارجي للنص، بالمنطق العقلي، قبل الخوض في مسلمات النقد الداخلي للنص. وكأنه يمهّد بمنطق عقلي لإزالة الأفكار الخاطئة قبل الولوج داخل النص.

ثم تدرج معهم حتى وصل إلى أنهم لا يملكون حجة على صحة نبوة موسى إلا بشهادة التواتر، وهذا التواتر موجود أيضا لعيسى ومحمد عليهما السلام، فنذكر أن الواجب عقلا، إما أن يكون الأنبياء جميعهم صادقين فنصدقهم، وإما أن يكونوا جميعا كاذبين فنكذبهم، كما لا يجوز للعاقل تصديق واحد وتكذيب الباقيين، إذن لما ساسوا العالم بما فيه صلاح أهله، وما ورد من كثرة علومهم وفضلهم، وجب علينا تصديقهم³.

1 - الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري (ت381هـ/992م)، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصاله

للتقافة والنشر والإعلام، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م، ص 121 - 122.

2 - سورة الزخرف، الآيات 23- 24- 25.

3 - إفحام اليهود، تحقيق الشرفاوي، ص 58.

وهذه أيضا من فكرة النقد الخارجي للنص، وقد أفحمهم بعرضه هذا.

• رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم: هي رؤيا صادقة وواضحة، وعلى الرغم من ذلك

لم يذكرها للناس إلا بعد انقضاء أربع سنوات عن إشهار إسلامه.

وهذا يدل على تعقله وحكمته، وأنه لم يرد إلا دعوة اليهود إلى الدين الحق، والرد عليهم

بالمنهج العقلي والحجة والبرهان، وكذلك للحفاظ على دينه وتقويته في تلك الفترة الأولى

من حياته.

• تدرجه مع اليهود في إلزامهم النسخ بكتابهم: تدرج السؤال في الحديث عن ذلك،

فبدأ بسؤال يستدرج به اليهود إلى إثبات النسخ في التوراة، فكان له ذلك باستخراجه

لنصوص من التوراة يستحيل إنكارهم لها.

فقال: « إن لم تأت التوراة بشيء زائد، إذن هي عبث، وليست من عند الله. فإن قالوا:

أنت بزيادة فيسألهم هل هي تحريم ما كان مباحا أم لا ؟ فإن أجابوا بلا، بطل رأيهم من

وجهين: أولهما أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية يوم السبت بعد أن كانت مباحة،

وثانيهما أنه لا معنى للزيادة إلا تحريم ما تقدمت بإباحته، أو تحليل ما تقدم تحريمه. ثم

بين لهم أنه من أمر بشيء وضده في زمانين مختلفين، غير مناقض بين أوامره، حتى لا

يجتمع الشيء وضده في زمن واحد. فقالوا التوراة أتت بحظر المباح فقط، فرد عليهم أنه

من أحل ما حظره الشرع، في طبقة المحرم لما أحله الشرع، إذ كل منهما قد خالف

المشروع، فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان، فجائز أن تأتي شريعة أخرى

بتحليل ما كان في التوراة محظورا، والنهي عن عمل الصناعات يوم السبت لم يكن لعينه، وإن كان لعين السبت وكرهه الله لحرمة في كل الشرائع، وليس فقط في التوراة»¹. وهذا يعد نقدا داخليا للنص، وهكذا فالرد العقلي عليهم والتدرج معهم وإلزامهم في الأخير بما قال يعد إفحاما لهم.

• إثبات النسخ بصور أخرى في أمور العبادات: أورد المهتدي الحكيم أن اليهود ليسوا على شريعة موسى عليه السلام، في قضية الطهارة برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها، من نجاسة مس عظم، أو وطئ قبر، أو حضور ميت. فأقروا أنهم لا يقدرّون على ذلك، وجعلوا أنفسهم طاهرين صالحين للصلاة وحمل المصحف، بخلاف ما في كتابهم. وعذرهم أنهم عدموا أسباب الطهارة. فكان رد السموأل عليهم: إما أنهم أنجاس طوال حياتهم لعدم قدرتهم على سبب الطهارة، أو أنهم قد نسخوا تلك الفريضة لحال اقتضاه هذا الزمان². وهذا دليل واضح على التبديل والنسخ. وهذا أيضا من النقد الداخلي للنص.

إضافة إلى إتيانهم بصلوات وأدعية لم تكن على عهد موسى عليه السلام، وكذلك صيامهم أيام معينة مثل صوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره، وصوم كدليا، وكل هذه الأمور زيدت لأسباب افترضتها هذه العصور وليست من شريعة موسى. وإلزامهم

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص من 86 إلى 89.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 93 - 94.

بالنسخ فيها يأتي مما جاء في التوراة: " لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً، ولا تنقصوا منه شيئاً".¹

وهذا من النقد الداخلي للنص، وإلزامهم بالحجة والبرهان على كذب مزاعمهم.

• نسخهم فريضة السبت بالصيام الأكبر دليل على وجود النسخ بكتابهم، على الرغم

من أن التوراة فرضت عليهم الراحة في ذلك اليوم، والصوم يعد من المشقات.

هذا أيضاً من النقد الداخلي للنص، ولقد أكثر السموأل من ذكر قضية النسخ حيث أنها

من القضايا الجوهرية عندهم.

• مسألة اختلاف صحة النقل عن فقهاءهم: هنا تساءل السموأل عن مسائل الخلاف،

واختلاف المذاهب بين الفقهاء هل هي ثمرة اجتهاد أم منقول بعينه؟ فيقولون: " أن كل ما

ورد في كتب فقهاءهم نقله الأحبار عن الثقات من السلف عن موسى عن الله تعالى".

وهذا يلزمهم أن كل اختلاف بين اثنين من فقهاءهم يكون نقلاً عن الله، فيجعلون الله تعالى

قد أمر في مسألة بالشيء وخلافه. فيقولون: " إن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المذهب

في المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد هو المقطوع به. فيرد عليهم: أن هذا الرجوع بعد

الاختلاف إما لأن أحدهم رجع عن نقله، أو طعن في نقله، فيلزمه السقوط عن العدالة"².

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 96 - 97 - 98 - 99.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 95-96.

هذا نقد السند المتصل عنهم ونقد شرط عدالة الراوي، وهذا دليل على ضعف سندهم، وهو نقد خارجي للنص¹.

• إلزام اليهود نبوة عيسى عليه السلام: بدليل زوال ملكهم بظهوره. وهم لا يقدرّون على جحد ذلك، فيلزمهم أن عيسى هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه². وفي هذا الفصل أيضا نقد داخلي للنص.

• عقيدة اليهود في عيسى عليه السلام: يدعون أنه كان من العلماء لا من الأنبياء، وأنه طبيب أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم، في يوم السبت، فأنكروا عليه ذلك. فاحتج السموأل عليهم بأنهم ينقذون من أشرف على الهلاك من الشياخ يوم السبت، ألا يحله عيسى عليه السلام ليعالج المرضى. فاستنكر عليهم عدم تحليل السبت لتخليص الإنسان الذي هو أكرم عند الله من الحيوان. فأفحمهم ولم يؤمنوا. على الرغم من إجازتهم قطع أحدهم النبات للدواب يوم السبت لقوم على غير ملتهم³.

هنا استخدم العقل والمنطق في الرد عليهم، واستخدم أيضا النقد الخارجي للنص.

• بيان الآيات والعلامات الدالة على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم من التوراة: ومنها أنه من بني اسماعيل وهم إخوة لجميع ولد إبراهيم، وأنه هو المقصود في التوراة، وليس النبي شموائيل لأنه لا حاجة لموسى عليه السلام أن يوصي بالإيمان به، خاصة

1 - عرض منهج كتاب السموأل، بحث ماجستير، إعداد الطالب شريف مسعد فياض عبد الفتاح، إشراف عبد الله الشرقاوي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، 2009م/ 2010م، ص 11.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 102 - 103.

3 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 108 - 109 - 110.

أنه لم يأت بزيادة ولا بنسخ، كما أنه لم يكن ليوصي بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهم من الأنبياء. وإنما خاف تكذيبهم لمن ينسخ دينهم فأوصى بالإيمان به¹. وهذا إلزام بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة إلى ماورد من الإشارة إلى اسمه في التوراة في كلمة "بمادام". وكذلك ذكر الموضع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام جميعا حيث قال الله في التوراة: "إن الله تعالى من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات المقديسي"²، وهم يعرفون أن جبل سيعير كان مقام المسيح، وجبل فاران هو جبل مكة، وقد ثبت في التوراة أنه مسكن لآل إسماعيل. وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام هؤلاء الأنبياء، ما يقتضي اتباعهم³.

استخدم السؤال هنا النقد الداخلي للنص ببراعة شديدة.

• إبطال ما يدعونه من محبة الله لهم دون غيرهم: جادلهم السؤال في ذلك وألزمهم بما يقرون به من خلال نصوصهم، فهم يؤمنون بأيوب وهو من غير طائفتهم أي ليس من بني اسرائيل، ويكفرون التسعة أسباط لأنهم ضالون وهم من طائفتهم. فقد اضطرهم هذا إلى الإقرار بأن الله لا يحب الكفار والضالين حتى ولو كانوا من طائفتهم، ويجب

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 111 إلى 114.

2 - سفر التثنية الإصحاح (33: 2).

3 - إفحام اليهود، ص 115 إلى 119.

المؤمنين المهتدين من غير طائفتهم، إذن هذا ينفي ادعاءهم اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى بطائفتهم من بين المخلوقين¹.

زواج السمؤال هنا بين النقد الداخلي والخارجي، إذ ربط فيما بينهما ليخرج بنقد اختصاصه سبحانه وتعالى بحبه لهم دون غيرهم.

• عرض بعضا من كفرهم وتبديلهم: فهم رغم ذهاب دولتهم وتشنت شملهم يتلون الصلوات الدالة على أنهم أحباء الله، وينتظرون عودة المسيح المنتظر. وما فهموا من ضرب الأمثال في التوراة الدالة عليه إلا صورها الحسية، دون معانيها العقلية، ولم يدركوا من الأمور إلا ظاهرها، فتولوا عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه، رغم العلامات الدالة عليه، ومن بلادتهم انتظرو الأسد حتى يأكل التبن، وتصح لهم حينئذ علامة المسيح الذي سيجمعهم بأسرهم وتصير لهم الدولة وسيجعل العالم يخلو من سواهم. وابتدعوا ضلالات وكفريات كثيرة، لملهم من شدة الضجر من الذل والعبودية، فدخلوا في الزندقة ووصفوا الله بما لا يليق من عجز وندم، وnectوه بكل شناعة يبرأ منها جل جلاله.²

هذا من النقد الداخلي لنصوصهم التوراتية المحرفة بشهادة عالمنا وإمامنا، والتي نكروا فيها الأعاجيب التي تقضحهم وتقضح كفرهم، كما تؤكد على جهلهم وعنادهم واستكبارهم.

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 121 - 122 - 123.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 124 إلى 135.

• ذكر حقيقة سبب تبديل التوراة: وأنها ليست التوراة المنزلة على موسى، لأنها لم تكن مع بني إسرائيل، فموسى عليه السلام دفعها إلى أولاد هارون ليحفظونها، ولم يعطيهم إلا نصف سورة علمها لهم، وفيها ذكر معائبهم وذم طباعهم، أما حفاظ التوراة الهارونيون فقد قتلوا على يد بخت نصر يوم فتح بيت المقدس. فقام عزرا بجمع ما حفظه وما عند الكهنة، ولفق منه هذه التوراة التي بين أيديهم الآن¹.

استخدم السموأل هنا النقد الداخلي والخارجي، فالداخلي مثل ما ذكر من نصوص توراتية، والخارجي هو كيفية ورود ووصول النصوص التوراتية وجمعها، وأنها ما أتت إلا عن طريق عزرا وليست كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام.

• ذكر بعض عقائد اليهود في الإسلام وفي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: وفيما يعتقدونه في دين الإسلام، فهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ علوم التوراة من عبد الله بن سلام، وينسبون الفصاحة المعجزة في القرآن إليه. بالإضافة إلى أنهم يفترون على أنبيائهم شرب الخمر واقترافهم زنا المحارم، والكثير من القصص الخرافية الملققة. وهم ينكرون النسخ في القرآن الكريم ويعدون بدءاً، والبدء لايجوز في حق الله تعالى، كما أنهم يعادون الله ورسوله، ويلقبونه بألفاظ نابية وقاسية، وكذا يتناولون القرآن بالكذب والسب، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين².

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي ص 135 إلى 140.

2 - إفحام اليهود، ص 146 إلى 157.

أورد السموأل الكثير من القصص الملفقة على أنبياء الله عليهم السلام، وهو من النقد الداخلي للنص، وأظهر تناقضات كثيرة في نصوصهم، لا تتضح إلا لصاحب فهم، وهم لا يفهمون.

• ومن الفضائح التي أوردها السموأل ذكره لشريعة اليهود في زوجة الأخ الذي يموت ولا يترك ولدا، وما يترتب عنها من كذب وبهتان على الأخ الذي يأبى الزواج من زوجة أخيه الميت، وإلزامه عقابا على ذنب لم يقترفه¹.

• بيان سبب تشديد اليهود الإصر على أنفسهم: ذكر السموأل أنه ناتج عن تشديد فقهاءهم عليهم، وعن تشتتهم في الأمصار الذي أدى إلى خلافات فقهية بينهم، فقد اختلقوا كتابا سموه علم الذباجة، وشددوا على أنفسهم في الأكل. فلا يأكلون من ذبائح غيرهم من الأمم خوفا من أن يأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، وقد أكلوا من بني العيص مع كونهم كفارا، وفي هذا تناقض كبير. والتوراة نهتهم عن مناكحة ومآكلة عباد الأصنام لا مخالفهم في الدين.²

لفرط جهلهم، وتشديدهم على أنفسهم ضلوا وأضلوا، ويستخدم السموأل هنا نقد النص الخارجي، كما استخدم النقد الداخلي في فضح مذهبهم في نكاح زوجة الأخ الميت.

أورد في خاتمة كتابه قصصا عنهم تؤيد إفحامه لهم بفرط جهل عقولهم، ووسمهم بالجهالة والضلالة.

1 - إفحام اليهود ص 158 إلى 160.

2 - إفحام اليهود، ص 161 إلى 177.

وذكر كل هذا بعقل الرياضي الذي يعول على الحجة القاطعة، والبرهان الدامغ، وبفهم المتبحر في الكتب اليهودية وتفسيراتها وفقهها وتقاليدها فهو حبر وابن حبر، ومطلع عما هو محجوب عن عامتهم، بل وبعض خواصهم. وقد أبعد العاطفة والتقليد، وكان موضوعيا نزيها ناقدا، يعتد بالعقل ويعول عليه كثيرا.

الباب الثاني: كتاب إفحام اليهود: دراسة ومناهج

الفصل الأول: مناهج القرآن الكريم ومناهج علماء المسلمين في مقارنة الأديان

المبحث الأول: مناهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

المبحث الثاني: نماذج من مناهج علماء المسلمين في الرد على أهل الكتاب

المبحث الثالث: مناهج المهتدين إلى الإسلام في الجدل الديني

الفصل الثاني: منهج السموأل بن يحيى المغربي في كتابه إفحام اليهود

المبحث الأول: منهج الإلزام

المبحث الثاني: حساب الجمل

الفصل الثالث: موضوعات الكتاب عرض ودراسة

المبحث الأول: إلزام اليهود بالنسخ

المبحث الثاني: إلزامهم نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام

المبحث الثالث: كفرهم وتبديلهم للتوراة

المبحث الرابع: سبب تبديل اليهود التوراة

المبحث الخامس: بيان بعض فضائح اليهود.

الفصل الأول: مناهج القرآن الكريم ومناهج علماء المسلمين في

مقارنة الأديان

المبحث الأول: مناهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

المطلب الأول: تحديد مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مناهج القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب

المبحث الثاني: نماذج من مناهج علماء المسلمين في الرد على أهل الكتاب

المطلب الأول: منهج الكتابات التحليلية النقدية

المطلب الثاني: منهج الكتابات الجدلية

المطلب الثالث: منهج الكتابات المقارنة

المطلب الرابع: المنهج التاريخي الوصفي

المبحث الثالث: مناهج المهتمين إلى الإسلام في الجدل الديني

الفصل الأول: منهج القرآن الكريم ومناهج علماء المسلمين في الرد على أهل الكتاب

تمهيد

كان القرآن الكريم سباقا لوضع منهج مجادلة أهل الكتاب والرد عليهم، فوجد العلماء في هذا المنهج القرآني النبراس الواجب اتباعه حتى لا يضلوا عن جادة الصواب، ولم يكتفي القرآن الكريم بنهج طريقة واحدة لمناقشة أهل الكتاب وبيان ما هم عليه من كفر وضلال، بل نوع في طرق ومناهج حجاج هؤلاء حتى يردهم إلى طريق الحق بالدليل والبرهان الساطع، لكن قسوة قلوبهم أعمت أبصارهم عن رؤية الحقائق، فظلوا في طغيانهم يعمهون. وكما كانت أساليب القرآن متنوعة في إفحامهم، فقد تنوعت أيضا مناهج علماء المسلمين في الرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

أسهم علماء المسلمين بشكل كبير في علم مقارنة الأديان، وخلفوا لنا تراثا ضخما يشهد على اعتنائهم واهتمامهم بهذا العلم الجليل، الذي كان وسيلة لهم في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، فعملوا على الدفاع عن الدين الإسلامي وإظهار مزاياه، في المقابل بينوا ما يشوب غيره من تبديل وتحريف بأرقى الطرق وأجمل الأساليب، فجادلوا، وناظروا، وأفحموا غيرهم من علماء اليهودية والنصرانية بالدلائل والحجج الدامغة، وقد نهجوا في ذلك مناهج عدة، اختلفت وتباينت من عالم لآخر، حسب تكوينه ورؤيته لمجال مقارنة الأديان، وزاوية دراسته للكتب المقدسة في نظر الآخر، فهناك من تناول بالدراسة النقد الداخلي والخارجي لنصوص الكتاب المقدس، وهناك من اتجه إلى مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم في ما

يخص دراسة أديانهم، وهناك من اتبع المنهج المقارن بين هذه الأديان لبيان حقيقتها من زائفها، وهناك من اعتمد المنهج التاريخي الوصفي في دراسة الأديان، إلى غير ذلك من المناهج التي لا يتسع المجال لحصرها.

وفي هذا الفصل سيتم تقديم المنهج القرآني في مخاطبة ومجادلة أهل الكتاب، وبعده عرض لأهم مناهج علماء المسلمين في حقل مقارنة الأديان للرد على أهل الكتاب، ومناهج المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب، تمهيدا لعرض منهج السمؤال المغربي في إفحامه لليهود والنصارى من خلال كتابه "إفحام اليهود".

لقد ناقش العلماء المسلمون مذاهب النصارى واليهود، وجادلوهم بشتى الطرق والأشكال، فتركوا لنا تراثا ضخما في هذا المجال يتمثل فيما كتبه أئمة أعلام نقدا وردا، فقد نقدوا ما عند القوم من تحريف وتغيير وتبديل، وبينوا ذلك أحسن بيان، وردوا على الشبهات التي أثاروها حول القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام، وأقاموا عليهم الحجة، فتباينت مناهجهم وأساليبهم في ذلك. وبدلوا الجهود في الجدل مع اليهود والنصارى، والرد على كتبهم وتحريفهم وما يتصل بذلك من بيان فضل الإسلام وخصائصه عند المقارنة والموازنة.¹

1 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1429هـ، ص 15. من مقدمة المحقق.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من أهل الكتاب

حتى تتضح أكثر مناهج علماء المسلمين ومنهم المهتدي السموأل بن يحيى المغربي، في الرد على المخالفين من أهل الكتاب، كان من المستحسن أن يتم التعرّيج على منهج القرآن الكريم في هذا الباب، باعتباره المؤسس لهذه المناهج، وأول من وضع معالمها وقواعدها، ومنه استمد العلماء روح الجدل والمناظرة والرد على كل من خالف الإسلام عقيدة وشريعة، فاقتبسوا من نوره، واستضاءوا بضوئه، واهتدوا بهديه في أساليب احتجاجه واستدلّاه على خصومه.

وقد قال فيه بعض العلماء: "وفي الجملة لا تجد طريقا نافعا فيه إحقاق الحق وإبطال الباطل إلا وقد احتوى عليه القرآن على أكمل الوجوه".¹

المطلب الأول: تحديد مفهوم المنهج

أ- المنهج لغة

هناك اتفاق إلى حد ما في تحديد مفهوم المنهج في المعاجم اللغوية. فقد جاء في لسان العرب: طريق نهج: بين واضح، والجمع نهجات ونهج ونهوج، ونهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج.² وطريق نهج: واسع واضح، ومنهج الطريق: وضحه.

1 - القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م، ص 42.

2 - لسان العرب، الجزء 3، ص 206.

والمنهاج: الطريق الواضح¹. ونهج لي الأمر: أوضحه، والمنهج: الطريق². واستخدم هذا اللفظ في القرآن الكريم بنفس المعنى، قال تعالى: ﴿لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾³. واللفظ "منهج" ترجمة للكلمة "Méthode" الفرنسية ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى، وكلها تعود إلى الكلمة اليونانية Méthodos، وهي تستعمل بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة. والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى المعنى المطلوب⁴.

فيتضح من خلال هذه التعاريف أن المنهج ارتبط في اشتقاقه اللغوي بالوضوح والبيان، فالمنهج والمنهاج يدلان على الطريق الواضح البين.

ب- المنهج اصطلاحاً

المنهج كمصطلح علمي متعدد الدلالات، لارتباطه بنطاق عمل الباحث، ولا يمكن توحيد معنى هذا المصطلح إلا في حقل دراسي معين، فتختلف بذلك المناهج وتتنوع باختلاف وتنوع مجالات الدراسة.

-
- 1 - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، الجزء الرابع، باب النون، ص 280 - 281.
 - 2 - معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الجزء الخامس، ص 361.
 - 3 - سورة المائدة، الآية 50.
 - 4 - مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977م، ص 3.

المنهج هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين. وبعد عصر النهضة الأوروبية، أصبح للمنهج معنى آخر هو أنه طائفة من القواعد العامة المصوغة، التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلوم.¹

وهو كذلك "الطريق الذي يسلكه الباحث في إثبات المحمولات لقضايا مبحوث عنها في العلم، والأداة المعتمدة في الكشف عن أحوال وحقائق موضوعات قيد الدراسة والمعالجة".² وهناك من يقول: " إنه مجموعة من القواعد والقوانين والشروط التي يتحقق بها الاتفاق المزدوج بين الفكر ونفسه من ناحية، وبين الفكر والواقع من ناحية أخرى".³ وهو أيضا " الأسلوب أو الطريقة التي يتبعها الباحث أو العالم في معالجة موضوع بحثه، بهدف الوصول إلى نتائج معينة".⁴ فالمنهج إذن ليس إلا " خطوات منظمة يتبعها الباحث ليضمن سلامة الطريق وسداد الفهم ويتجنب العثرات والوقوع في الأخطاء".⁵ وهذا يتطلب مقدرة شخصية وجهدا ثقافيا هاما، لأن ممارسة هذا المفهوم ليست مجرد تطبيق لقالب

1 - مناهج البحث العلمي، بدوي، ص 3 - 5.

2 - مجلة أبحاث ودراسات تربوية، نحو بناء المذهب التربوي: قراءة في معالم المنهج، سامر توفيق عجمي، عن مركز الأبحاث والدراسات التربوية، بيروت، العدد الثاني، السنة الأولى، شتاء 1437هـ-6102م، ص 17.

3 - أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1998م، ص 15.

4 - منهجية البحث تقنيات ومناهج، طباجة يوسف عبد الأمير، بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية 1432هـ-1102م، ص 45.

5 - في علم الدين المقارن، مقالات في المنهج، ص 21.

جاهز، بل هي إعادة إنتاج له قابلة للتبلور والتميز وخاضعة لعلاقته بالموقع الفكري

لموضوعه وبالوضع الثقافية والاجتماعية التي تشكل حقل ممارسته.¹

فقد يشير هذا المصطلح إلى فكر مذهبي أو مدرسي ما، كمنهج اتجاه أو مدرسة كلامية

أو فلسفية، وقد يراد به الرؤية الشاملة للإله والكون والإنسان والخلق، دلالة على المنهج

الإسلامي، وقد يدل على حقل علمي معين، عند طائفة أو فلسفة ما، مثل المنهج

الاقتصادي والسياسي الماركسي، أو الرأسمالي، أو الإسلامي. وقد يراد به منهج البحث

العلمي، ذو الأدوات والأسس والإجراءات، كمنهج ابن حزم والغزالي، مثلاً في دراسة

الأديان، أو في بحث أي قضية علمية أخرى.²

ويتضح مما سبق أن المنهج هو الأداة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى غرضه أو

غايته واكتشاف الحقيقة والوصول إلى المعرفة. وفق خطوات منظمة ورصينة، تختلف من

باحث لآخر حسب الحقل العلمي الذي يشتغل فيه.

المطلب الثاني: مناهج القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب

لقد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم

وتحديد يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن

أورده تعالى على عادة العرب، دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

1 - معرفة النص، يمني العيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، طبعة 1983م، ص 124.

2 - علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي قضايا ومناهج، ص 17.

أحدهما: بسبب ما قاله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾¹.
والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل² من الكلام،
فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا
يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل
صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم
الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء.³

؛ فقد قدم القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الأول في مجال مقارنة الأديان، كما
حفل بالحديث المفصل، المستوعب عن الأديان، والعقائد، والملل والنحل والمذاهب
المختلفة، وعرض مقالاتهم بدقة واستقصاء، ثم ناقشها وبين وجوه الزلل والبطلان والزيف
فيها. وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام. ويبدو ذلك
واضحا في حديثه عن اليهود والنصارى، حيث فصل مقالاتهم، واعتقاداتهم، ومذاهبهم. ولم
يعالجها متعجلا في نص أو نصين، وإنما جاء فيها بفيض غزير زاخر، يكشف عن

1 - سورة ابراهيم الآية 5.

2- معناها: "الجلي"، وكذا قوله "من جليلها": أي "من جليلها"، وهو الأنسب لمعنى الكلام. انظر الحاشية: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ص 1954.

3 - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة 1404 هـ / 1984 م، المجلد الثاني، ص 24. انظر أيضا: الإتيان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الجزء الخامس، بدون تاريخ، ص 1954.

خباياها. فكان الحديث عن بني إسرائيل في القرآن الكريم من أكثر المسائل نصوصاً، بعد

العقائد.¹

كما وقف القرآن الكريم موقف القوة أمام أهل الكتاب، فدعاهم جميعاً إلى قبول الحق والإذعان له، وإلى نبذ العناد وتركه، وفق قاعدة التقارب المبنية على الأسس التوحيدية التي دعا إليها كل الأنبياء والمسطرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾². ودعا إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن حتى لا يُوجج في قلوبهم العصبية والحقد، خاصة أن رسالة الإسلام جاءت سالبة لكل مناصب الزعامة الدينية التي كانت لهم، وهي مهمة تتسجم ومنهج القرآن في الجدل والمناظرة. وقد بقي القرآن الكريم دائماً كتاباً مفتوحاً أمام الآخر، لا يمنع خصومه من البحث فيه لإيجاد أي اختلاف أو تناقض بين آياته، واكتشافه بأسلوب المتحدي القوي³. حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁴.

1 - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، للغزالي، ت محمد الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، الطبعة الثانية 1406هـ / 1986م، ص 18 - 19، مقدمة المحقق.

2 - سورة آل عمران الآية 63.

3 - منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، نادية الشرقاوي، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2010م، ص 18 - 19.

4 - سورة النساء الآية 81.

لقد انتهج القرآن الكريم مناهج متعددة وأساليب متنوعة في محاورته لأهل الكتاب، وذلك من أجل إقناعهم، وإقامة الحجة عليهم، ومن هذه المناهج:

1- القصص القرآني:

من الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم طريقا لإقناع أهل الكتاب والتأثير فيهم القصص، وتضمين القصة الأدلة على بطلان ما يعتقدون المشركون وغيرهم، وقد يكون موضوع القصص رجلا محترما ممن يجادلهم القرآن الكريم إذ يدعون محاكاته في دينه، واتباعه في ملته، فيجيب برهان الله على لسانه. فيكون ذلك أكثر اجتذابا لأفهامهم، وأقوى تأثيرا في قلوبهم¹. إذ إن مجيء الدليل في ضمن خبر لرجل يعترف بفضله المجادلون، يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين، من جهة الدليل في ذاته، ومن جهة أن الذي قاله رجل يدعون أنهم أتباعه، فهم ملزمون بقوله، مأخوذون برأيه². والمثل لذلك في قصة ابراهيم عليه السلام، التي تثبت بطلان عبادة الأوثان، حيث قال تعالى: ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكُتُبِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۗ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ﴾ قال أراغب أنت عن

1 - تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 1424 هـ / 2003 م، ص 54. انظر أيضا: الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، ص 204.

2 - تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 54.

ءالهي يَابْرَهُيمَ لئن لم تنته لأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قال سلم عليك سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ٥
إنه كان بي حفيًّا ﴿٤٧﴾ وأَعْتَزَلَكُمْ وما تَدْعُونَ من دون الله وأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدَعَاءِ
رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾¹. ويرى القرافي (ت 749هـ) أن الفائدة في ذكر هذه قصة في محاوراة أهل
الكتاب، أن إبراهيم عليه السلام يعترف بفضل جميع الطوائف والملل، والمشركون
متشرفون بأنهم من أولاده.²

وقد يجيء الدليل على لسان حيوان في قصة فيكون في ذلك غرابة تسترعي الذهن، وتثير
الانتباه، وتملأ النفس بالحقيقة إيماناً، كما جاء دليل التوحيد على لسان الهدد³، إذ يقول
الله سبحانه وتعالى حاكياً عن سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿وتفقد الطير فقال ما لي لا
أرى الهدد أم كان من الغائبين ﴿٤٩﴾ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطانٍ
مبين ﴿٥٠﴾ فمكث غير بعيدٍ فقال أحطت بما لم تحط به وجرئت من سبأ نبياً يقين ﴿٥١﴾ إني
وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴿٥٢﴾ وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٥٣﴾

1 - سورة مريم الآيات من 40 إلى 48.

2 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، دار المحدثين للبحث العلمي
والترجمة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ص 205.

3 - تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 54.

ألا- يَسْجُدُوا- لله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴿٥٥﴾

الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾

2- الأقيسة:

نظرا لما للقياس من أثر في إقامة الحجج على الخصوم، فقد استخدم القرآن الكريم في

محاورته لأهل الكتاب أنواعا من الأقيسة نذكر منها:

أ - الأقيسة الإضمارية:

وهي الأقيسة التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف، والحذف

طريقة القرآن الكريم². وفي ذلك قوله تعالى وهو يرد على النصارى: ﴿إِن مِّثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ

اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ وَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٨﴾ أَلْحَقَ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنْ

الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٩﴾﴾³. وفي هذا دليل قوي على بطلان ما يدعون من بنوة عيسى عليه السلام،

وفي الوقت نفسه لم تذكر فيه سوى مقدمة واحدة وهي مماثلة عيسى لآدم عليهما السلام.

وكأن سياق الدليل هنا هو أن آدم خلق من غير أب كعيسى، فلو كان عيسى ابنا بسبب

ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنا باعترافكم، فعيسى ليس ابنا أيضا⁴.

ب - قياس الخلف:

1 - سورة النمل الآيات من 20 إلى 26.

2 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، ص 206. انظر أيضا تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 53.

3 - سورة آل عمران، الآيتان 58 و59.

4 - تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 53.

وهو الذي يتجه فيه إلى إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود، وإن القرآن الكريم يتجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون فيبطل عبادة الأوثان ويثبت التوحيد¹. ومن ذلك الاستدلال قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾². وتقرير الدليل من غير أن تتسامى إلى مقام البيان القرآني، كما يسوقه علماء الكلام، هكذا: لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، وإن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتخالف الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين، فبطل ما يؤدي إلى الفساد، فكانت الوجدانية، فسبحان الله رب العرش عما يصفون. ويسمى علماء الكلام هذا الدليل دليل التمانع، أي: امتنعت الوثنية لامتناع الفساد، فكانت الوجدانية³. ومن قياس الخلف أيضا، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾⁴، وهذا أيضا من قبيل فرض التمانع الذي يؤدي إلى الفساد، ولا فساد، فيبطل ما يؤدي إليه، وتثبت الوجدانية. وفي إثبات أن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، قوله تعالت كلماته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

1 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي، الطبعة الثالثة 1404 هـ، ص 77 و78. انظر أيضا: تاريخ الجدل، ص 55.

2 - سورة الأنبياء الآية 22

3 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 78. انظر أيضا: البرهان في علوم القرآن، الجزء الثاني، ص 25.

4 - سورة الإسراء الآية 42

غَيْرَ اللَّهِ لوجدوا فيه اُخْتَلَفًا كَثِيرًا ﴿١﴾، وإذا ثبت أنه ليس فيه اختلاف، ولا تضارب في

مقرراته ولا عباراته، فإنه يثبت النقيض، وهو أنه من عند الله تعالى.²

وبذلك يتضح أنه في كل هذه الآيات البينات كان إثبات المطلوب بإبطال نقيضه.³

ومن الواضح أنه مع هذا القياس الذي واجه المخاطبين بإبطال ما يدعون، ليثبت ما

يدعوهم إليه الرسول، معنى سام قوي، وهو مواجهة المخالفين بإبطال ما عندهم، وأنه ليس

من القول الذي يقام له دليل، وإن ذلك يوهنهم وينهه من قوتهم، ولذلك كانوا يشكون من

النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يسفه أحلامهم، ويصغر من أصنامهم.⁴

ج - قياس التمثيل:

وهو إلحاق أحد الشئيين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر

معروف عند مخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما.⁵

وقد سلك القرآن الكريم هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقربا ما بين الحقائق القرآنية،

والبداهة العقلية، وكثير من استدلالات البعث فيها تقريب وتمثيل البعث وقدرة الله تعالى

عليه، بما يرون من إنشاء الكون البديع، وخلق الإنسان وبيان أطواره.⁶ والآيات التي تنهج

هذا المنهج كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

1 - سورة النساء الآية 81

2 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 78.

3 - تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 55.

4 - المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الجزء الأول، طبعة 1390هـ / 1970م، ص 272.

5 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 78. انظر أيضا: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 56.

6 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 78.

من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقَةٍ ثم من مضغَةٍ مخلقةٍ وغير مخلقةٍ لنبين لكم ونقر في
الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى
ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علمٍ شيئاً وترى الأرض هامدةً فإذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنتبت من كل زوجٍ بهيج ﴿٥﴾ ذلك بأن الله هو الحق وأنه
يحي الموتى وأنه على كل شيءٍ قديرٌ ﴿٦﴾ وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في
القبور ﴿٧﴾¹. ففاس الله سبحانه أمر الإعادة للإنسان خلقاً سويًا في الحياة الآخرة والذي
يشير استغراب العرب على الأمر الذي ليس موضوع ريب، وهو الإنشاء الأول، وكان
القياس على أجمل أسلوب، التقى فيه الجلال والكمال والجمال.²

وفي هذا عقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته التي لخصها الله سبحانه وتعالى في
قوله: ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾³، وفي هذه الآيات الكريمات بين سبحانه وتعالى كيف
ابتدأ خلق الإنسان من طين، ثم جاءته الأطوار المختلفة حتى آل إلى القبر، ثم كيف
خلق الأحياء في الأرض من نبات وحيوان، وأن كل ذلك دليل على قدرة الخالق المنشئ
بديع السماوات والأرض، وأنه على ما يشاء قدير.⁴

3- التحدي والمباهلة:

1 - سورة الحج، الآيات من 5 إلى 7.

2 - تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص 56.

3 - سورة الأعراف الآية 28.

4 - المعجزة الكبرى، ص 274-275.

التحدي والمباهلة من الأساليب النافعة في إظهار الحق، وإبطال الباطل، وقد سلك القرآن الكريم هذا المنهج في مجادلة أهل الكتاب، الذين يتكبرون عن قبول الحق، ويصرّون على باطلهم وضلالهم مع قيام الحجة عليهم، وظهور الحق لهم. ففي مقام التحدي يقول سبحانه: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾¹. وفي مقام المباهلة وهي نوع من التحدي، فقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم حينما جادله نصارى نجران في أمر عيسى عليه السلام، فلم يقبلوا الحق الذي جاء به من عند الله تعالى بل أصروا على باطلهم وضلالهم، وعلى عقيدتهم الفاسدة، ومقولتهم الباطلة في عيسى عليه السلام.² فقال تعالى في حوارهم معهم: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾³.

والمباهلة في اللغة "البهل: اللعن، وبهله الله بهلا أي: لعنه، وباهل القوم بعضهم بعضا وتباهلوا وابتهلوا: تلاعنوا، والمباهلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلانا: أي لاعنته"⁴. " والبهل والابتهل في الدعاء الاسترسال فيه والتضرع، وتفسير الابتهل باللعن، لأن الاسترسال في

1 - سورة البقرة، الآية 22.

2 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد الخالق، ص 208 و 209.

3 - سورة آل عمران، الآية 60.

4 - لسان العرب، الجزء الأول، ص 375.

ذلك المكان لأجل اللعن¹. نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبَّهْلَ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

الْكَذِبِينَ﴾.²

ومن أمثلة التحدي الواردة في القرآن، أن اليهود كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم وحدهم الفائزون بمغفرة الله ورضوانه، وليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب، عند ذلك أكذبهم الله عز وجل وأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم³: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁴ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم⁵ والله عليم بالظلمين⁶ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر⁷ والله بصير بما يعملون⁸

وقد تحداهم القرآن في مواضع كثيرة، فعجزوا عن معارضته فثبت الإعجاز، وظهرت قدرة المعجز، واتضح صدق صاحب الإعجاز، فبطلت دعواهم بأن القرآن من وضع البشر، لأن التحدي قد جعل دليلاً على أن هذا القرآن من عند الله تعالى والدليل متى عورض

1 - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت - لبنان، بدون طبعة، ص 63.

2 - سورة آل عمران، الآية 61.

3 - منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم الدراسات العليا، شعبة الدعوة، المملكة العربية السعودية، 1404هـ/ 1983 م، ص 238-239.

4 - سورة البقرة الآيات 93-94-95.

بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به.¹ قال تعالى: ﴿ قُل لِّبِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۗ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾².

4- الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به:

احتج القرآن على أهل الكتاب بما يسلمون به من حقائق موجودة في كتبهم وذلك تحقيقاً في إقامة الحق عليهم³. ومن ذلك أنه رغبهم في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم،

وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم، فقال مادحا من آمن منهم: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۗ

فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ الخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ ۖ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾⁴. كما احتج عليهم في بعض المسائل الفرعية كما قال تعالى: ﴿ كُلِّ الطَّعَامِ

كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَاَتُوا

بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ۗ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٨﴾⁵.

1 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 89-90

2 - سورة الإسراء، الآية 88.

3 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، سعد عبد الخالق، ص 210-211

4 - سورة الأعراف الآيتان 156-157.

5 - سورة آل عمران الآية 93.

5- الاستدلال بلازم كلامهم:

وذلك أن كثيرا من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لا يقرونها، وقد حاجهم الله بذلك حيث كانوا يدعون أنهم متبعون لملة ابراهيم، فأخبر الله أن الحج من شعائر ابراهيم عليه السلام، وهم معرضون عنه¹، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۗ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَلَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ۗ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ۗ².

وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرًا تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾³، أن في هذه الآية استدلال بلازم كلامهم، وذلك أنهم تواصلوا باليهودية والنصرانية، وهذا معناه ترك النظر والأخذ بالتقليد، فأجابهم الله تعالى بأنه إذا كان لابد من التقليد، فتقليد ابراهيم عليه السلام أولى، لأنهم متفقون على تعظيمه، ومختلفون في

1 - الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1414هـ، ص 204.

2 - سورة آل عمران الآيات من 95 إلى 99.

3 - سورة البقرة الآية 134

اعتبار أي الديانتين اليهودية والنصرانية¹، وفي تفسير الرازي لهذه الآية يقول: " اعلم أن الله تعالى لما بين الدلائل في صحة دين الإسلام، حكى أنواعا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام . الشبهة الأولى: حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ﴾². ولم يذكروا في تقرير ذلك شبهة، بل أصروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى على هذه الشبهة من وجوه، الأول: ذكر جوابا إلزاميا وهو قوله: ﴿ قل بل ملة إبراهيم حنيفاً ﴾³، وتقرير هذا الجواب أنه إن كان طريق الدين التقليد، فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم عليه السلام، لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف إن كان المعول في الدين على التقليد، فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر فقد قدمنا الدلائل، وإن كان المعول على التقليد، فالرجوع إلى دين إبراهيم عليه السلام، وترك اليهودية والنصرانية أولى".⁴

1 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، ص 212.

2 - سورة البقرة الآية 134.

3 - سورة البقرة الآية 134.

4 - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (د.ت)، الجزء الرابع، ص 73.

6 - إثبات تحريفهم لكتبهم:

يحتاج القرآن أهل الكتاب مبينا لهم التحريف الذي لحق بكتبهم بسبب تقولهم على الله وتحريف الكتب من أجل ثمن قليل، وبسبب قسوة قلوبهم وعصيانهم وعنادهم¹، كما قال تعالى: ﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾². وقال سبحانه كذلك: ﴿من الذين هادوا يجرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع ورعنا لينا بألسنتهم وطعنا في الدين﴾³. وفي موضع آخر يقول جل في علاه: ﴿بما نقضهم ميثقهم لعنهم وجعلنا قلوبهم قسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾⁴. وإذا خاطبهم القرآن بأنهم حرفوا ولم يعترضوا، فقد قامت عليهم الحجة، وثبت بذلك صحة الدعوى⁵.

7- التسليم:

وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على

1 - الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه، خالد بن عبد الله القاسم، ص 206.

2 - سورة البقرة الآية 78.

3 - سورة النساء الآية 45.

4 - سورة المائدة الآية 14.

5 - الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد الخالق، ص 213.

تقدير وقوعه¹، كقوله تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ

بما خلق ولعلا بعضهم على بعضٍ سبَّحْنُ اللَّهَ عما يصفون﴾².

والمعنى ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم ذهاب

كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ

فيه حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض وجود إلهين فأكثر محال، لما يلزم

منه من المحال، وهذا النوع من الاستدلال قريب من قياس الخلف الانف الذكر، إلا أنه

ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع.³

كما نهج القرآن الكريم مناهج متعددة أخرى لا يسع المجال للتفصيل فيها هنا، كأن

يجادلهم بذكر عيب آلهتهم وأنها ناقصة من كل وجه، لا تغني عن أهلها شيئاً، ويقدم

الأدلة على أهل الكتاب، بأنهم لهم من سوابق المخالفات لرسولهم ما لا يستغرب معه

مخالفتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، وينقض عليهم دعاويهم الباطلة وتزكيتهم لأنفسهم

ببيان ما يضاد ذلك من أحوالهم وأوصافهم، ويجادلهم بتوضيح الحق وبيان براهينه وأن

صدقه وحقيقته تدفع بمجرد ما جميع الشبه المعارضة له⁴، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ

1 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 81 و82.

2 - سورة المومنون، الآية 91.

3 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 82. انظر أيضاً: الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مرجع سابق، ص 216.

4 - القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، ص 41.

إِلَّا الضَّلَّلُ فَأَنْزِي تَصْرُفُونَ¹. إضافة إلى الأخذ بموجب كلام الخصم واستنباط ما يريده، ومجارة الخصم فيما يقول ثم التعقيب عليه بما يبطل مدعاه، وإلزام الخصم بما يعترف به مما هو مشاهد محسوس، والاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر، ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدعاه. وكذلك إظهار سوابقهم مع أنبيائهم، وإثبات تناقضهم، وإثبات تحريفهم لكتبهم، وأخيرا الوعظ والتذكير الذي سلكه القرآن الكريم في عدة مواضع.²

وفي ختام هذا المبحث اتضح بجلاء أن القرآن الكريم إضافة إلى أنه معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فهو كتاب بيان لا يتسامى إلى بيانه متكلم أو محتج أو مجادل، لما احتواه من أساليب احتجاج ومناهج استدلال على خصومه، تعلم الجاهل وتنبه الغافل، وترضي نهم العالم، فتتوعت أدلته بين الخطابية والجدلية، فوعظ وجادل قصد إلزام وإفحام مخالفه. فكان بذلك الدليل المرشد لعلمائنا في مجادلة أهل الكتاب والرد على المخالفين منهم، فانتهلوا منه واقتبسوا من أساليبه، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

1 - سورة يونس الآية 32.

2 - تاريخ الجدل، ص 60. مناهج الجدل في القرآن الكريم، 80 - 83. الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، ص من 213 إلى 217. الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى 1414هـ، ص من 190 إلى 196.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۗ ﴾¹.

المبحث الثاني: نماذج من مناهج علماء المسلمين في مقارنة الأديان

إن الاطلاع على تراث علماء المسلمين في علم مقارنة الأديان، يبرز أنهم قد نهجوا مناهج متعددة في دراساتهم للأديان، تتوزع بين المنهج النقدي، والجدلي، والتاريخي الوصفي، والمقارن، أو الجمع بينها أحيانا. مستقين من القرآن الكريم أصول مناهجهم ومعالم مواقفهم، ومسترشدين بدعوته إلى مجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة. فكان إيمانهم بعالمية الدعوة الإسلامية يقتضي منهم فهما دقيقا لجميع الأديان والمذاهب المختلفة، حتى يستبين فسادها وانحرافها، ويتضح الحق بجلاء.

لقد أسهم العلماء المسلمون إسهاما كبيرا في المقارنات بين الإسلام واليهودية والنصرانية، فكان لكل منهم منهجه وأسلوبه وتحليلاته، ولا شك أن المستوى العقلي الذي تمتع به بعضهم فتح لهم آفاقا واسعة من العلوم الفلسفية واللغوية والتاريخية¹.

المطلب الأول: المنهج التحليلي النقدي

يعتمد هذا الاتجاه التحليل والنقد والجدل في طرح أسس الأديان وأدلتهم، كما أنه مبني على الدليل البرهاني العقلي والنقلي². فالتحليل والنقد من أبرز الخصائص التي تميزت بها دراسات العلماء في علم الملل، فلم يكن علماء المسلمين يقتصرون على عرض الأديان

1 - علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، حسن الباش، دار قنتية للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 1432هـ / 2011م، ص 43.

2 - مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدماء والمعاصرين في دراسة الأديان في ضوء إشكالية الموضوعية، أمين حجي الدوسكي، شبكة الألوكة 1437هـ 2017م، ص 11.

ووصفها، بل كانت دراستهم تتسم بالاستقصاء، والشمول، والتحليل العميق، والنقد العلمي الرصين المبني على الحجج والبراهين¹.

غير أن النقد في المجال الديني لم يرق إلى مستوى منظم وممنهج إلا في ظل الحضارة الإسلامية، التي لا يمكن إغفال وظيفة القرآن الكريم في وضع قواعد النقد وأساسه بشكل عام، ذلك النقد الموجه إلى التصحيح والبناء والإصلاح، ولنا في المنهج القرآني خير دليل على صحة ونجوع هذه الخصائص النقدية وهو يتوجه بالنقد إلى اليهود والنصارى من أجل إعادتهم إلى جادة الطريق².

ويعتبر ابن حزم³ (ت 456هـ) رائد هذا المنهج، في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، حيث خصص فيه مساحة كبيرة لدراسة الأديان، وتناولها بتحليل نقدي منهجي. معتمدا عملية استقراء تاريخي دقيق لكتب أهل الكتاب، حيث نقدها سندا وممتا⁴. ولقد تشكل منهجه التحليلي من النقد الخارجي، أو بحث السند والرواية، ومن النقد الداخلي، أو

1 - علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ/2005 م، ص 188.

2 - المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتمين إلى الإسلام من أهل الكتاب، مصطفى بوجمعة، دار الانتشار العربي، بيروت.

3 - هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، كان والده من وزراء المنصور ووزراء ابنه المظفر بعده بالأندلس، ولد بقرطبة سنة 384هـ، في سن السادسة والعشرين نبذ طريق الوزارة، وتفرغ للاستبحار في العلوم والفنون، والاشتغال بالتأليف والمناظرة والجدل، والرد على مخالفيه في المذهب والعقيدة وعلى اليهود والنصارى وأصحاب الملل والنحل، وأقبل منذ ذلك الحين على قراءة العلوم، ودراسة الفنون والآداب، والعلوم الشرعية وعلوم اللسان، والسير والطب والفلسفة وغير ذلك، له عدة مصنفات في ميادين مختلفة، أهمها في مقارنة الأديان كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل". توفي رحمه الله في شعبان من سنة 456هـ. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت 456هـ)، مكتبة السلام العالمية، الجزء الأول، ص من 3 إلى 7.

4 - علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، ص 188.

فحص متن النص والمحتوى. فدرس العهد القديم، والأسفار الخمسة، دراسة تحليلية نقدية. وكان يرتكز في هذا على قواعد وأصول منهجية، مثل: التناقض الذاتي، ومناقضة بدهيات العقول، ووقائع التاريخ الثابتة، ومقررات الواقع الملموس¹.

ولا يمكن أن نفصل منهج نقد النص الحزمي، عن المنهج العقلي، فابن حزم في حقيقة الأمر يستخدم المنطق العقلي الصارم في تطبيق منهجه النقدي بطريقة يستحيل الوقوف أمامه والرد عليه. هذا هو المنهج الذي أبدعه ابن حزم وقدمه للفكر الإنساني، ليس منهجا يرتاده كل واحد بسهولة، فهو منهج يقتضي نمطا خاصا من العقلية العلمية المستوعبة والموسوعية الواعية².

ومنهج ابن حزم (ت 456هـ) يتميز من منطلقه بالوضوح وبيان اللفظ، والرجوع إلى البراهين القائمة على المقدمات الحسية، أو الرجعة إلى الحس من قريب أو بعيد³، فهو يعتبر الجدل وحده من دون برهان يبين الصواب وي طرح البديل، إنما هو شغب لا طائل منه، كثيرا ما وقع فيه المتكلمون. كما يستوجب أن تقوم البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق على معطيات الحواس الخمس، وعلى أولويات العقل وبديهياته⁴.

1 - علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، ص 189.

2 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، دين محمد محمد ميرا، دار البصائر القاهرة، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، ص 78. انظر أيضا: علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه، حسن الباش، ص 44.

3 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت 456هـ)، مكتبة السلام العالمية، الجزء الأول، ص 9.

4 - نقد الأديان عند ابن حزم، عدنان المقراني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ص 68.

وقام الشيخ رحمت الله الهندي (ت1308هـ) من خلال كتابه "إظهار الحق"، بدراسة تحليلية نقدية كذلك، في إثبات وقوع التحريف والنسخ في التوراة والإنجيل، وإبطال عقيدة التثليث وألوهية المسيح، وإثبات إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والرد على شبه المستشرقين والمنصرين. وقد ذكر شواهد على تحريف الأناجيل تجعلها على صورتها الحالية ليست منزلة. فكان مجموع طبعات كتب العهدين التي رجع إليها هذا المؤلف هو 32 طبعة، بأربع لغات؛ هذا بالإضافة إلى كتب التفسير والتاريخ الإسلامية لعلماء أهل السنة، كما رجع إلى عدة مصادر أساسية من التواريخ والتفاسير التي كتبها العلماء المحققون من أهل الديانتين اليهودية والنصرانية.¹

فيتضح مما سبق أن التحليل النقدي عملية ذهنية تتطلب النظر في المقدمات بخصوص موضوع ما، أو صحة رأي ما، أو اعتقاد، وإصدار الحكم عليها، وهذه الإمكانية العقلية تمكن الباحث من التمييز بين الزائف والأصيل، والخاطئ والصائب عن طريق تحليل المعلومات وفرزها واختبارها.

المطلب الثاني: المنهج الجدلي

إن المنهج القرآني قد أوصى بمجادلة أهل الكتاب بالأحسن، ولم يكن المراد بالمجادلة أو الجدل ذلك النشاط الفكري الذي يحاول الانتصار لوجهة نظر معينة والتغلب على الخصم

1 - إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي المتوفى عام (1308هـ/1891م)، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية 1410هـ/1989م.

أو قهره مهما يكن هو على الحق، ومهما يكن الرأي الآخر باطلا. ولا بمعنى المنازعة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم.¹ أو أنها المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.² فهذا الجدل مذموم في الإسلام، ويعتبره العقلاء عبث فكري. بل المراد من مجادلة أهل الكتاب هو البحث معهم لإزالة شبههم وتبيين الحق لهم بإقامة الحجة والبرهان.³ فهو إذن إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين بالدليل البرهاني أو الإقناع الخطابي.⁴ وقد حدد ابن حزم (ت 456هـ) من جهته مفهوم الجدل والجدال في قوله إنه: " إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلا، وقد يكون أحدهما محقا والآخر مبطلا إما في لفظه أو في مراده أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما أو معانيهما." ⁵

وكان ابن حزم (ت 456هـ) خبيرا بمناهج الجدل دارسا لأصوله عارفا بطرقه وأساليبه، وقدرته الفائقة في الجدل كانت محل اعتراف من العلماء على اختلاف مشاربهم، وكتاب الفصل يشهد بأنه رجل جدل ومعاصروه كانوا يعرفون ذلك. فقد ثبت عنه كثرة جدله وتعدد مناظراته مع الطوائف المختلفة وخصوصا علماء أهل الكتاب، والناظر إلى كتابه "الفصل"

1 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، محمد ميرا، ص 42.
2 - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة جدل، ص 89.
3 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، محمد ميرا، ص 42.
4 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 26.
5 - الإحكام في أصول الأحكام، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة (456هـ)، تحقيق أحمد محمد شاکر، تقديم إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، طبعة 1403هـ / 1983م، الجزء الأول، ص 45.

تظهر له بجلاء ثمرة المحاورات الطويلة والمناظرات القوية بينه وبين أصحاب المذاهب والأديان.

ونجد ابن حزم يقسم الجدل إلى قسمين: أحدهما ممدوح، والآخر مذموم. والجدل المذموم وجهان: أولهما الجدل بغير علم، والثاني الجدل لنصرة الباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق، وهؤلاء المذمومون هم من قال فيهم الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن تَجَدَّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾¹. وأما الجدل المحمود فهو الذي يجادل صاحبه لإظهار الحق، ويكون عالماً بأوجه الاستدلال وطرق الإثبات مادام يطلب الحق ولا يبغى سواه، وقد أوجب ابن حزم هذا النوع من الجدل لأنه من قبيل إقامة حجة الله تعالى، وتبليغ رسالات الرسل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.²

وقد قرر هذا الإمام الطرق المتبعة في الجدل ونذكر على سبيل المثال، استعمال أسلوب الاستفهام التقريري، وهو الاستفهام عن المقدمات البينة التي لا يمكن لأحد أن يجدها، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق واعترافه بإنكار الباطل. وهذا النوع منسنتب من جدل القرآن بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات أو تكون بينة معروفة، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية³. إضافة إلى أسلوب مجارة

1 - سورة الحج الآية 3.

2 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، ص 206 - 207.

3 - نفس المرجع ص 211.

الخصم وموافقته على مقدمة فاسدة، ليريه فساد إنتاجها وأنها تؤديه إلى محال.¹ وغير ذلك من الطرق والأساليب التي يضيق المجال لذكرها.

ومن الأئمة الأفاضل الذين استخدموا أيضا هذا المنهج الجدلي الإمام الشهرستاني² (ت548هـ)، إلا أنه لم يكن ظاهرا بشكل واضح في منهجه، لأنه اعتمد بالأساس على المنهج النقلي ومنهج المقارنة والتحليل دون الاعتماد بشكل كبير على المنهج الجدلي، وذلك لأنه لم يخض في عقائد الأديان المختلفة إثباتا لبطلانها أو الرد عليها بل اكتفى بنقل نصوص أصحاب الديانات وعقائدهم وآرائهم.³ وهذا لا ينفي أنه كان في بعض المواقف يستعمل هذا المنهج للرد على المخالفين من غير أن يطيل. ومن ذلك مثلا، أنه ذكر في كتابه قائلاً: "واعلم أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة نبينا المصطفى عليه السلام حقا وكون صاحب الشريعة صادقا، بل ما حرفوه وغيروه وبدلوه إما تحريفا من حيث الكتاب والصورة وإما تحريفا من حيث التفسير والتأويل، وأظهرها ذكر إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ودعاؤه في حقه، وفي حق ذريته وإجابة الرب تعالى إياه أني باركت على إسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخير كله

1 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، ص 212.

2 - هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني بفتح فسكون ففتح الراء وسكون السين، ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم سنة 479هـ، ودخل بغداد سنة 510هـ وكان كثير المحفوظ واسع الإطلاع حسن المحاورة يعظ الناس وقد حاز عندهم قبولا كثيرا، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام، وصنف عدة كتب منها: كتاب "نهاية الأقدام في علم الكلام" وكتاب "الملل والنحل" وغيرها. توفي رحمه الله بشهرستان سنة 548هـ. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص 7.

3 - منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، محمد بن ناصر بن صالح السحيباني، دار الوطن - الرياض، بدون طبعة، ص 537.

وسأظهرهم على الأمم كلها، وسأبعث فيهم رسولا فيهم يتلو عليهم آياتي واليهود معترفون بهذه القصة، إلا أنهم يقولون أجابه بالملك دون النبوة والرسالة. وقد ألزمتهم أن الملك الذي سلمتم، أهو ملك بعدل وحق أو لا؟!، فإن لم يكن بعدل وحق، فكيف يمن على إبراهيم بملك في أولاده وهو جور وظلم. وإن سلمتم العدل والصدق من حيث الملك، فالملك يجب أن يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه ويقوله، وكيف يكون الكاذب على الله صاحب عدل وحق، إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى، ففي تكذيبه تجويزه، وفي التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف".¹ ويقصد بكلمة خلف أي برهان الخلف، وهو من البراهين التي تستخدم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى. مما يفيد أن الشهرستاني كان عنده نوع من الجدل في كتابه وبالأخص إذا علمنا أنه من علماء الكلام.²

فالكتابات الجدلية خصصها أصحابها للرد على قضية أو مسألة بعينها أو أكثر في ديانة معينة. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب الجاحظ (ت 255هـ) "المختار في الرد على النصارى"، وكتاب ابن تيمية (ت 728هـ) "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وكتاب "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" لابن قيم الجوزية (ت 751هـ).

1 - الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة 548هـ، تعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1413هـ/1992م، الجزء الثاني، ص 233 - 234.

2 - منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، السحيباني، ص 290.

كما يتضح المنهج الجدلي عند الإمام رحمت الله الهندي (ت 1308هـ) أيضا، من خلال كتابه "إظهار الحق"، في البرهان السابع الذي أبطل فيه عقيدة التثليث عن طريق ربطها بالعشاء الرباني، حيث ابتدأ بالتشكيك في صحة هذا العشاء الرباني معتمدا على ردود فرقة البروتستانت على فرقة الكاثوليك لمخالفة دعواهم للواقع والحس، كما انتقد بعض آراء فرقة البروتستانت وأقوال علماء النصارى في هذه المسألة، مستندا على أسلوب التمثيل في مناقشاته، إذ ضرب عدة أمثلة لإثبات بعض القضايا المعتمدة في إبطال عقيدة التثليث.¹ فكان هذا منهجه الجدلي في إثباته للبراهين العقلية التي وضعها لإبطال عقيدة التثليث.

أما الشيخ أحمد ديدات (ت 2005م) فالجدل عنده هو السمة الغالبة في مناظراته وفي كتبه ومحاضراته، ومع هذا كان الشيخ ملتزما بمنهج العلماء السابقين في البحث والمناظرة والجدل، ولم يخرج عما قرره أولئك العلماء من أصول استمدوها من القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد شارك في العديد من المناظرات أبرزها "المناظرة الكبرى التي أجراها مع القس سويجارت"²، ومناظرته للقس أنيس شروش.³

ويتضح مما سبق أن المنهج الجدلي من أهم المناهج التي استخدمها علماء الإسلام في دراسة الأديان، وهو منهج ينزع إلى الشك في بحثه عن الحقيقة، ويعتمد على النقد في

1 - إظهار الحق، رحمة الله الهندي، خليل ملكاوي، الجزء الثالث، ص 730 - 731.

2 - المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سويجارت والشيخ أحمد ديدات، تقديم وتحقيق وتعليق محمود علي حامية، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 1989م، الطبعة الثانية 2005م.

3 - مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس أنيس شروش، نقله إلى العربية علي الجوهري، دار الفضيلة - القاهرة، بدون طبعة.

تقصيه للآراء، ويستند إلى التناظر والتحاوور في المناقشات، ويقوم على الاستدلال أو التدرج من مبدأ مسلم به إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة. وقد اعتمده الكثير من علماء المسلمين في علم مقارنة الأديان.

المطلب الثالث: المنهج المقارن

المقارنة كمنهج علمي في مجال الأديان وعلى المستوى الأكاديمي حديثة الظهور، ظهرت في القرن الماضي لدى علماء الغرب المهتمين بدراسة الأديان. لكن هذا لا ينفي كونها منهجا قرآنيا اتبعه علماء المسلمين كوسيلة من وسائل المجادلة بالأحسن بالمفهوم القرآني.¹

ويمكن أن يهدف المقارن من المقارنة معرفة أعمق بموضوع المقارنة، فيركز على ما بين موضوعي المقارنة من اتفاق أو اختلاف، أو مشابهات أو مغايرات، بدون أن يتجاوزها. غير أن التوصل إلى الحق هو هدف المقارنة وفق القرآن الكريم، وهذا لا يتنافى إطلاقا مع المفهوم اللغوي أو العقلي للمقارنة. لكن الفكر الغربي الحديث في مجال مقارنة الأديان، يلح على وجوب تجنب التوصل إلى نتيجة تؤدي إلى تفضيل دين عن آخر كنتيجة للمقارنة.²

وجدير بالذكر أن المقارنة عند علماء الإسلام لم تتخذ صورة ولا شكلا واحدا، وإنما اتسع مفهوم المقارنة لديهم، وتمثل في صور متعددة، كأن يدرس الباحث مبحثا أو أكثر، عقديا

1 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ميرا، ص 44.

2 - المرجع نفسه، ص 46.

كان أو حضاريا أو غيره، من ديانتين أو ثلاثة ويقارن بينها. أو أن يتناول الدارس ديانة واحدة ويدرسها دراسة عميقة، من كل جوانبها، أو بعضها، في خطوة منهجية تمهيدية لباحث آخر، يدرس ديانتين أو أكثر دراسة مقارنة.¹

ومن رواد هذا المنهج هناك أبو الحسن العامري (ت 381هـ)²، من خلال كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"، حيث نهج منهج المقارنة النقدية على أساس قويم، يظهر في قوله: "وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن ركن مما يترتب تحت الملة الحنيفية بنظيره من المرتب تحت الأديان الأخر، يجب أن نقدم مقدمة فنقول: إن تبيان فضيلة الشيء على الشيء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابا وقد يكون خطأ. وصورة الصواب معلقة بشيئين: أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعتمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعتمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك. والآخر: ألا يعتمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها. ومتى حافظ العقل في المقابلة بين

1 - تاريخ الأديان: مقارنة قرآنية، محمد فوزي المهاجر، مجمع الأثرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، الطبعة الأولى مارس 2017، ص 30.

2 - هو أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري، من كبار الفلاسفة المسلمين في القرن الرابع الهجري، ولد بمدينة نيسابور في مطلع القرن الرابع الهجري (على ما يرجح)، وقضى حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف والترحال العلمي بين الحواضر الثقافية الكبرى للعالم الإسلامي حينذاك، ولا سيما بغداد والري وبخارى، ثم عاد إلى مسقط رأسه نيسابور وتوفي بها يوم 27 شوال 381هـ/6 يناير 992م. أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصاله للثقافة والنشر وإعلام، الرياض، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م، ص من 7 إلى 11.

الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المأخذ في توفية حظوظ المتقابلات، وكان ملازماً للصواب في أمره".¹

وبهذا القول بين العامري أصول المنهج المقارن، وأكد على ضرورة تحكيم العقل في التوفيق بين الأشياء المقارنة حتى يوفي المقارن كل شيء حقه.

وهكذا يكون العامري أول معرف بمنهج المقارنة، وأول مطبق له بطريقة علمية، فكتاب "الإعلام بمناقب الإسلام" الذي بين فيه منهجه في المقابلة بين الأديان - كما يسميها - هو مقارنة منظمة للإسلام مع اليهودية والصابئية، والمسيحية، والزرادشتية، ومذاهب الشرك. ولا يريد العامري أن تكون هذه المقارنة بين الأديان بلا هدف، أو لمجرد إشباع الهوى العلمي، إنما يريد لها للتوصل إلى الحق، وتحقيقه واعتناقه بعد ذلك بالحجة والبرهان.²

وممن سلكوا هذا المضمار أيضاً الشيخ العلامة البيروني (ت 440هـ)³: وقد أعلن عن ذلك في مقدمة كتابه "تحقيق ما للهند" حين قال: "وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل

1 - الإعلام بمناقب الإسلام، العامري، مرجع سابق، ص 125.

2 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ميرا، ص 62.

3 - هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ولد في بلدة بيرون سنة 362هـ/973م، وتوفي سنة 440هـ/1048م بغزنة (كابل اليوم)، فيلسوف ورياضي ومؤرخ، له مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة، ألف في الجغرافيا: تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض، وفي التاريخ ألف: الآثار الباقية عن القرون الخالية، وفي الفلك له الاستشهاد باختلاف الأرصاء، وفي الرياضيات: كتاب استخراج الكعاب والأضلاع وما وراءه من مراتب الحساب، وفي الأدب شرح ديوان أبي تمام، وله في الفلسفة: كتاب المقالات والآراء والديانات. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين بيروت، بدون طبعة، الجزء 5، ص 314. وكتاب تطور الفكر العلمي عند المسلمين، محمد الصادق غيفي،

حتى أستعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق، وإنما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم، (...) ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم إلا أن يكون للصوفية أو لأحد أصناف النصارى لتقارب الأمر بين جميعهم في الحلول والاتحاد.²

وهذا يؤكد على أن البيروني قد التزم في مختلف فصول كتابه بمنهج المقارنة الذي أعلن عنه في مقدمة هذا الكتاب، فأسلوبه يركز على منهجية وصفية ومقارنات كثيرة بين المعتقدات الهندوسية من جهة، والمعتقدات والأساطير اليونانية من جهة أخرى.

استخدم البيروني منهج المقارنة بمفهومه العلمي الدقيق خير استخدام، مع فارق بينه وبين العامري فيه، فالعامري استخدم المقارنة ليتوصل بها إلى إحقاق الحق، وإظهار بطلان الباطل، وهذا هو المنهج الإسلامي التقليدي بشأن هذا المنهج، أما البيروني فيكتفي بالمقارنة كوسيلة للتوصل إلى المعرفة الدقيقة، وإدراك أعمق، وفهم أوضح للموضوع قيد

مكتبة الخانجي القاهرة، طبعة 1976م - 1977م، ص 112-115. وكتاب أعلام الجغرافيين العرب، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1984م، إصدار 1416هـ/1995م، ص 340-342.

1 - أبو الريحان البيروني (440هـ 1048م): جهوده ومنهجه في علم مقارنة الأديان، عمر بن سكا، أطروحة لنيل الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس، تحت إشراف الدكتور محمد زهير، 2016 - 2017م.

2 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، دائرة المعارف العثمانية، الهند، طبعة 1377هـ/1958م، ص 5 - 6.

البحث. وإن لم يغب عن باله قضية التوصل إلى الحق، وتركها للآخرين مكتفياً بتوفير المعلومات الضرورية لهم.¹

وبذلك يكون المنهج المقارن من المناهج الأولى التي اعتمدها علماء المسلمين في دراسة أديان الأمم المختلفة، فأتقنوه وأبدعوا فيه، وتركوا مؤلفات كانت مرجعاً للدارسين والباحثين في مجال مقارنة الأديان في العصر الحديث.

المطلب الرابع: المنهج التاريخي الوصفي

اهتم علماء الأديان المسلمون منذ بزوغ البذور الأولى لعلم مقارنة الأديان بتاريخ أديان الآخر ووصفها، ووضعوا لذلك أسساً وقواعد منهجية غير مسبوقة، حيث أصل العلماء المسلمون هذا المنهج ثم طبقوه بموضوعية على أديان العالم المختلفة.

ويقصد بالمنهج التاريخي في اصطلاح علماء مقارنة الأديان، تتبع نشأة وتطور الأفكار والمذاهب الدينية من خلال المراحل التاريخية المختلفة، وتحديد الدور الذي لعبته العوامل المختلفة التي تعامل معها الدين أو الأديان في هذه المراحل.²

وهذا يعني أن المنهج التاريخي لا يقتصر فقط على جمع المعلومات التاريخية، بل يهتم كذلك بالعوامل والقوى المؤثرة في الأديان خلال حقبة تاريخية معينة، من خلال البحوث والدراسات الأثرية واللغوية للوثائق المكتوبة والآثار الموجودة.

1 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، محمد ميرا، ص 73.

2 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ميرا، ص 53. انظر أيضاً، مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة الثالثة 1977م، ص 185 - 186.

ولم يعتمد علماء الإسلام في وصفهم للأديان " على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على الفوائد والخزعبلات الشائعة في الطبقات الجاهلة، والتي قد تتحرف قليلا أو كثيرا عن حقيقة أديانها، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطوه علما مستقلا اتخذوا له منها علميا سليما".¹

والم تأمل للقرآن الكريم يجد أنه يوجه الأنظار بطرق مختلفة إلى تتبع المنهج التاريخي بكل أبعاده في دراسة أحوال الأمم السابقة، بطريقة لا تبتعد كثيرا عن هذا التحديد العلمي الحديث، ففي قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾²، يتضح أن السير في الأرض كمنهج قرآني يدخل فيه كل ما يندرج تحت المنهج التاريخي الحديث، بما في ذلك مما هو مذكور أيضا في القرآن الاحتكاك بالثقافات المختلفة، وأجناس البشر المتنوعة.³

وقد اهتم عدد من علماء المسلمين بالكتابة في تاريخ الأديان، منهم: أبو عيسى الوراق (ت247هـ)⁴، الذي تكلم في كتابه " المقالات " عن فرق النصارى واختلافاتهم، حيث أكد

1 - الدين، محمد دراز، ص 19.

2 - سورة آل عمران الآية 137.

3 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ميرا، ص 54 - 55.

4 - محمد بن هارون أبو عيسى الوراق البغدادي، توفي سنة 247هـ، وهو من أجلة المتكلمين، كان من أئمة المعتزلة، ثم أصبح رافضيا، ذكره الشيخ تقي الدين الحسن بن داود في كتابه "رجال ابن داود" في قسم الممدوحين ولم يذكره في قسم المجروحين. وذكره ابن النديم ضمن رؤساء المنانية المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة. من أهم مصنفاة:

ذلك بنفسه من في كتاب " الرد على النصارى " حين قال: «أتينا على وصف صنوف النصارى وألقابها وأسماءها، وذكرنا بعض العلل التي فرقت بين أديانها واحتجاج كل فرقة منها لقولها في كتابنا الذي وصفنا فيه مقالات الناس واختلافهم»¹. وقد خصص أبو عيسى كتاب "الرد على النصارى" للطوائف الثلاثة الكبرى المعروفة، أما الطوائف الأخرى كالمارونية والأليانية والسبالية والأريوسية والبولية أصحاب بولس الساموساطي وغيرهم، فقد فصل فيهم في كتابه "المقالات" كما يدل سياق كلامه. ولا يعلم عدد الفرق المسيحية التي تكلم عنها أبو عيسى الوراق في كتابه "المقالات" يقينا، إلا أنه في مخطوطة لكتاب "الرد على النصارى" المحفوظة بمكتبة الفاتيكان، هناك تعليق للناسخ يقول فيه: «كتب كتابا يصف فيه مقالات الناس واختلافهم، وفيه جمع سبعين فرقة نصرانية أغلبها ليس لها كتابات». وتتبع أخبار الفرق المسيحية وذكر الاختلافات بين بعضها البعض، يدل على ريادة أبي عيسى في هذا الفن وتمكنه منه، وعلى موسوعية هذا الكتاب، ولا شك أنه كان له أثر على من جاء بعد الوراق ممن كتبوا في هذا الفن. أضف إلى ذلك، أن يكون لناسخ مسيحي من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي معلومات عن هذا الكتاب

كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة، وكتاب اختلاف الشيعة، وكتاب المقالات. انظر: الرواشح السماوية، الميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي، تحقيق غلامحسن قيصريه ها ونعمة الله الجليلي، مؤسسة دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1422هـ، ص 93 - 94 - 95. وكتاب: الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ، ص 473. David Thomas , Anti-Christian Polemic in Early Islam, Abu Issa Al Warraq's Against - 1 the Trinity Cup Archive, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS,1992, P 70

يدل على مدى تأثير هذا الكتاب في الوسط الديني العربي.¹ كما نقل عنه السيد المرتضى علم الهدى نو المجدين في كتابه "المسائل"، وفي كتاب "الشافعي"، وكتاب "التبانيات" الذي رهو أجوبة مسائل ابن تبن المعتزلي وفي غيرها، كثيرا ما ينقل عنه ويبني على قوله، ويعول على كلامه، ويكثر من قوله: قال أبو عيسى الوراق في كتابه كتاب المقالات.²

إن كتاب المقالات لم يكن مخصصا للرد على الفرق والمذاهب، ولكنه كان كتابا وصفيا يعرض فيه المذاهب واختلافاتها، والأديان ومذاهبها، وليس هناك ما يشير إلى أن الوراق في كتابه هذا قد انتقد أو رد أو هاجم أي طائفة من الطوائف، كما جاء على قوله سابقا أنه أتى على وصف صنوف النصارى وألقابها وأسمائها، وذكر بعض العلل التي فرقت بين أديانها، في الكتاب الذي وصف فيه مقالات الناس واختلافهم. فواضح أن عمله في هذا الكتاب كان الوصف فقط.³

ومن رواد هذا المنهج أيضا، نجد أبو الريحان البيروني (ت440هـ) من خلال كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة"، الذي يعد من أضخم كتب المسلمين التي ألفت في مجال تاريخ الأديان، رغم اقتصاره على الديانة الهندوسية، إذ جعله البيروني كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها، لا كتاب حجاج وجدال، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم يتحرج من حكاية كلامهم وإن باين الحق، فكان هذا الكتاب كتاب

1 - مجلة الدراسات الدينية، جهود أبو عيسى الوراق في مقارنة الأديان كتاب المقالات نموذجاً، عبد الرحمان الطوسي، العدد الأول، دجنبر 2014م - صفر 1436هـ، ص من 27 إلى 30.

2 - الرواشح السماوية، الميرداماد، ص 93.

3- مجلة الدراسات الدينية، جهود أبو عيسى الوراق في مقارنة الأديان كتاب المقالات نموذجاً، ص 35.

بحث علمي نزيه.¹ حيث قال: " وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد إلا عن ضرورة ظاهرة".²

وقد بدأ البيروني وصفه لأديان الهند بانتقاد سابقه ممن اهتموا بحضارة الهند وتقاليدها الدينية، وأظهر عيوب كتب المقالات وما عمل في الآراء والديانات، فقال: "وأرى أن أكثرها منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوطة، مخلوط غير مهذب على رأيهم ولا مشذب".³

وبالنظر إلى الجانب المنهجي لكتاب البيروني، يظهر أنه أبداع إبداعا لم يسبق إليه، فقد استخدم المنهج التاريخي بالمعنى العلمي الدقيق وكأنه من رجال القرن العشرين، ووظف المنهج الأنثروبولوجي لخدمة منهجه التاريخي وكأنه من علماء مقارنة الأديان في العصر الحديث، فقد تعلم لغة القوم الذين أراد دراسة ثقافتهم ودينهم، وعلومهم وفلسفتهم، وعاش بينهم، كما وظف منهج المقارنة التي تهدف إلى إبراز أوجه التشابه لأجل التوصل إلى مزيد من الفهم والوضوح على أدق ما يمكن. وهذا ما نهجه أيضا في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية".⁴

-
- 1 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، متر آدم، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة، 1987م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ص 367.
 - 2 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني، ص 19.
 - 3 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني، ص 4.
 - 4 - في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ميرا، ص 70 - 71.

وفي ختام هذا المبحث يكون قد تم الاطلاع ولو بشكل يسير على التراث العلمي المتخصص لعلماء المسلمين في حقل مقارنة الأديان، مع بيان نماذج من مناهجهم وأساليب دراستهم لها، فتبين أنهم جميعاً تبنا المنهج القرآني كل حسب تخصصه واطلاعه، مشتركين في الاتجاه النقدي الذي سلكه القرآن في تناوله الأديان المختلفة، رغم أن البعض منهم لم يصرح بذلك بشكل مباشر - البيروني مثلاً - إلا أنه ذكر في سبب تأليفه للكتاب أنه حرره ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم، إضافة إلى أنهم تبنا مبدأ المجادلة بالحسنى وفقاً لما دعا إليه المنهج القرآني، لكن كل وفق طريقته ومنهجه الذي يعد إبداعاً علمياً متقدماً غير مسبوق، وسم كل واحد من هؤلاء العلماء الفضلاء.

المبحث الثالث: مناهج المهتدين إلى الإسلام في الرد على المخالفين

في المبحث السابق تم التطرق إلى مناهج علماء المسلمين في مقارنة الأديان، وفي هذا المبحث سيتم التعرف على مناهج المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب، وبيان المميزات التي استقلت بها، وأثرها على التراث العلمي الإسلامي في مجال مقارنة الأديان، ومدى التجديد والإسهام الذي شاركت فيه في هذا المضمار.

اختلفت مناهج المهتدين إلى الإسلام في إعداد كتبهم باختلاف انتماءاتهم وعقائد أجدادهم، إلا أن النقد والجدل كانا من السمات المشتركة في ردودهم على مخالفينهم من أصحاب دياناتهم السابقة، وبالتأمل والنظر في كتب هؤلاء المهتدين ستبين بعض المناحي العامة التي سلكوها في تأليف مؤلفاتهم، التي تعد ظاهرة فذة في تاريخ الأديان عامة، وفي التراث الإسلامي خاصة.

لم يكتف كثير من العلماء المهتدين بإعلان الإسلام، ولكن كتب كثير منهم مؤلفات أوضحوا فيها مواقفهم الجديدة، فألف علي بن رب الطبري (ت حوالي 256هـ)¹ كتابين، أحدهما يسمى "الرد على النصارى" ولم يعثر عليه، والآخر يسمى "الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم" ألفه سنة 247هـ. ثم جاء الحسن بن أيوب (ت 378هـ) وبعث برسالة لأخيه علي بن أيوب يشرح فيها سبب إسلامه، وهي رسالة قيمة

1 - انظر ترجمته في كتاب: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، علي بن رب الطبري، تحقيق عادل النويهض، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى 1393هـ/1973م، ص 5 وما بعدها.

أفاد منها ابن تيمية (ت768هـ) والقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت415هـ)، وقد نقل ابن تيمية الرسالة كاملة في كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وكذلك أفاد منها المهتدون المتأخرون.¹

ومن المهتدين الذين ألفوا في القرن الخامس الهجري عيسى ابن جزلة الطيب (ت493هـ) وقد كتب رسالة في الرد على النصرانية، لكن لم يتوصل إلى مؤلفاته. أما في القرن السادس الهجري فقد ألف السموأل بن يحيى المغربي (ت570هـ) كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود"، وفي القرن السابع الهجري نجد سعيد بن الحسن الإسكندراني² الذي أسلم 698هـ وألف كتابه "مسالك النظر في نبوة سيد البشر بشارات التوراة بمحمد" سنة 720هـ، وفي القرن الثامن الهجري ألف عبد الحق الإسلامي السبتي³ (ت796هـ) كتابه "الحسام الممدود في الرد على اليهود"، أما في القرن التاسع الهجري نجد المهتدي عبد الله بن عبد الله الترجمان⁴ الذي ألف "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" سنة 823هـ. والشيخ زيادة بن يحيى الراسي كان حيا في القرن الحادي عشر الهجري وألف كتاب "البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح"، ويوجد مهتدون ألفوا كتبا جدلية مهمة، ولكن

1 - المهتدون إلى الإسلام، خالد السيوطي، ص 21 - 22.
2 - انظر ترجمته في كتاب: مسالك النظر في نبوة سيد البشر بشارات التوراه بمحمد صلى الله عليه وسلم، سعيد بن حسن الأسكندراني، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء - القاهرة، بدون تاريخ، ص 10 وما بعدها.
3 - انظر ترجمته في كتاب: السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود، عبد الحق الإسلامي السبتي، تحقيق محمد العربي العمراني الخالدي وعبد اللطيف أزميزم أديوش، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2009م، ص 61.
4 - انظر ترجمته في كتاب: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للقس إنسلم تورميديا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي، تحقيق محمود علي حماية، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة بدون تاريخ، ص 37 وما بعدها.

لا تعرف في أي عصر كتبت، مثل المهدي نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب¹ الذي ألف "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية"، والمرجح أنه عاش في القرن السادس الهجري (ت589هـ)، وكذلك المهدي إسرائيل بن شموايل الأورشليمي² صاحب "الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية".³

وكان من أهم الأسباب التي دعت هذه السلسلة المباركة من أعلام المهديين لتأليف كتبهم، سببين رئيسيين، أولهما هو: الإجابة عن السؤال الذي تطرحه الأذهان وهو: لماذا ترك هؤلاء الرجال دينهم الذي نشؤوا عليه، ودين آبائهم وأجدادهم؟⁴ أما ثانيهما فيتمثل في محاولة المهديين نقل الهداية لذويهم، بإظهار محاسن دين الإسلام في مقابل اليهودية والنصرانية.⁵

وقد تنوعت مناهج المهديين في مجادلة أهل الكتاب واختلفت طرقهم في المناظرة والاحتجاج على الخصم. وهذه الطرق رغم تنوعها قد تتفق أو تختلف بقدر اختلاف أسباب الكتابة ومصادرها واختلاف العصر والهدف منها، فمنهم من تميزت كتاباته بالشمول لأهم عناصر الخلاف بين الإسلام والنصرانية أو اليهودية. ونجد ذلك مثلا عند

-
- 1 - انظر ترجمته في كتاب: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة - القاهرة، طبعة 1406هـ/1986م، ص 16 وما بعدها.
 - 2 - لم أجد له ترجمة في كتابه: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، للحبر الأعظم إسرائيل بن شموايل الأورشليمي، تحقيق عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1410هـ/1989م.
 - 3 - المهتدون إلى الإسلام، خالد السيوطي، ص 22 - 23 - 24. انظر أيضا: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، ص 20.
 - 4 - الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، إسرائيل بن شموايل، ص 9.
 - 5 - المهتدون إلى الإسلام، خالد السيوطي، ص 26.

نصر المتطرب (ت589هـ) الذي درس النصرانية، دراسة شاملة، رغم صغر كتابه، فيقول: "أحببت أن أذكر نبذاً من أحوال النصارى، واختلاف مذاهبهم وآرائهم، واعتقاداتهم وضلالهم، أو ما أورد كل صاحب مذهب في معنى: الاتحاد، والآب، والابن والروح القدس، وما تضمنته أناجيلهم عن حال المسيح ابن مريم، من حين ولد إلى أن أخذته اليهود وما فعلوا به، وكم كانت الأناجيل، وكم هي الآن، وأذكر اتخاذهم الصلبان، وتعظيمهم لها، وسجودهم للصور، وحال قرابينهم، وكيف اتخذوها".¹

ومن المهتدين من جعل كل اهتمامه إثبات قضية بعينها، كما فعل سعيد الإسكندراني حيث اقتصر كتابه على إثبات البشارات التوراتية بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأيضاً اتفق معه علي بن ربن الطبري من خلال كتابه "الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم" فمعظم الكتاب في إثبات النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم إلا مسائل معينة.²

وهناك من تعرض لإثبات البشارات التوراتية بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل جزئي، إلى جانب قضايا أخرى كالنسخ، والتجسيم، وموقف اليهود من الأنبياء والدين

1 - النصيحة الإيمانية، المتطرب، ص 51 - 52.

2 - المهتدون إلى الإسلام، خالد السيوطي، ص 24.

الإسلامي إلى غير ذلك. ونذكر من هؤلاء السموأل المغربي، وعبد الحق الإسلامي السبتي.¹

وإن أكثر ما يميز هؤلاء المهتدين إلى الإسلام في الجدل الديني، سعة ثقافتهم، وامتلاؤهم العلمي، فقد كانوا علماء راسخين متضلعين في دياناتهم السابقة، إلى جانب تخصصهم في العلوم الرياضية والطبية والمنطقية، وبعدهم عن التقليد للأسلاف، كما اشتركوا في دراستهم للإسلام دراسة واعية وثقة، ودرسوا لغته وتضلعوا فيها. فانعكست هذه الخصائص في كتاباتهم المتميزة من خلال حرصهم على البرهان والدليل وسلامة المنطق فيها، والعقلانية الصارمة، وقوة الجدل وبراعة الاحتجاج العقلي، وصحة النقل عن الأدلة السمعية والنصوص الدينية من الكتب المقدسة. كما أن حجاجهم السديد وجدالهم البارع لم يكن من أجل هوى الغلبة وشهوة الانتصار على الخصم، بل كان من أجل تمييز الحق من الباطل، وهذا ما أعطى كتاباتهم سموا ورفعة. فاتسمت بحس دعوي مرهف عميق، فحرصوا على نقل الهداية والنور الذي غمرهم إلى الناس جميعا، وعلى الخصوص من كان على دياناتهم السابقة.²

ومن القواعد المنهجية التي اعتمدها المهتدون في كتاباتهم نجد:

-
- 1 - انظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل المغربي، تحقيق الشرقاوي. والسيف الممدود في الرد على أحبار اليهود، عبد الحق الإسلامي السبتي، تحقيق الخالدي أدريوش. مرجع سابق
 - 2 - النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، المتطبب، مقدمة المحقق عبد الله الشرقاوي، ص من 20 إلى 23.

• عدم التسليم بصحة معتقدات الآباء، فيقول السموأل: " فإن سبيل من فضل من العباد بالفطنة، أن يجد في البحث عن أحوال المعاد، والتأمل لما أخذه عن الآباء والأجداد، بعين الامتحان والانتقاد، فإن رآه مصلحة سما لإدراكها، وإن ألفها رزيلة نجا من أشراكها.¹"

• اعتماد مبادئ أساسية عند النظر في معظم القضايا الخلافية بين المسلمين وأهل الكتاب، فمثلا في القضية الخلافية الكبرى بين المسلمين والنصارى، وهي إلهية المسيح عليه السلام. رأى المهتدون أن المسيح لم يزد عن كونه بشرا رسولا، أما أنه بشر فذلك لأن " العيان شاهد بأن ناسوت المسيح على ما كان عليه، ناسوت غيره من الناس"²، وأنه مكث في بطن أمه تسعة أشهر ثم أقام مولودا، وتغذى باللبن. وأما كون المسيح رسولا فلأنه يقول إنه مريبوب مبعوث، وأن الله أرسله.³

• طلب المهتدين من مخالفيهم إعطاءهم الحرية في فهم وتأويل النصوص المقدسة مثل ما يعطونه لأنفسهم، فبعد أن أثبتوا بمنهج مقارن أن معجزات المسيح عليه السلام مثل معجزات غيره من الأنبياء، بل أحيانا تكون معجزات الأنبياء أعظم من معجزاته، وهذا لايجعل منه إلهها،⁴ ومثال ذلك طلب نصر المتطبيب حقه في فهم النصوص الكتابية

1 - بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق طويلة، ص 17.

2 - النصيحة الإيمانية، المتطبيب، ص 66.

3 - المهتدون إلى الإسلام، السيوطي، ص 27.

4 - المهتدون إلى الإسلام، ص 27. انظر أيضا: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، السموأل المغربي، ت إمام حنفي، ص 100.

وتأويلها، حين قال: " فإن قلت: إن المسيح قال في الإنجيل: "أنا قبل إبراهيم"، من جهة الألوهية، قلنا إن سليمان قال في حكمته: "أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حين مد الأرض"، وقد أعطي من طاعة الجن والإنس والطير ما لم يعطه المسيح. (...) فإن قلت لا يجوز أن يكون قبل الدنيا، كذلك قول المسيح (...) لا يجوز. فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح، تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلا فما الفرق؟ " ¹.

ثم إن الإمعان والنظر إلى مؤلفات المهتدين إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب، يبين بوضوح بعض المناحي العامة التي نهجها هؤلاء المهتدون في تأليف كتبهم ومصنفاتهم ولعل أبرزها²:

- أنهم أخضعوا ما تلقوه من نصوص وعبادات واعتقادات عن كتبهم، للتحصيل الدقيق والامتحان؛ فما ألفوه خيرا تمسكوا به، وما وجدوه باطلا ردوه وتخلصوا منه. وقد أمكنهم من ذلك وأقدرهم عليه أمور منها:

أ - أنهم كانوا قبل إسلامهم على مستوى عال من البصيرة والمعرفة بدينهم، والفقهاء في شريعتهم، والإحاطة بكتبهم، والإلمام بتاريخهم وسائر أحوال أهل ملتهم، كل ذلك مكنهم من الكشف عن مواطن الزلل، والإبانة عن مواقع الخلل. فكانت أبحاثهم في غاية التدقيق، وأدلتهم في قمة التسديد، وحججهم دامغة، وبراهينهم قاطعة.

1 - النصيحة الإيمانية، المتطرب، ص 122.

2 - مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، عبد الله السحيم، دار الفرقان، بدون طبعة، ص 771.

ب - كان لأكثرهم دراية واسعة بعلوم المنطق والحساب والطب، فأكسبتهم هذه العلوم دربة فكرية توّهلهم للنقد، وهذبت عقولهم فرفضت كل خرافة بالية، وكل أسطورة فارغة. ومنهم على سبيل المثال السموأل المغربي.

- استقراء الكتاب والسنة النبوية، للاستدلال من خلالهما على أنهما تضمنتا من العقائد المحكمة، والشرائع الجامعة، والآيات البينة، ما يوجب ضرورة قبول نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

- دراسة مؤلفات علماء المسلمين - في مجال مقارنة الأديان - ومقارنتها ومقابلتها مع بعضها، وتبين مواضع النقص فيها، وبيان الثغرات عليها، ثم محاولة التأليف لسد هذا النقص، حيث يقول المهدي الترجمان: "فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعا بطريق النقل، وحقيقة الإنصاف، الذي يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس، أبين فيه باطلهم."¹

- استحضار حقائق التاريخ ومسلماته والاستشهاد بها على أن ما حدث في تاريخ الأمة الإسلامية ليس بدعا بين الأمم، ثم صياغة هذه الحقائق في براهين ساطعة تؤيد ما وجدوه من الحق والنور.

- جمع هؤلاء المهتدون في ثنايا كتبهم بين الأدلة العقلية والنقلية، فأتحفوا القارئ بأدلة نقلية من التوراة والإنجيل، لم يوجد بعضها في مصنفات المسلمين إلا بعد ورودها لديهم،

1 - تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان، ص 32.

بل إنهم أوردوا أدلة نقلوها من كتب أنبياء بني إسرائيل، لا تجد لها أثرا في كتاب العهد القديم المتداول اليوم، كما قدموا أدلة عقلية وحسية كثيرة، كالتواتر والإجماع والأقيسة المنطقية التي لا محيد عنها، وألزموا الخصم بأمر لا مهرب منها، إما أن يذعن لها فيعلن إسلامه، وإما أن يرفضها فيخرج عن ملته، كما فعل السموأل والسبتي وغيرهما.

- التزموا في مصنفاتهم الأمانة العلمية في عرض عقائد الخصم عرضا رائعا، والأمانة في نقل النصوص نقلا دقيقا، لأنه لا يستقيم لهم نقضها مع الإخلال بعرضها، وحتى لا يتيح ذلك للخصم أن يحتج عليهم بأن العرض ناقص، والنقد كاذب.

- إلزام أهل الكتاب بما يقبلونه من دينهم ومقابلة ذلك بما عند المسلمين، وإثبات أنها متماثلة في المصدر والوسيلة وإمكانية الحدوث.

- اتفقوا على الإيجاز والاختصار، ورغم هذا الاختصار فقد حشدوا في هذه المصنفات نصوصا كثيرة من العهد القديم والجديد، رغبة في جلاء الحق وبيانه، وأكثر ما توسعوا فيه أبواب البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- الحرص على على الرفق في مجادلة الخصم، فلم تكن هذه الكتابات منفرة أو مستهجنة، بل كان سياجها الحكمة، وشعارها الصدق، وديدها الرفق، ابتعدت عن الظلم والبغي على الخصم بسبب اعتقاده ومكابرتة، باستعمال أسلوب جزل اللفظ، سلس العبارة، يجمع بين قوة الحجة ووضوح الدليل، ورصانة الكلم. قال المهدي الطبري: " ومن ألف كتابا في مثل هذا الفن الجليل الهادي المستنير العام المنفعة لأهل الأديان كلهم كان

جديرا أن يجعله مفهوما سهلا، وأن يخاصم ويساجل خصمه ولا يعلو عليه ولا يربي، بل يفهم ولا يبهم، وينصف ولا يظلم، ويستعمل الرفق ويحسن سياقه.¹

- وضوح أثر بعض المهتدين على من جاء بعدهم من علماء الإسلام فيما نقلوه عنهم من أدلة عقلية ونقلية، مثل المهتدي السموأل وابن ربن الطبري.

إضافة إلى ما تم ذكره فقد اعتمد المهتدون المتأخرون على أساليب جديدة في دراستهم للأديان، اختلفت من مؤلف إلى آخر، لكن يمكن إجمالها فيما يلي²:

- المقابلة بين النسخ القديمة للعهدين كالعبرية واليونانية والسريانية واللاتينية والعربية، لبيان الحق أو إثبات التحريف.

- إرجاع الكلمات موضع الشاهد إلى أصولها اللغوية التي وردت فيها أول مرة، بغية بيان تدرجها في اللغات، ومعرفة كيف حرفت في اللغة الثانية والثالثة وهكذا كل ترجمة تزيدها تحريفا وبعدا عن مصدرها الأصلي، ومن هؤلاء الذين بذلوا جهدا في استقصاء التحولات اللغوية للمفردة الواحدة المهتدي عبد الأحد داود.

- تخصيص مؤلفات مستقلة لدراسة قضايا خاصة، مما أعطى هذه الدراسات شمولاً للقضية المدروسة، وعمقا في الطرح، واستيعبا في تناول، ومن الأمثلة على ذلك كتاب "الإنجيل والصليب" و "محمد في الكتاب المقدس" و "المسيح إنسان أم إله".

1 - الدين والدولة، الطبري، ص 35.

2 - مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، عبد الله السحيم، ص 781.

- محاولة الموافقة بين القرآن والتوراة والإنجيل باتباع المنهج المقارن، ومن هؤلاء موريس بوكاي.

- الاعتماد على الأدلة التاريخية، فمثلا يقول لورنس براون في كتابه "من فقدوا الله" في رده على الاتهام بأن القرآن أخذ من الكتاب المقدس: « إن الأدلة التاريخية تنفي على ما يبدو مثل هذا الاحتمال. فالعهد الجديد لم يترجم إلى العربية إلا بعد قرون من وفاة محمد. وإن التراث المنقول شفها الذي كان متداولاً بين مسيحي العرب خلال فترة حياته كان يعد هرطقة من قبل المسيحية الأرثوذكسية. ومع ذلك فإن القرآن الكريم لا ينقل هرطقات للمسيحيين العرب القدامى عن عيسى. بل ينقل الحقيقة كما هي في الكتاب المقدس. ويبقى السؤال قائماً: أنى لمحمد أن يدعو إلى تعاليم موسى وعيسى الحقّة إلا عبر الوحي؟»¹.

ومن الملاحظ أن من المهتمين المعاصرين من له خلفية لاهوتية، ومنهم ذوو خلفيات علمية أثبتوا صحة الإسلام اعتماداً على أشياء علمية حديثة، ومن هؤلاء موريس بوكاي في كتابه "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ولورانس براون في كتابه "من وجدوا الله" و"من فقدوا الله". حيث نجد هذا الأخير مثلاً يتطرق إلى الجيولوجيا وخلق الكون وعلم وظائف الجسم والغلاف الجوي، فيقول: " إن تحليل الأدلة العلمية إذا يتطلب من المرء أن يظل موضوعياً، ولتحقيق هذه الغاية يتوجب على المحللين المسلمين ألا يتجاوزوا الحدود

1 - من فقدوا الله MisGod'ed ، خارطة طريق في الهداية والضلال داخل الديانات الإبراهيمية، لورنس ب براون، ترجمة منذر عيسى، طبعة 1432هـ / 2011م، ص 161.

والدخول في مجال التكهن، ويتوجب على غير المسلمين ممن يحاولون تشويه الإسلام
التخلي عن الطروحات الزائدة.¹

وجدير بالذكر أنه رغم الاختلاف في مناهج المهتمين، والتنوع في أساليب تناولهم للقضايا
المدرسة، فإن هناك اتفاق في غاية هؤلاء العلماء الأجلاء من تصنيف مؤلفاتهم، فتتبع
مناهجهم حمل في طياته سمات مشتركة فيما بينهم، وأخرى مختلفة أملت لها ظروف الزمان
والمكان والقدرات، فأثمرت مجتمعة تراثا فكريا عظيما في هذا الحقل العلمي.

1 - من وجدوا الله God'ed، الإسلام خاتمة الوحي، لورنس ب براون، ترجمة منذر عبيسي، طبعة 1432هـ / 2011م،
ص 162.

الفصل الثاني: منهج السموأل بن يحيى المغربي في كتابه إفحام اليهود

المبحث الأول: منهج الإلزام

المطلب الأول: تحديد مفهوم الإلزام لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعلق الإلزام ببعض العلوم

المطلب الثالث: بعض الإلزامات القرآنية

المبحث الثاني: حساب الجمل

المطلب الأول: مفهوم حساب الجمل

المطلب الثاني: حساب الجمل عند المسلمين

المطلب الثالث: حساب الجمل عند اليهود

الفصل الثاني: التعريف بمنهج السموأل بن يحيى المغربي

تمهيد

اختلفت طرق وأساليب مناقشة المهدي السموأل المغربي لليهود والنصارى، باختلاف القضايا التي تعرض لها مع كل طائفة منهم، إلا أنه عمد بشكل واضح إلى إلزامهم وإفحامهم بما عندهم من نصوص كتبهم، حتى لا يستطوعون مع ذلك الإنكار والمكابرة.

وقد اعتمد السموأل المغربي كغيره من العلماء منهج الإلزام في الرد على أهل الكتاب، وهو منهج يعبر عن سمو فكري، وقدرة علمية، وسماحة خلقية تميز بها علماء الإسلام، إذ إن أحدهم يضع إلزاماً على نفسه ألا يورد على أهل الكتاب حجة إلا من خلال كتبهم المسلمة عندهم، مع أن أهل الإسلام يعتقدون أنها محرفة، ولا حجة فيها يقينا، ولكنها مجارة الخصم الضعيف، والأخذ بيده إلى الحق من الطريق القريب.

فالسموأل بن يحيى المغربي من أهم علماء اليهود وكبار رجال الدين فيهم، هداه الله إلى الدين الحنيف في أواخر سنين حياته، وفي هذه السنين الأخيرة من حياته ألف كتابه المهم "غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود". وقد نهج في منهجه أسلوب التساؤل الاستنكاري حول نسخ بعض الأحكام الأساسية في التوراة، وأخذ بمناقشتها وتأكيد بطلانها، انطلاقاً مما يؤمنون ويسلمون به¹. فكان منهج السموأل في "إفحام اليهود" بلا

1 - علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، حسن الباش، دار قتيبة للطبع والنشر، الطبعة الأولى 1432هـ/2011م، ص 48.

شك هو الإلزام، إذ هو بارع في معرفة نصوص اليهود، لأنه كان من أئمتهم قبل إسلامه،
فلذلك عمد إلى الاحتجاج عليهم بما عندهم من نصوص، وهو يوضح هذا بقوله: "على
أن الأئمة (المسلمين) - ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلخوا في مناظرة اليهود
أنواع المسالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جعل
إلى إفحامهم طريق مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند
تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم".¹

هذا بالإضافة إلى ما سوف نتعرض له من مناهج مختلفة استخدمها السموأل وخاصة
المنهج الجدلي، ونقد النص الداخلي، وكذلك التعرض لنقد النص الخارجي، واستخدام
حساب الجمل.

ويأتي عبد الحق الإسلامي (ت 796هـ) في كتابه "الحسام الممدود في الرد على اليهود"
ليبين منهجه الإلزامي، وينضم إلى تلك الثلة المباركة من المهتمين، فهو عالم يهودي
وقف على كتب اليهود وأخبارهم، وأتقن علومهم ودرس أفكارهم، وخبر خباياهم وخفاياهم،
ورد على افتراءاتهم ومزاعمهم، مستخدماً النقل والعقل والدقة والوضوح، بأسلوب فيه القوة
والتحدي، إذ عمد إلى إدانة اليهود من أفواههم، وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القاطعة،

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، تحقيق الشراوي، ص 86.

والبراهين الساطعة، على فساد اعتقادهم، ولأنه يتميز بكونه كان من علماء أهل الكتاب فأسلم، فهو أخبر في جدال قومه، وأجدى من غيره في إظهار الحجة على خصومه.¹ ومنهج الإلزام لم يسلكه المهتدون فقط بل سبقهم وتلاههم فيه علماء مسلمون آخرون، فقد استخدمه ابن حزم (ت456هـ) في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، والذي اتسم منهجه في جدال أهل الكتاب بالقوة والحسم. ومثل ذلك كان منهج الغزالي² (ت505هـ) في كتابه: "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل". إذ كان يلزم الخصم بما يلزم به نفسه، فعمد إلى التحليل الداخلي لمادة الإنجيل كما هو مبين من خلال عنوان كتابه، حيث يقول في مقدمته: "ها أنا أذكر نصا نصا، مبينا فصولها المسطرة فيها، حذرا من المناكرة، لأن كتبهم غير محفوظة في صدورهم"³. ونهجه أيضا الإمام القرافي (ت682) في كتابه: "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى". ويبين أبو عبيدة الخزرجي (ت582هـ) منهجه الإلزامي كذلك والسبب الذي دعاه إلى سلوكه في كتابه: "مقامع هامات الصليبان ومراتع روضات الإيمان"، وهو لا يختلف عما هو موجود في عصرنا الحاضر، فيقول: "وقد قدمت في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه (أي المسيح) ما ادعى الألوهية، وإنما نقلت من أناجيلهم حرفا حرفا - على

1 - الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي المغربي، تحقيق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م، ص9 و10.

2 - انظر ترجمته في كتابه: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل - بيروت، مكتبة الزهراء القاهرة، الطبعة الثالثة 1410هـ/1990م، ص 14 وما بعدها.

3 - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، ص 99.

ما فيها من إضافة الفعل، والقوة، والحوّل إلى غير الله تعالى؛ لأن من شأنهم وشأن اليهود، إذا قيدوا بشيء ليس مكتوباً عندهم أنكره. فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية، ووقفت عليها بنفسي، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم، وشافهتهم بها.¹

ورائد الإلزام في العصر الحديث من علمائنا في مقارنة الأديان هو الشيخ رحمت الله الهندي (ت 1308هـ) في كتابه "إظهار الحق"، حيث يقول معبراً عن منهجه فيه: "إنني إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع، فهو منقول عن كتب علماء البروتستانت بطريق الإلزام والجدل، فإن رآه الناظر مخالفاً لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك".²

وقد تميز منهج الإلزام عن غيره من المناهج بكونه:

- يعطي المسلم فيضاً من الحجج والأدلة يستطيع بها الدفاع عن عقيدته التي يحملها وشرفه الله بها.
- يكشف ما في الأديان الأخرى من تحريف وباطل، مما يزيد المسلم استمساكاً بدينه.

1 - بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي المتوفى (582هـ)، تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة، عابدين، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص 295.

2 - إظهار الحق، رحمت الله الهندي، تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، دار الحديث، القاهرة الطبعة الثالثة 1414هـ/1994م، ص 9.

• ينمي ملكة المناظرة ويعلم فن النقاش والمحاورة، ويكشف الأساليب الملتوية والمقدمات الخاطئة التي لا تتفق مع مقررات العلم، والتي يمكن أن يستخدمها الخصم في الجدل.

• يمكن من مجادلة الخصم انطلاقاً مما يؤمن به ولا يمكنه إنكاره.¹
وقبل التطرق إلى أهم مواضيع الإلزام عند السموأل، سنعرض لمفهوم الإلزام لغة واصطلاحاً، ثم لبعض النماذج من الإلزامات القرآنية، وكذلك تعلق الإلزام ببعض العلوم.

1 - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمد علي حمادة، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الأولى 1983م، ص 6.

المبحث الأول: تحديد مفهوم الإلزام

المطلب الأول: مفهوم الإلزام لغة واصطلاحاً

جاء في المعاجم اللغوية أن الإلزام إفعال من اللزوم. فاللزوم: مصدر، والفعل: لزم يلزم، ولازم لزاماً. و"اللام والزاء والميم أصل واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء للشيء دائماً" ¹.

ولزم الشيء (يلزم، لزوماً) ثبت ودام، ويتعدى بالهمزة فيقال: ألزمته أي: أثبتته وأدمته، ففسر بالثبوت والدوام. ² وقيل: "اللزوم: امتناع الانفكاك اصطلاحاً، والتبعية لغة، ولزم فلان بيته إذا لم يفارقه ولم يوجد في غيره. ³ ثم استعملوه في التبكيت وهو: " أن يعجز المعلل السائل" أو بالعكس. ⁴ كما عرفوا اللزوم بأنه: " ما يمتنع انفكاكه عن الشيء. " ⁵ وقيل: " ألزم الشيء: أثبتته وأدامه، وألزم فلانا الشيء: أوجبه عليه. ويقال: ألزمه المال والعمل والحجة وغير ذلك. ويقال: ألزمت خصمي: حججته. " ⁶

-
- 1 - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية بيروت، طبعة 1410 هـ 1990م، مادة (لزم)، ص 245.
 - 2 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت720هـ)، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية بدون تاريخ، مادة (لزم)، ص 552.
 - 3 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت1094هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1419هـ/1998م، ص 795.
 - 4 - المرجع نفسه، ص 221.
 - 5 - تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205هـ)، طبعة حكومة الكويت 1385هـ، مادة (ل ز م).
 - 6 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ/2004م، مادة لزم، ص 823.

إذن هناك اتفاق على المعنى اللغوي للفظين "لزم واللزوم" وهو الثبوت والدوام وامتناع الانفكاك عن الشيء، كما أن اللفظين "ألزم والزام" جاءا أيضا بمعنى الوجوب، والزام الخصم يعني غلبته بالحجة.

والإلزام اصطلاحا عرفه مجموعة من العلماء، منهم ابن النجار الحنبلي (ت972هـ) حيث قال: "الإلزام: انتهاء دليل المستدل إلى مقدمات ضرورية، أو يقينية مشهورة، يلزم المعترض الاعتراف بها، ولا يمكنه الجحد، فينقطع بذلك.

والإفحام: انقطاع المستدل بالمنع أو المعارضة على ما يأتي بماذا يحصل الانقطاع.

فإن الإلزام من المستدل للمعترض، والإفحام من المعترض للمستدل.¹

وهناك من علق على هذا التعريف فقال: " هذا الحد وإن وقع على بعض معاني الإلزام، وهو إيقاف المعترض على مقدمات ضرورية، أو يقينية مشهورة يلزمه الاعتراف بها، غير أنه خصه ببعض صور المناظرة، وهو ما كان من السائل على المعترض، وأما ما كان من المعترض فإنه سماه بالإفحام. إضافة إلى ذلك أنه قصره على المقدمات الضرورية، أو اليقينية المشهورة، والإلزام أوسع من ذلك، ويشمل كل ما سلم به المخالف".²

1 - شرح الكوكب المنير المسمى ب: مختصر التحرير، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار (ت972هـ)، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، طبعة 1418هـ/1997م، الجزء الرابع، ص 356. (ينظر أيضا: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفلس - بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ، ص 137).

2 - نظرية الإلزام، إلزامات ابن حزم للفقهاء أنموذجا، فؤاد بن يحيى الهاشمي، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2014، ص 35.

وعرف الجويني (ت 478هـ) الإلزام، فقال: " إنه دفع كلام الخصم بما يوجب فصلا بينه وبين ما تضمن نصرته.¹"

وفي تعليق عليه: " هذا الحد وإن اُصطلح على تسميته " الإلزام"، إلا أنه نازل على معنى

آخر في الجدل، وهو دفع الخصم حجة خصمه بما يقطعها عن كونها حجة له.²

ويمكن تعريف الإلزام على أنه: (" إبطال قول المخالف بناء على أصله". وهذا هو

المقصود من الإلزام بالأصالة، -وإن كان الإلزام قد يفيد في بعض الصور تصحيح قول

الملزم-، والمقصود بإبطال قول المخالف، هو إفساد قوله إما مطلقا: بإبطال القول من

حيث هو. وإما مقيدا: بإبطال قول المخالف مضافا إلى أصله).³

ومما سبق يمكن القول إن الإلزام يجمع بين كونه إيقاف المعترض أو الخصم على

مقدمات ضرورية يلزمه الاعتراف بها، ودفع كلام الخصم وإبطاله بناء على ما يعتبره

أصلا فيما يعتقد ويسلم به، ومن تم الوصول معه إلى إبطال أصله، ونقض قوله بقوله.

فمدار الإلزام قائم على مخالفة الخصم أصله، سواء كان هذا الأصل خاصا بالمخالف، أو

لم يكن كذلك بأن كان مشتركا في اعتباره بينه وبين مناظره، أو حتى كان متفقا عليه،

فالعبرة في الإلزام مخالفة الخصم أصله.

1 - الكافية في الجدل، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني، تحقيق فوقية حسين محمود، طباعة

عيسى الباي الحلبي - القاهرة، طبعة 1399هـ / 1979م، ص 70.

2 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 36.

3 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 36.

المطلب الثاني: أركان الإلزام وشروط صحته

بعد التعرف على معنى الإلزام لغة واصطلاحاً لا ضير في معرفة أركانه وشروط صحته ليتسنى لنا الفهم الجيد لهذا المنهج الذي اتبعه السموأل في كتابه، وطريقة استعماله له. يتكون الإلزام من أربعة أركان أساسية لا يقوم إلا بها، وهي¹:

- الركن الأول: الملزم: وهو الطرف الفاعل في عملية الإلزام، فهو الذي يقصد إلى المقدمة التي يسلم بها الملزوم، ليجب بها معنى لا يعتبره المخالف، فيوقفه بذلك على تناقضه.

- الركن الثاني: الملزوم: وهو الطرف المقصود من الإلزام، فيقصد الملزم أن يوقف هذا الملزوم على قولة له أوجبت تناقضه، أو أنه خالف أصله، أو أن قوله أوجب معنى لا يقول به.

- الركن الثالث: اللزم: وهي النتيجة التي لا يؤمن بها الملزوم، فيقصد الملزم أن يبرهن على وجوب اقترانها بالمقدمة التي يسلم بها الملزوم، وإلا كان متناقضاً.

- الركن الرابع: المعنى الملزم به: وهو المقدمة أو القدر الذي يقر به الملزوم، فيقصد الملزم من خلاله إقامة البرهان على امتناع انفكاك هذه المقدمة عن النتيجة التي هي لازمة لها، ولا يقر بها الملزوم.

1 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 40.

وللإلزام شروط صحة لا يصح إلا بها، وهناك أيضا ما لا يشترط له وإنما يشتبه في اشتراطه له، وفيما يلي توضيح لذلك:

1) ما يشترط لصحة الإلزام وهي ثلاثة شروط¹:

* الشرط الأول: تسليم الملزوم بالملزم به

ينطلق الإلزام من مقدمة يسلم بها الملزوم، فيقصد الملزم إلى هذه المقدمة، ليقسر الملزوم بما تقتضيه هذه المقدمة من نتائج لازمة ينازع فيها الملزوم.

ومثل ذلك: ما قضى به الصنعاني (ت1182هـ) لابن حزم (ت456هـ) على منتقده ابن دقيق العيد (ت702هـ)، الذي رام إبطال مذهب ابن حزم بما لا يسلم به، فتعقبه الصنعاني، وقال: " اعلم أن الشارح (أي ابن دقيق العيد) أهمل أصلا أصيلا ورد عليه فلك المناظرة، وهو تسليم الخصم للمقدمات التي عليها تصح المناظرة." ²

وفي تقرير هذا الشرط يقول ابن حزم (ت456هـ): " لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به، سواء صدقه

1 - نظرية الإلزام، إلزامات ابن حزم للفقهاء أنموذجا، الهاشمي، ص 41 - 42.

2 - العدة على أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المكتبة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية 1409هـ، الجزء 1، ص 109.

المحتج، أو لم يصدقه، لأن من صدق بشيء لزمه القول به، أو بما يوجبه العلم
الضروري، فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا إن ثبت على ما كان عليه.¹
وفي هذا الكلام تأكيد على ضرورة تسليم الملزوم بالملزم به، أي بالمقدمات الضرورية
التي يقرها ويسلم بها، والتي عليها تصح المناظرة.

وفي هذا يقول الشاطبي (ت 790هـ) أيضا مبينا أهمية بناء الأدلة على ما يسلم به
الخصم: " وبيانه أن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم يتفقا
على شيء، لم يقع بمناظرتهم فائدة بحال، وإذا كانت الدعوى لا بد لها من دليل، وكان
الدليل عند الخصم متنازعا فيه، فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثا لا يفيد فائدة،
ولا يحصل مقصودا. ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه؛ لأن رده
بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق، فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم
السائل معرفة الخصم المستدل، وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَزَعَّتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾²، لأن
الكتاب والسنة لا خلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المرجوع إليه في
مسائل التنازع، وبهذا (المعنى) وقع الاحتجاج على الكفار، فإن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ لِمَنْ

1 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة،
طبعة دار الجيل - بيروت، بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص 78.

2 - سورة النساء، الآية 58.

الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ﴿٨٥﴾ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴿٨٦﴾¹ إلى قوله: ﴿قل فأني تسحرون ﴿٩٠﴾﴾². فقرهم بما به أقروا، واحتج عليهم بما عرفوا، حتى قيل لهم: ﴿قل فأني تسحرون﴾ أي: فكيف تخدعون عن الحق بعدما أقرتم به، فادعيتم مع الله إليها غيره؟³ ثم يتابع الشاطبي قوله في إفحام الخصم انطلاقاً مما يسلم به مع الاستشهاد بأمثلة من القرآن الكريم على ذلك فيقول: "وعلى هذا النحو تجد احتجاجات القرآن فلا يؤتى فيه إلا بدليل يقر الخصم بصحته شاء أو أبى، وعلى هذا النحو جاء الرد على من قال: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء﴾⁴، قال تعالى: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾⁵، فحصل إفحامه بما هو به عالم. وإذا ثبت هذا؛ فالأصل المرجوع إليه، هو الدليل الدال على صحة الدعوى، وهو ما تقرر في المقدمة الحاكمة، فلزم أن تكون مسلمة عند الخصم من حيث جعلت حاكمة في المسألة، لأنها إن لم تكن مسلمة لم يفد الإتيان بها، وليس فائدة التحاكم إلى الدليل إلا قطع النزاع، ورفع الشغب."⁶

1 - سورة المؤمنون، الآيتان: 85 - 86.

2 - سورة المؤمنون، الآية 90.

3 - الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت790هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، طبعة دار بن عفان - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م، الجزء 5، ص 415.

4 - سورة الأنعام، الآية 92.

5 - سورة الأنعام، الآية 92.

6 - الموافقات، الشاطبي، ص 416.

فقول الشاطبي هنا يجلي بوضوح تام أهمية اعتماد أدلة تقوم على مايسلم به الخصم، حتى يتم إفحامه بما هو عالم ومصداق به، وقد عزز موقفه هذا بآيات قرآنية ألزمت أهل الكتاب بما يقرون بصحته، ويعترفون به، ليستنبط بذلك من الوحي الرباني ضرورة جدال المخالف عامة، وأهل الكتاب خاصة، بما يسلم به.

* الشرط الثاني: منع الملزوم المعنى اللازم

المقصود به أن من وقع عليه الإلزام يمنع من النتيجة التي أرادها صاحب الإلزام، لأن الملزوم إن كان مسلما بهذا المعنى؛ فإنه لا حاجة إلى الإلزام إذن؛ إذ تحصيل الحاصل ممتنع، ولذا نجد أنه إذا ما وقع مثل هذا يباده الملزوم بقوله: وأنا ألتزم هذا اللازم.¹

* الشرط الثالث: اللزوم

المقصود به وجوب ترتب المعنى اللازم من الملزم به، أو النتيجة من المقدمة، وبصيغة أخرى: يشترط ألا يكون هناك أي انفكاكٍ للملزوم عن اللازم، فإن انفصل وانفك سقط اللزوم، وسقط الإلزام تبعاً.²

وقيل: " اللزوم عند أهل المناظرة ويسمى بالملازمة والتلازم والاستلزام أيضا: كون الحكم مقتضيا لحكم آخر، بأن يكون إذا وجد المقتضي وجد المقتضى وقت وجوده. ككون الشمس طالعة وكون النهار موجودا، فإن الحكم بالأول مقتض للحكم بالآخر.

1 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 42.

2 - المرجع نفسه، ص 42.

وعند المنطقيين: عبارة عن امتناع الانفكاك عن الشيء، وما يمتنع انفكاكه عن الشيء يسمى لازماً، وذلك الشيء ملزوماً.¹

فهذه هي الشروط الثلاثة الواجب توفرها لصحة الإلزام والتي يمكن إجمالها في:

- تسليم الملزوم وهو الطرف المقصود من الإلزام، بالملزم به وهو المقدمة التي تؤدي إلى نتيجة لا يسلم بها الخصم.

- منع الملزوم المعنى اللازم، أي النتيجة التي لا يؤمن بها، وإلا لا فائدة من الإلزام.

- اللزوم وهو وجود حكم للمقتضى إثر وجود حكم لمقتض قبله، أي امتناع انفكاك اللازم عن الملزوم.

(2) ما لا يشترط لصحة الإلزام مما يقع الوهم في اشتراطه²:

- لا يشترط أن يكون الملزم مسلماً بالمعنى اللازم (أي: نتيجة الإلزام)، فإنه قد يذكره من باب إفحام الخصم وإلزامه، لا من باب الالتزام به، ولذا قد يقع الإلزام في نتائج يرفضها الطرفان، كأن يلزمه بأن قوله يقتضي محالاً شرعاً أو عقلاً، فإن هذه النتيجة لا يقر بها الطرفان، وإنما ذكرت لمغالطته، لا لإقراره بها.

- ولا يشترط أن يكون الملزم مقراً بالملزم به (أي: مقدمة الإلزام). وفي هذا يقول ابن حزم وهو يقر هذا المعنى: "ولا يظن ظان أننا في مناظرتنا من نناظره من أهل ملتنا، المخالفين

1 - كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 1996م، المجلد الثاني، ص 1405.

2 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 43 - 44 .

لنا في بعض أقوالنا بالإجماع، قد نقضنا كلامنا في هذا المكان، فليعلم أننا لم ننقضه؛ لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صحتها في الفتيا في دين الإسلام، وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه، وعلى من وافقه، وأما أن نحتج على مخالفنا بأنه موافق لنا في بعض ما نختلف فيه فليس حجة علينا، فإن وجد لنا يوماً من الأيام، فإنما نخاطب به جاهلاً، نستكف تخليطه بذلك، أو نبكته لنريه تناقضه فقط.¹ وقال الأمدى (ت 631هـ) بهذا الخصوص أيضاً: "قولهم: هذا منكم لا يستقيم، قلنا: إنما ذكرنا ذلك بطريق الإلزام للخصم لكونه قائلاً به، وبه يبطل ما ذكره.² من خلال هذا القول يتبين أن الشيخ الأمدى استدل على خصمه بما لا يقره في مذهبه، وإنما لجأ لذلك لأن خصمه قائل به ومعتمده في مذهبه، فأراد إلزام خصمه بما يسلم به لإبطال دعواه. أما ابن تيمية (ت 728هـ) فقال في هذا الصدد: "وأما المستدل إذا استدل بما هو دليل عند مناظره فقط، فهو في الحقيقة سائل معارض لمناظره بمذهبه، وهو سؤال وارد على مذهبه، وهو استدلال على فساد أحد الأمرين، إما دليله أو مذهبه، فينبغي أن يعرف وجوه

1 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الجزء الأول، ص 183.

2 - الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد التغلبي الأمدى (ت 631هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1402هـ، الجزء الأول، ص 89.

الأدلة والأسئلة، وهذا في الحقيقة استدلال على فساد قول المنازع بما لا يستلزم صحة قول

المستدل، بمنزلة إظهار تناقضه، وهو أحد مقاصد الجدل.¹

فهذه الأقوال من علمائنا تبين شرعية الاستدلال على المخالف بأصله، وإن لم يكن

المستدل مسلماً ومقرباً به، بغية إفحام المخالف وإلزامه بالحجج مما يسلم به.

- ولا يشترط كذلك: ألا يكون عند الملزوم جواب؛ فإن مجرد الجواب لا يفك صاحبه ما

لم يكن مفيداً، وهذا لأن كل لازم قد يجيب عنه الملزوم، فإن كانت الإجابة مفيدة انفك من

دعوى اللزوم وإلا فلا، فالشأن إذن في إفادة الجواب، لا مجرد الجواب.

وخلاصة القول إن الإلزام منهج من المناهج التي استعملها علماء المسلمين في الشريعة

لإفحام مخالفيهم، سواء كان هذا المخالف من ملة الإسلام، أو من أهل الكتاب، وتحصيله

متوقف على صحة مقدمة المخالف من وجهة نظره حتى يكون ملزوماً بها، مع اكتمال

أركانه، وتوفير شروطه التي لا يصح إلا بها، فمدار الإلزام قائم على مخالفة الخصم أصله.

المطلب الثالث: تعلق الإلزام ببعض العلوم

يتطلب الإلزام من العالم مجهوداً فكرياً جباراً واطلاعاً واسعاً بمجموعة من العلوم العقلية،

إضافة إلى معرفة أدلة خصمه وتمكنه منها، فهو يستوجب الجمع بين الأدلة العقلية

والنقلية، وهذا ما أبرز ذكاء ومهارة علمائنا ممن استعملوا الإلزام في مجادلة أهل الكتاب.

1 - المسودة في أصول الفقه لآل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية، وولده شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحلیم بن عبد السلام، وحفيده شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة، طبعة 1384هـ / 1964م، ص 433 - 434.

فالإزام المخالف على أصله نوع من أنواع الجدل، والجدل ظاهرة إنسانية، بل عالمية لوجودها في غير الأجناس البشرية، كالملائكة وإبليس. وقد خلق الله تعالى الإنسان ناطقا مفكرا مدفوعا بالجبهة إلى حب الإفضاء بأفكاره والإفصاح عنها في مواقف الحجاج والنقاش، وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض موافقة أو مخالفة. حتى في مواقف القيامة فإن النفس لا تتخلى عن هذه النزعة البيانية الإنسانية، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾¹، على أن النزعة الجدلية لم تقتصر على طبيعة الإنسان اختلافا وبيانا وجدالا فحسب، بل كان وجود الإنسان نفسه ماثرا لتساؤل الملائكة.²

وهنا سنعرض لبعض العلوم التي كانت لها صلة وطيدة بالمنهج الإلزامي ونذكر منها:

• صلة الإلزام بعلم المنطق:

يتصل الإلزام بعلم المنطق لأن " كلام أهل المنطق ينحصر بين بابي التصورات والتصديقات، ويتصل بمبحثنا الإلزامي بأحد قسمي التصديقات، وهو ما يسمونه بالقضايا الشرطية اللزومية"³، وهي القضايا المتعلقة على قضايا أخرى، وهو ما يتفق مع موضوع الإلزام الذي يعلق فيه قول المخالف بأصله، كما تتصل مباحث الإلزام بما يذكرونه من

1 - سورة النحل، الآية 111.

2 - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي، ص 31 - 33.

3 - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة السابعة 1425هـ/ 2004م، ص 111.

الكلام في التناقض، وهو اختلاف القضايا في الكيف على وجه يلزم منه أن تكون إحداهما صادقة، والأخرى كاذبة.¹ كما أنه معلوم في التناقض أن الكلية الموجبة يتحقق نقضها بالجزئية السالبة، وهذا في فن المنطق أمر معروف مطرد لا نزاع فيه. ومن فوائد معرفة التناقض أيضا، أنك إذا أقمت الدليل على صحة نقيض قول الخصم فكأنك أقمته على بطلان دليله لأن صحة النقيض يلزمها بطلان نقيضه.²

والمقصود أن علم المنطق يؤسس النواة الأولى للإلزام، وهي قضية اللزوم، وهو بهذا يمثل المواد الأولية، ولا اختصاص للإلزام بهذا فقط، بل يسري هذا إلى كل المباحث العقلية والنظرية، ورغم أن هناك مآخذ للناس على علم المنطق، لكن المنطق هذا موضوعه، بغض النظر عن كونه صوابا أو خطأ.³

وبذلك يكون للإلزام ارتباط كبير بعلم المنطق من خلال ارتباطه ببعض قضايا التناقض واللزوم، واقتناص المطالب المجهولة من الأمور المعلومة.

• صلة الإلزام بعلم آداب البحث والمناظرة:⁴

1 - آداب البحث والمناظرة، مقدمات منطقية، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، مكتبة العلم بجدة، بدون طبعة، القسم الأول، ص 62.

2 - المرجع نفسه، ص 65 و66.

3 - نظرية الإلزام، إلزامات ابن حزم للفقهاء أنموذجا، الهاشمي، ص 66.

4 - هو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين وموضوعه الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعى على الغير ومبادئه أمور بينية بنفسها والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فبتضح الصواب. وقيل إن هذا العلم كالمناطق يخدم العلوم كلها لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارا للصواب والإلزام للخصم، فلا يخلو علم من العلوم من تصادم الآراء وتباين الأفكار وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول، فلا بد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول على ما هو المرود وتلك القوانين هي علم

يتصل الإلزام بعلم البحث والمناظرة لأن " هذا العلم هو المحل الطبيعي لمباحث الإلزام النظرية في صورتها المجردة، لأن الإلزام ضرب من الجدل، ومحل الجدل هو هذا العلم، ومما ذكر في هذا العلم من مسائل الإلزام: النقض".¹ والنقض هو: " ادعاء السائل بطلان دليل المعلل مع إقامته الدليل على دعواه بطلانه، ولا يقبل النقض إلا مقترنا بشاهد وهو الدليل على صحة النقض، وهذا الشاهد نوعان: الأول: تخلف المدلول عن الدليل: فالمدلول لازم للدليل، وتخلف اللازم عن الملزوم لا يمكن، كأن يكون الدليل موجودا والمدلول ليس بموجود فيكون الدليل جاريا على مدعى آخر غير المدعي الذي أقامه عليه المعلل. والثاني: استلزامه للمحال، كالدور السبقي والتسلسل المحال".²

وينقسم النقض في اصطلاح أهل المناظرة باعتبار هيئته ومقدماته: إلى النقض الحقيقي المشهور، وهو إذا جاء السائل المعترض بدليل المعلل على نفس الهيئة التي أورده عليها صاحبه، ولم يحذف منه شيئا. فإن حذف منه بعض الأوصاف، كان القسم الثاني، وهو النقض المكسور، فقد تكون للوصف المحذوف فائدة لا يصح النقض إلا به، وقد لا تكون له فائدة فوجوده كعدمه بالنسبة لصحة النقض. أما القسم الثالث والأخير، فهو النقض

آداب البحث. (انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بجاجي خليفة، تحقيق محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي - لبنان، بدون طبعة، ص 38 و 39.)

1 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 67.

2 - آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، القسم الثاني، ص 65.

الشبيهي، وضابطه إبطال الدعوى بشهادة فساد مخصوص، ككونها مخالفة لإجماع العلماء، أو منافية لمذهب المعلل¹.

وأخص ما ذكر أرباب هذا العلم مما يتعلق بالإلزام أيضا، هو مبحث "المعارضة"، وهي: "إقامة الخصم الدليل المنتج نقيض الدعوى التي استدل عليها خصمه وأثبتها بدليله، أو المنتج ما يساوي نقيضها، أو ما هو أخص من نقيضها، لأن إقامته الدليل المنتج أحد الأمور الثلاثة، يلزمه إبطال دعوى خصمه، لأنه إن ثبت نقيضها بدليل المعارض تحقق بطلانها لاستحالة اجتماع النقيضين، واستحالة اجتماع الشيء ومساوي نقيضه، واستحالة اجتماع الشيء والأخص من نقيضه. وأشهر أنواعها: أ- المعارضة على سبيل القلب: وهي معارضة دليل المعلل بعين دليله. ومعناه أن يقول له دليلك هذا ينتج نقيض دعواك، فهو حجة عليك لا لك، وسميت معارضة بالقلب، لأنه قلب عليه دليله بعينه حجة عليه لا له. ب- المعارضة بالمثل: وضابطها أن يتحد دليل المعارض مع دليل المحلل في الصورة مع الاختلاف في المادة، كالمقدمتين الصغرى والكبرى. ج - المعارضة بالغير: وضابطها أن تختلف صورة دليل المعارض وصورة دليل المعلل." ²

وخلاصة القول إن النقض والمعارضة ليسا إلا غيضا من فيض، فالمباحث المشتركة بين علم آداب البحث والمناظرة والإلزام كثيرة ولا يسمح المجال للتفصيل فيها أكثر.

1 - آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، القسم الثاني، ص 67.

2 - آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، القسم الثاني، ص 71-77.

• صلة الإلزام بعلم الجدل¹:

لم تفرق طائفة من أهل العلم بين علمي "الجدل" و"المناظرة"، بل جعلوهما شيئاً واحداً²، ومنهم من خصه بالمباحث الدينية، فقال إن مادة الجدل أصول الفقه³. فهذا التفصيل أو التمايز بين العلماء، لا يؤثر في نسبة هذه المباحث الإلزامية إلى علمي آداب البحث والمناظرة والجدل إلا من جهة القرب والبعد⁴. أما غاية الجدل فهي "رد الخصم عن رأيه ببيان بطلانه"⁵. وهذا نجده أيضاً في علم آداب البحث والمناظرة، وهو أيضاً ما يصبو إليه الأصوليون من خلال مناظرتهم ومجادلتهم مع مخالفيهم في بيان بعض الأحكام الشرعية.

-
- 1 - علم الجدل: علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض، وهو من فروع علم النظر ومبنى لعلم الخلاف مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خص بالعلوم الدينية ومبادئ بعضها مبنية في علم النظر وبعضها خطابية وبغضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث. وموضوعه تلك الطرق، والغرض منه تحصيل ملكة النقض والإبرام، وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين. (انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ص 579. ويرى الجويني أن الجدل من النظر، ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل، ويقول في الجدل إنه إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهم على التدافع والتنافي بالعارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة. (انظر: الكافية في الجدل، الجويني، ص 30 و44).
 - 2 - الكافية في الجدل، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني، تحقيق فوفية حسين محمود، طباعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، طبعة 1399هـ/1979م، ص 44.
 - 3 - قال الطوفي: "اعلم أن مادة الجدل أصول الفقه، فالجدل أصول فقه خاص، فهي تلزم الجدل، وهو لا يلزمها، لأنها أعم منه، وهو أخص منها، وموضوعه: الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم. انظر: علم الجدل في علم الجدل، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي، تحقيق المستشرق فولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن، طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية، عمان - الأردن، طبعة 1408هـ/1987م، ص 4.
 - 4 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 68.
 - 5 - علم الجدل في علم الجدل، الطوفي، ص 4.

يتبين مما سبق أنه يصعب التفريق بين علمي الجدل والمناظرة، لأن بعض العلماء اعتبروهما شيئاً واحداً، لارتباطهما معاً بعلم النظر وبعض مباحث علم المنطق، لكن المقصود من هذا العرض المقتضب لهذه العلوم هو بيان الصلة بينها وبين الإلزام وهذا هو المراد من هذا المبحث.

إن هذه بعض العلوم التي لها صلة بالإلزام ومباحثه، حيث نجد تداخل وترابط فيما بين هذه العلوم نفسها، وبالتالي إذا كانت هناك صلة للإلزام بأحدها، فصلته بباقي العلوم لازمة.

المطلب الرابع: غايات الإلزام

إن الغاية الكبرى من جدال أهل الكتاب هي تقرير الحق وإبطال الباطل، " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"¹. كما أنه " من الواجب على المسلمين أن يتعلموا من العلم، ما يتسنى لهم به إبطال الباطل، وإحقاق الحق، على الطرق المتعارفة عند عامة الناس"². هذا بالنسبة لعموم الجدل الذي منه الإلزام.

1 - درء تعارض العقل والنقل، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، تحقیق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1411هـ / 1991م، الجزء الأول، ص 357.

2 - آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، ص 3.

أما خصوص الإلزام، فإن الغاية الأولى له تظهر من موضوعه، وهو إبطال قول المخالف على أصله، فإن القول إذا أبطل نفسه بنفسه، صار من أفسد ما يكون، فإن من الأقوال الفاسدة ما لا يقوم بنفسه، وإنما يسقط بما يعارض به من أمر خارج عنه، فإذا ما عثر على قول أو دليل دالّ بنفسه على فساد، فإنه من الوهن إلى ما هو أقصى، لأنه لا قول أفسد منه.¹ وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي: "واعلم أنه لا يجوز أن يصح الشيء بنفسه البتة، وجائز أن يبطل بنفسه، (...) لكن لما أبطل نفسه أيقنا أنه باطل، لأن الحق الصحيح لا يبطل أصلاً، ولأنه نقض حكمه، فكل ما انتقض فباطل".²

وهذا القول يؤكد على أهمية إبطال الدليل نفسه بنفسه، لما له من قوة في نصر الحق وتبيينه، وهذا لا يتأتى إلا بالتأمل والنظر الجيد في مقدمات الخصم ونتائجها.

ومن فوائد الإلزام على أصل المخالف أنه أنكى لردعه إن كان معانداً، لأنه يظهر تناقضه من قريب، وهذا معنى مقصود شرعاً، لا سيما من كان من أهل الباطل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم"³. وهو كذلك أدعى لرجوع الملزوم إن كان متهماً للحق، لأن الملمزم أظهر له فساد قوله، فلم يبق له سوى

1 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 71.

2 - رسائل ابن حزم الأندلسي (384هـ - 456هـ)، علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الأولى 1983م، الجزء الرابع، ص 333.

3 - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية - الأردن / السعودية، طبعة 2004م، كتاب الجهاد والسير، رقم 3277، ص 1471.

الإذعان للحق.¹ ويقول الشنقيطي في تقرير هذا المعنى: " إفحامهم بنفس أدلتهم أدعى لانقطاعهم، وإلزامهم الحق".²

ومنه يلزمنا من هذا القول إن الإلزام أودع للمخالف لأنه يظهر تناقضه من قريب، ولا حجة له غير ما قدم، فيظهر بطلان قوله فينقطع، أو يذعن للحق.

ويفيد الإلزام أيضا في الترجيح، لأن القول السالم من إيرادات الخصم أقوى من القول المعارض؛ فكيف إذا كانت المعارضة بأصله الذي اعتبره وأقامه عليه، وكثير من المسائل الخلافية تنتهي إلى اختلاف الأصول. بينما مسائل الإلزام، يحسمها أحد المتخاصمين بمقتضى أصول الآخر، وهذا أقوى ما يكون من الترجيح، فالترجيح له مسالك هذا أقواها، لقصره، وسلامته من معارضة المخالف بأصله.³

ويفيد الإلزام كذلك في الترجيح من جهة أنه يقلص عدد الأقوال في المسألة إذا صح إبطال الإلزام لبعضها، وهذا إن لم يحق حقا، إلا أنه يقرب إليه، فيقصر آلة البحث على ما يمكن أن يكون حقا، فيردد بينه النظر.⁴

ومن أغراض الإلزام أيضا إيقاف المخالف على تناقضه، وأنه على غير الجادة والصواب، يقول ابن حزم في هذا: " وإنما نوردها لنلزمهم ما أرادوا إلزامنا، وهو لازم لهم؛ لأنهم يحتجون بمثله، ومن جعل شيئا ما حجة في مكان ما، لزمه أن يجعله حجة في كل

1 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 72.

2 - آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، ص 5.

3 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 73.

4 - المرجع نفسه، ص 73.

مكان، وإلا فهو متناقض، متحكم في الدين بلا دليل"¹. وهذا يستوجب من الطرفين المتناظرين أن يلتزم كل منهما بمذهبه في كل مراحل المناظرة أو الجدل، فإذا أنكر أوفى أحدهما أصلاً أو فرعاً منه، فإن ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه.

كما أن الإلزام يميز الباحثين عن الحق من المتكبرين، الذين يبطلون الحق ويغمطونه، فإن الباحث إذا ألزم مخالفه إلزاماً بحق، فإنه حينئذ قد أنزله منزلته، وأبانه عن محله، وأراه فساد قوله، فإن أب إلى الحق فذاك، وإلا فإنه لا يضره بعد ذلك عناده، فإن زحزحة الإنسان عن أصله أو قوله وما ألفه، أمر جد عسير، أرانا الله الحق وثبتنا عليه.²

إن هذه بعض غايات الإلزام التي يروم العلماء تحقيقها من خلال نهجهم لهذا المبحث من مباحث الجدل والمناظرة، ولم يكن هدفهم منه الغلبة أو الشهرة، بل كانت غايتهم الأسمى هي التوصل إلى المعرفة الحقة التي توصل إلى اليقين بالله ونصرة دينه، استجابة لأمر الله تعالى الذي يحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتالي هي أحسن، من خلال تلمس الحق وتتبعه، وإيصاله إلى الناس بأبلغ لفظ وأوجز إشارة، وهذا ما يهدف إليه الإلزام.

1 - الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ / 1983م، الجزء السادس، ص 41.
2 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 76.

المطلب الخامس: نماذج من الإلزامات القرآنية

إذا تقررت مما سبق أهمية الإلزام، واتضح أنه دليل ضروري اتفق عليه العلماء واستعملوه، لأنه يجمع بين الأدلة العقلية والنقلية، فلا ضير في معرفة قدر هذا الدليل ومنزلته في القرآن الكريم، من خلال عرض بعض أمثلة الإلزام الواقعة فيه.

أكد العلماء¹ أن القرآن العظيم " قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب، دون دقائق طرق المتكلمين، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾² "3، ثم إن الطرق العقلية التي دلت عليها النصوص القرآنية أقوى وأقرب وأنفع، من الطرق المبتدعة، لأن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم.⁴

وهنا بعض النماذج من الإلزامات القرآنية:

(1) قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾⁵. قال الطوفي (ت 716هـ) في تفسير هذه الآية: " أي: لو كان مع الله شركاء

1 - منهم نجم الدين الطوفي (ت 716هـ) من خلال كتابه " علم الجدل في علم الجدل".

2 - سورة إبراهيم الآية 4.

3 - الإلتقان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الخامس، ص 1954.

4 - درة تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، الجزء الثامن، ص 90.

5 - سورة الإسراء الآية: 42.

له لطلبوا السبيل إلى قهره وغلبته على عادة الشركاء والملوك في أملاكهم وبلادهم، لكن
اللازم باطل، فالملزوم كذلك.¹

وفسرها السعدي (ت 1376هـ) كذلك: " أي لطلبوا السبيل، وسعوا في مغالبة الله تعالى،
فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا وقهر، هو الرب الإله. فأما وقد علموا أنهم يقرون أن
آلهتهم التي يعبدون (ويدعون) من دون الله مقهورة مغلوبة، ليس لها من الأمر شيء، فلم
اتخذوها وهي بهذه الحال؟²، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ
مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾³. وهذه ملازمة في بيان حقيقة
التوحيد تقتضي بطلان الملزوم كذلك، لأن اللازم باطل. وفي تقرير هذا يقول السيوطي
(ت 911هـ): " المعنى: ليس مع الله إله، ولو سلم أن معه سبحانه إلهًا لزم من ذلك
التسليم ذهاب كل إله بما خلق وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا
تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزمه من المحال.⁴
وهنا ذكر الله تعالى دليل التسليم، ففرض المحال مشروطاً، فامتنع وقوع تعدد الآلهة
لامتناع وقوع شرطه، وهو ذهاب كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، واختلال
نظام الكون، والواقع يدل على ذلك.

1 - علم الجدل في علم الجدل، الطوفي، ص 152.

2 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق،
دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424 هـ / 2003م، ص 433.

3 - سورة المؤمنون، الآية 92.

4 - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الخامس، ص 1961.

(2) وفي موضع آخر قال سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾¹.

وفي هذه الآية يستدل الله تعالى على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المبين فيها، وهذا ما قرره السيوطي (ت 911هـ) في شرحه لهذه الآية: " لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض، لاستحالة تجرؤ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما ألا تنفذ إرادتهما، فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزا"²، واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع.³

(3) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نؤمن لرسولٍ حتى يأتينا بقربانٍ تأكله النارُ قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينت وبالذي قتلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صدقين﴾⁴. قال الطوفي (ت 716هـ): " إن الأنبياء عليهم السلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم جاؤوكم بالبينات وبالذي قتلتم من القرين الذي تأكله النار، ومع ذلك قتلتموهم،

1 - سورة الأنبياء الآية 22.

2 - الإلتقان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الخامس، ص 1958.

3 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 493.

4 - سورة آل عمران، الآية 183.

فإن كان ما زعمتموه حقا فأحد الأمرين لكم لازم: إما مخالفتكم عهد الله في أنبيائه وهو كفر، أو كذبكم في هذه الدعوى وهو محال لأن ذلك يوجب بطلانها على تقدير صحتها، فيكون بطلانها لازما لصحتها فتكون باطلة، إذ ملزوم الباطل باطل.¹

استدل الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بدليل المناقضة، لأنهم ناقضوا دعواهم بقتل أنبيائهم مع أنهم جاؤوهم بما طلبوا، فبطلت دعواهم، وامتنع تسليمها.

وهذا من الإلزام جدلي الذي ينبني على مقدمة الخصم الفاسدة ليريه فسادها.² وخالصة القول إن الإلزام حاضر بقوة في آيات مجادلة الله لأهل الكتاب والكافرين من غيرهم، والتي منها استتبط علماؤنا هذا المنهج بمباحثه وأساليبه المختلفة في إفحام أهل الكتاب أيضا، ولا يتسع المجال لمزيد من التفصيل والعرض، وإلا فالقرآن الكريم حافل بمثل هذه النماذج المقدمة، وبغيرها من المناهج القرآنية التي كانت دائما نبراسا للعلماء استضاءوا بضوئها في دروب هذا العلم الجليل، علم مقارنة الأديان.

المبحث الثاني: حساب الجمل

من المناهج التي انتهجها السموأل المغربي في كتابه "إفحام اليهود" حساب الجمل، وإن كان قد ساقه في موضع واحد هو الإشارة إلى اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة، ويتضمن الكتاب مناهج أخرى سيتم التطرق لها بإيجاز بعد الانتهاء من الحديث عن حساب الجمل.

1 - علم الجدل في علم الجدل، الطوفي، ص

2 - نظرية الإلزام، الهاشمي، ص 81.

المطلب الأول: مفهوم حساب الجمل

حساب الجمل، ويسمى كذلك حساب "أبجد"، ومقابله بالانجليزية (جماتريا) Gematria، وبالعبرية: (جماتريا). ومن المصطلحات التي تقربه: "أسرار الحروف"، أو "السيمياء". وقد يسمى أيضا "علم خواص الحروف، علم الخواص الروحانية، علم التصريف بالحروف والأسماء، علم الحروف النورانية والظلمانية، علم التصريف بالاسم الأعظم، علم الكسر والبسط".¹

والجمل، من الجملة، والجملة " جماعة كل شيء بكمالة من الحساب وغيره، يقال: أجملت له الحساب والكلام، وقال الله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾²، وقال الليث: " حساب الجمل: ما قطع على حروف أبجد " ³، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: حساب الجمل: " نوع من الحساب يجعل فيه لكل حرف من حروف الأبجدية عدد خاص من الواحد الى الألف، على ترتيب مخصوص " ⁴، أو هو " ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد الى الألف على ترتيب خاص".⁵

1 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، المجلد الأول، ص 17.

2 - سورة الفرقان، الآية 32.

3 - تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2001م، الجزء 11، ص 75.

4- معجم اللغة العربية، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ / 2008م، الجزء الأول، ص 399.

5- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية دار الدعوة، بدون طبعة، بدون تاريخ، الجزء الأول، ص 136.

أي إن الألف في "أبجد" يساوي قيمة عددية، وهي: "1" في حساب الجمل، وهكذا دواليك، إلا أن هذا الترتيب يختلف بين حساب المغاربة والمشاركة. فالترتيب المشرقي هكذا: ا ب ج د - هوز - حطي - كلمن - سعفص - قرشت - ثخذ - ضظع. وهكذا إذا أعطينا لكل حرف قيمته العددية، يصبح كالآتي:¹

ا=1، ب=2، ج=3، د=4، ه=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9، ي=10، ك=20،
ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90، ق=100، ر=200،
ش=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900،
غ=1000.

ويختلف ترتيب حساب الجمل عند المغاربة عن ترتيب المشاركة، بعد "كلمن"، إذ يجعلونها: صقفص - قرست - ثخذ - ظغش. وينتج عن هذا الاختلاف أن:
الصاد في المشرق 90 وفي المغرب 600. والضاد في المشرق 800 وفي المغرب 90.
والسين في المشرق 60 وفي المغرب 300. والطاء في المشرق 900 وفي المغرب
800. والغين في المشرق 1000 وفي المغرب 900. والشين في المشرق 300 وفي
المغرب 1000.

1- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ص 1.

المطلب الثاني: حساب الجمل عند المسلمين

توصلت بعض الدراسات إلى أن هذه الطريقة الحسابية أدخلها اليهود إلى بلاد المسلمين بعد تلقيهم إياها عن سحرة بابل، فقد كان ولا يزال السحرة والمنجمون والكهان يستخدمونها في طلاسهم ورموزهم، كما استخدمها بعض الأدباء في تأريخ بعض الأحداث والوقائع نظماً ونثراً. وتسلت هذه الطريقة إلى كتب التفسير مع غيرها من الإسرائيليات، فاستخدمها بعض المفسرين لتفسير الحروف المقطعة في فواتح السور.¹

وهناك من يرى أن كل ما يوجد في كتب الباطنية العربية عن معاني الحروف وأسرارها وقواها وطلاسمها، هو من آثار القبالة، فجلبها ليس سوى قبالة معربة ومموهة في الآيات القرآنية والعبارات الإسلامية.²

ويوضح ابن خلدون (ت 808هـ) حقيقة علم حساب الجمل وأسرار الحروف وسر التناسب بين الحروف والأعداد فيقول: " فأما التناسب الذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع، أو بين الحروف والأعداد، فأمر عسير على الفهم، إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات، وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف " ³، فكان رأيه هذا موافقا لما ذهب إليه البوني (ت 622هـ)

1 - وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور، فهد عبد الرحمن الرومي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 50، ص 183.

2 - تفسير القرآنية بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، بهاء الأمير، دار الكتب المصرية - القاهرة، طبعة 2017م، ص 363.

3 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون، تحقيق خليل شحاتة، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية 1408هـ/ 1988م، ص 666.

في قوله: " ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلي، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي".¹

ومن المظان التي استخدم فيها المسلمون أسرار الحروف، فواتح السور، مثل: الم، والر، وطسم...، وهي حروف مبهمه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمراد منها، بل استأثر الله بعلمها.

وتنقل بعض الروايات أن اليهود في عهد الرسول ﷺ، رغبوا في معرفة مدة الإسلام باستعمال حساب الجمل، إذ يروى في حديث طويل أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الْمَ، ذَٰلِكَ أَلْكَتَبُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾²، فأتى أخاه حُيي بن أخطب فأخبره بما سمع، ف جاء حُيي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مستفسرا عما سمع، فلما تأكد أقبل على من كان معه فقال لهم: " الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة. أفْتدخلون دين نبي إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم سأل النبي ﷺ إن كان يوجد في القرآن غير "الم" فلما أخبره بوجود "المص" و"الر" و"المر"، قام بعدها بطريقة حساب الجمل، ثم قال: " لقد لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟"، ثم قاموا عنه صلى الله عليه وسلم، فقال أبو ياسر لأخيه ولمن معه من الأحبار: " ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله

1 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون، ص 666. انظر أيضا: تفسير القرآنية بالسريانية دسانس وأكاذيب، بهاء الأمير، 363.

2 - سورة البقرة الآيتان 1 - 2.

لمحمد فيكون سبعمائة سنة وأربع وثلاثون. فقالوا: لقد تشابه علينا امره". وقيل إن الآية:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾¹ نزلت فيهم.²

وقد أورد هذا أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في معرض بيانه للمحكم والمتشابه حيث قال: " يبين من ذلك أن التأويل قد روى أن من اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كحيي بن أخطب وغيره، من طلب من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الأمة، كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين، وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاما، لأن ذلك هو عدد ما للحروف في حساب الجمل بعد إسقاط المكرر، وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر".³

وقد اعتمد عدد من المفسرين حساب الجمل وأسرار الحروف في التفسير، مثل مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) حيث استخرج من قوله تعالى: ﴿ اَلْمَ ، غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾⁴ فتح بيت

1 - سورة آل عمران الآية 7.

2 - جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ/ 2000م، الجزء الأول، ص 217. وقد ضعف المحقق إسناد هذه الرواية. انظر أيضا: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام تدموري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1410هـ/1990م، الجزء الأول، ص 446.

3 - مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية، المجلد 13، ص 275.

4 - سورة الروم الآيتان 1 - 2.

المقدس في سنة معينة.¹ ومن المتأخرين نجد الشيخ طنطاوي (ت 1940م) في كتابه " الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، الذي ذكر فيه أن القرآن كتاب سماوي والكتب السماوية تصرح تارة وترمز تارة أخرى، والإشارة من المقاصد السامية والمغازي الشريفة وقديما استعمل اليهود والنصارى حساب الجمل، وما دام القرآن الكريم نزل للعرب والعجم، فلا بد أن يأتي على منهج يكون فيه ما يألّفون.²

إلا أنه هناك من عارض تفسير فواتح السور بحساب الجمل، ومن بينهم ابن كثير (ت774هـ) حيث قال: " وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته".³ بالإضافة إلى التفسير استخدم المسلمون حساب الجمل وأسرار الحروف في ميادين أخرى، كالتأريخ، واستعمالها كرموز قصد الاختصار، وفي المجال الصوفي.

مما سبق يمكن استخلاص أن حساب الجمل ثقافة واردة على المسلمين من اليهود، وقد تطور استعماله حتى وصل إلى السحرة والكهان والمنجمين وغيرهم. وهذه الطريقة

1 - تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى 1423هـ، الجزء الخامس، ص 209.

2 - الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، طبعة 1343هـ، الجزء الثاني، ص5.

3 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1999م، الجزء الأول، ص 161.

الحسابية ليس لها ضوابط ولا معايير محددة، وبالتالي من نجاح سبيله فيها مرة، أخفق مرات عديدة.

المطلب الثالث: حساب الجمل وأسرار الحروف عند اليهود

يعتبر حساب الجمل (جماتريا) من بين أكثر الوسائل التي يعتمد عليها لدراسة التوراة، ولا يزال إلى يومنا هذا، وهم يفصلون في هذا الأمر تفصيلا غريبا، كما سيتم الإشارة إليه لاحقا.

وقبل ذلك هذا الجدول¹ يعرض الحرف العبري وقيمه العددية عند اليهود:

الحرف العبري	نطقه	مقابله بالعربي	قيمه العددية
א	ألف	أ	1
ב	بيت	ب	2
ג	جيمل (الجيم المصرية)	ج	3
ד	داليت	د	4
ה	هيه	ه	5
ו	واو (فاف)	و	6
ז	زاين	ز	7
ח נ	خيت	ح/خ	8
ט	تيث	ت/ط	9
י	يود	ي	10
כ	كاف	ك، الكاف في اخر الكلمة	20، 500
ל	لامد	ل	30
מ ם	ميم	م، ميم اخر الكلمة	40، 600
נ ן	نون	ن، نون اخر الكلمة	50، 700
ס	سامخ	ص	60
ע	عين	ع	70

1 – Gemetria and the Tanakh, Brian Pivik, 2017 ; ISBN: 978-1-257-09404-2, p:4

800 ، 80	ب(P)/ف(F)/ب/ف اخر الكلمة	بي	פ ף
900 ، 90	تس، تز ، اخر الكلمة	تسادي	צ ך
100	ق/ك	قوف (كوف)	ק
200	ر	ریش	ך
300	ش/س	شین	ש
400	ت	تو	ת

ومنهج الجماتريا منهج يعتمده اليهود في شرح كلمات الكتاب المقدس استنادا على القيمة العددية لحروف الكلمات العبرية، فتحسب القيمة الرقمية للكلمات وتستخلص منها النتائج التي يريد أن يصل إليها المفسرون القباليون وغيرهم.¹

ولذلك نجد من علماء اليهود من يستعمله في إثبات بعض الأمور الدينية، حيث أن الاتجاه الصوفي اليهودي (القبالاه) يعتبرون أن كل كلمة في التوراة تمثل رمزا، وكل علامة أو نقطة تحوي سرا داخليا²، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية عندهم هي الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها، لأنهم يعتقدون أن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ودور كبير في عملية الخلق، وتتطوي على قوى غريبة ومعان خفية، وخاصة الأحرف الأربعة التي تكون اسم يهوه.³

كما اعتمده بعض المهتدين لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم مؤلفنا السموأل المغربي كما سيتبين لاحقا، وكذلك المهتدي عبد الحق الإسلامي السبتي (ت بعد 796هـ).

1 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، المجلد الخامس، الجزء الثاني، ص 471.

2 - ينظر أيضا قول الربى Chayim Tirer حيث يقول: " إن كل حرف في توراتنا المجيدة يمثل عالما بأكمله، وكونا هائلا من النور الإلهي." Inner Meaning of the Hebrew Letters, Robert Haralik, Rowman & Littlefield Publishers, INC, USA, 1 Edition, 2005, p xii.

3 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، الجزء 13، ص 423.

الفصل الثالث: موضوعات الكتاب عرض ودراسة

المبحث الأول: إزام اليهود النسخ

المطلب الأول: مفهوم النسخ

المطلب الثاني: إزام السموأل اليهود النسخ من نص كتابهم

المبحث الثاني: إزامهم نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام

المطلب الأول: إزامهم نبوة المسيح عليه السلام

المطلب الثاني: إزامهم نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: ذكر الآيات من التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: الإشارة إلى اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة

المبحث الثالث: كفرهم وتبديلهم للتوراة

المبحث الرابع: سبب تبديل اليهود التوراة

المبحث الخامس: بيان بعض فضائح اليهود.

الفصل الثالث: موضوعات الكتاب عرض ودراسة

إن المناهج التي نهجها العلماء قبل السموأل في نظره قاصرة على الإقناع ولا تؤثر بشكل كبير في من يناظرونهم، فكان هذا هو المنطلق الأساس له في إفحام اليهود من خلال كتابه "إفحام اليهود" حيث يقول: " والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والعناد وأن تظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد على أن الأئمة ضوعف ثوابهم قد انتدبوا قبلي لذلك وسلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك إلا أن أكثر ما نوظروا به يكادون لا يفهمونه أو لا يلتزمونه وقد جعل إلى إفحامهم طريقا مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم وأعماهم الله عنه عند تبديلهم ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم" ¹.

هذا هو موقف السموأل الذي اهتدى إلى الإسلام بعقله وقلبه، فهو صاحب حس مربى على المنطق والرياضيات والبرهنة، كما أنه كان يكره التقليد والجمود، ليقينه بضرورة تحكيم العقل على كليات أمور الكون. وقد وظف هذا الأصل العلمي المنهجي الثابت في مناقشة دعوى اليهود، وتقنيد مزاعمهم، بمهارة واقتدار، يعكسان ثقافته الرياضية والمنطقية.

وقد تمت الإشارة فيما سبق إلى تقسيم هذا الكتاب بتفصيل دقيق لكل فصوله.

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 86.

المبحث الأول: إلزام اليهود النسخ

معرفة النسخ أمر عظيم من أمور الدين، لأنه مبحث مهم من مباحث العلوم الشرعية كعلوم القرآن وعلم أصول الفقه، وقد صنف فيه العلماء كتب ومصنفات كثيرة. لكنه لم يكن محط اهتمام الأصوليين والفقهاء فقط، بل شغل أيضا علماء مقارنة الأديان، لا من ناحية نسخ القرآن بالقرآن، أو القرآن بالسنة إلى غير ذلك، ولكن من ناحية نسخ الدين الإسلامي لغيره من الأديان، فما معنى النسخ لغة واصطلاحاً؟

قبل عرض مسلك المهتدي الحكيم السموأل في إثبات وقوع النسخ في شريعة اليهود، لا بأس من تقديم تعريف للنسخ والحكمة منه بشكل مقتضب.

المطلب الأول: مفهوم النسخ

أ - النسخ لغة:

النسخ: مصدر نسخ ينسخ نسخاً، ويأتي في اللغة بمعنيين أساسيين هما: 1- الإبطال والإزالة: يقال: نسخت الريح الأثر، ونسخت الشمس الظل: أي أزالته وحلت محله، ونسخ الحاكم الحكم والقانون. ويقال له: التبديل أيضاً، وهو جعل شيء مكان شيء آخر. ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾¹ ، وقوله تعالى: ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ ﴾². أي يزيله ويبطله فلا يبقى له أثر، فجاءت كلمة النسخ هنا بمعنى: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه. 2- النقل والتحويل:

1 - سورة البقرة، الآية 105.

2 - سورة الحج، الآية 50.

يقال نسخ الكتاب أي نقله وكتبه حرفا بحرف، ونسخت النحل العسل، أي حولته إلى مكان آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَذَا كَتَبْنَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾¹ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله، فجاءت كلمة النسخ هنا بمعنى نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو.²

ب - النسخ اصطلاحاً:

تطرق العديد من العلماء إلى تحديد حد النسخ، وهنا ندرج بعضاً من هذه التعريفات: يقول ابن حزم (ت456هـ) في تعريف النسخ: " إذ ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله عز وجل أن يعمل عمل ما، مدة ما، ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة، ولا فرق في شيء من العقول بين أن يعرف الله تعالى، ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأمرهم به، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك، وبين ألا يعرفهم به، إذ ليس عليه تعالى شرط بأن يعرف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتي الوقت الذي يريد إلزامهم فيه الشريعة. " ³

1 - سورة الجاثية، الآية 28.

2 - لسان العرب، ابن منظور الإقريقي المصري، دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ، المجلد الرابع عشر، مادة (نسخ)، ص 243. انظر أيضاً: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، توثيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1426هـ / 2005م، مادة نسخ، ص 1280. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وغيرهما، مجمع اللغة العربية، طبعة 1381هـ / 1991م، ص 917.

3 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الأول، ص 83.

ويقول الغزالي (ت505هـ) في تحديد حد النسخ: " أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم

الثابت بالخطاب المتقدم، على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه." ¹

وقال الرازي (ت606هـ) أيضا: " النسخ: طريق شرعي يدل على أن الحكم الذي كان ثابتا

بطريق شرعي لا يوجد - بعد ذلك - مع تراخيه عنه، على وجه لولاه كان ثابتا." ²

وهو كذلك: " بيان انتهاء مدة الحكم العملي الجامع للشروط" ³، وتفسيره: " أن النسخ لا

يطرأ على القصص، ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل: أن صانع العالم موجود، ولا

على الأمور الحسية مثل: ضوء النهار وظلمة الليل، ولا على الأدعية، ولا على الأحكام

التي تكون واجبة نظرا إلى ذاتها مثل: آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأحكام المؤبدة مثل:

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ⁴، ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين، مثل: ﴿فَاعْفُوا

وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ ⁵. بل يطرأ على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود

والعدم غير مؤبدة وغير مؤقتة، وتسمى الأحكام المطلقة، ويشترط فيها أن لا يكون الوقت

1 - المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (450 - 505هـ)، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، بدون طبعة، الجزء الثاني، ص 35. انظر أيضا: للمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي (392-476هـ)، تحقيق عبد القادر الخطيب الحسني، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة - البحرين، دار الحديث الكتانية - المملكة المغربية، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م، ص 163.

2 - المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت606هـ)، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1416هـ/1996م، الجزء الثالث، ص 285.

3 - إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الرحمان الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى 1410هـ/1989م، الجزء الثالث، ص 643.

4 - سورة النور، الآية 4.

5 - سورة البقرة، الآية 108.

والمكلف والوجه متحدة، بل لابد من الاختلاف في الكل أو البعض من هذه الثلاثة، وليس معنى النسخ المصطلح أن الله أمر أو نهى أولاً، وما كان يعلم عاقبته، ثم بدا له رأي فنسخ الحكم الأول ليلزم الجهل، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد في الأمور المسطورة ليلزم الشناعة عقلاً، وإن قلنا أنه كان عالماً بالعاقبة فإن هذا النسخ لا يجوز عندنا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بل معناه: أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى الوقت الفلاني ثم ينسخ، فلما جاء الوقت أرسل حكماً آخر ظهر منه الزيادة أو النقصان أو الرفع مطلقاً، ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول. فكما أن في تبديل الفصول، وتبديل الليل والنهار، وتبديل أحوال الناس، وغيرها، حكماً ومصالح لله تعالى، سواء ظهرت لنا أو لم تظهر، فكذلك في نسخ الأحكام حكم ومصالح له، نظراً إلى حال المكلفين والزمان والمكان.¹

وخلاصة القول إن النسخ هو رفع حكم ثابت بخطاب متقدم، بخطاب آخر متراخ عنه، أي رفع حكم شرعي بدليل شرعي آخر متأخر عنه. ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم في الأزل أن هذا الحكم سيكون معمولاً به لدى المكلفين إلى وقت محدد في علمه، ثم ينسخه بحكم آخر يظهر منه الزيادة أو النقصان، أي: النسخ الجزئي أو التخصيص، أو الرفع مطلقاً وهو النسخ الكلي، فهو العالم سبحانه بما كان وما سيكون علماً قديماً أزلياً أبدياً. وهذا بيان انتهاء المدة المعينة للحكم الأول، وابتداء الحكم الثاني.

1 - إظهار الحق، رحمت الله الهندي، الجزء الثالث، ص 644 - 645. انظر أيضاً: المحصول في علم أصول الفقه، الرازي، الجزء 3، ص 292.

ج- حكم النسخ والحكمة منه:

النسخ جائز عقلا وواقع شرعا قديما وحديثا من لدن آدم -عليه السلام- إلى أن ختم الله سبحانه الشرائع والكتب بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزله عليه. ولا ريب أن في نسخ الأحكام حكما ومصالح نظرا إلى حال المكلفين والزمان والمكان.¹ وما يدعيه أهل الكتاب وغيرهم من امتناع النسخ باطل مخالف للواقع. لأن المصالح تختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال المكلفين². ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾³، وقال تعالى أيضا: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ﴾⁴، وقال سبحانه جل جلاله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾⁵.

وقيل لا يقع النسخ في قرآن يتلى وينزل، ويفر هؤلاء من القول بأن الله ينسخ شيئا بعد نزوله والعمل به، وهذا مذهب اليهود في الأصل، ظنا منهم أنه بداء، كالذي يرى الرأي ثم

1 - إظهار الحق، الهندي، ص 647. انظر أيضا: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص 32. واللمع في أصول الفقه، الشيرازي، ص 164.

2 - بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق طويلة، ص 20.

3 - سورة البقرة، الآية: 105.

4 - سورة الرعد، الآية: 40.

5 - سورة النحل، الآية 101.

يبدو له، وهو باطل، لأنه بيان مدة الحكم. والصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعا وعقلا.¹
وللنسخ حكم كثيرة نذكر منها:

- أن الأعمال البدنية إذا واطب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة عند الخلق،
وظن أنها مطلوبة لذاتها، فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى
وتمجيده، بخلاف ما إذا تغيرت تلك الطرق، وعلم أن المقصود من هذه الأعمال إنما هو
رعاية أحوال القلوب والأرواح في المعرفة والمحبة، فإن الأوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك
الصور والظواهر إلى علام السرائر.²

- وهناك من يرى وجوها أخرى للنسخ منها: أن الخلق طبعوا على الملالة من الشيء،
فوضع في كل عصر شريعة جديدة لينشطوا في أدائها. ومنها أيضا في نسخ ديننا
الحنيف لسائر الأديان قبله، إظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم، فإنه نسخ بشريعته
شرائعهم، وشريعته لا ناسخ لها، لأنه النبي الخاتم. إضافة إلى ما في النسخ من حفظ
مصالح العباد، ورحمة الله بهم والتخفيف عنهم.³

* أمثلة عن النسخ في الإسلام:

1 - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث -
القاهرة، الطبعة الثالثة 1404هـ / 1984م، الجزء الثاني، ص 30. انظر أيضا: البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين
محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي (745 - 794هـ)، تحرير عمر سليمان الأشقر وآخرون، وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالكويت، دار الصفوة - الغريفة، الطبعة الأولى 1409هـ / 1988م، الجزء الرابع، ص 72.

2 - المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي - بيروت،
الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م، ص 124. انظر أيضا: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، الجزء الرابع، ص
77.

3 - البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ج 4، ص 77.

- في نسخ القرآن بالقرآن، كان الصحابة رضي الله عنهم في بدء الأمر مأمورين بترك القتال والإعراض عن المشركين. وقيل لهم: ﴿كفوا أيديكم﴾¹، ثم نسخ هذا الحكم، وأنزل الله عليهم قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾².

- وفي نسخ السنة بالسنة، لما كان الناس حديثي عهد بالإسلام، كان أهل الجاهلية إذا مات لهم قريب أظهروا من الجزع والنعي ما لا يقره عاقل. فنهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في بداية الأمر عن زيارة القبور. ثم لما تمكن الإيمان من نفوسهم رخص لهم في ذلك، لما فيه من اتعاض ودعاء للأموات، قال صلى الله عليه وسلم: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم بالآخر".³

وبذلك يثبت جواز النسخ عقلا ووقوعه سمعا، لما فيه من الحكم الربانية التي مدارها حول تحقيق مصالح العباد، خلافا لما تدعيه بعض فرق اليهود وبعض فرق المسلمين أيضا، الذين ينكرونه أو يجوزونه عقلا ويمنعون وقوعه شرعا.

المطلب الثاني: إلزام السموأل اليهود النسخ من نص كتابهم

ينقسم اليهود إلى عدة فرق وطوائف لاعتبارات كثيرة، لكنهم اختلفوا في قضية النسخ بشكل عام إلى قسمين: "قسم أبطل النسخ، والقسم الثاني أجازوه إلا أنهم قالوا لم يقع،

1 - سورة النساء الآية 76.

2 - سورة الحج الآية 37.

3 - فتح الباري باب بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، طبعة 1434هـ / 2013م، الجزء الرابع، باب زيارة القبور، ص 587.

وعمدة حجة من أبطل النسخ، أن الله عز وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه

ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا والطاعة معصية والباطل حقا والمعصية طاعة.¹

ولقد ابتدأ الحكيم السموأل المغربي كتابه بالحديث عن قضية النسخ، معتمدا أسلوب الإلزام

من أجل إثبات نسخ الإسلام للشرائع السابقة، مستثمرا معرفته العميقة بالشريعة اليهودية،

منتقيا مواضيع غاية في الدقة، صائغا لها في شكل أسئلة، متدرجا فيها من الكل إلى

الجزء، ومن الماضي إلى الحاضر.

وقد تناول في حديثه مقارنة شريعة التوراة بالشرائع التي قبلها لإثبات الزيادات التي جاء

بها موسى وبيان درجتها ونوعها كإباحة محرم وتحريم مباح، وكبيان تقديم الحكم المتأخر

على المتقدم في حال التعارض بينهما، وكاستحالة العمل بشريعة موسى لتعذر القيام

بالفرائض كما نصت عليها، وهكذا استمر الحكيم السموأل في طرح الأسئلة على

المخالفين مستدلا بأدلة من التوراة، منطلقا من نصوصها، مستعملا بعض طرق الاستدلال

عند علماء المسلمين والتي أبرزها: الاستفهام التقريري، ومجارة الخصم وموافقته على

مقدمة فاسدة لإثبات فساد نتيجتها واستحالتها، ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات

كذبه في مدعاه.²

ومن الأدلة التي ساقها السموأل للدلالة على وجود النسخ، أن النسخ موجود في التوراة

ذاتها، بل أكثر من ذلك فالتوراة جاءت ناسخة للشرائع التي سبقتها. وهذا ما بينه من

1 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الجزء الأول، ص 83.

2 - مجلة المدونة، السنة الثانية، العدد 8، رجب 1437هـ/ أبريل 2016م، ص 343.

خلال قوله: " وهذا أول ما أبتدئ به، من إلزامهم، النسخ من نص كتابهم وما تقتضيه أصولهم، فأقول لهم: هل كان قبل نزول التوراة شرع أو لا ؟. فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة؛ إذ شرع الله على نوح عليه السلام القصاص في القتل، ذلك في قوله تعالى: "شوفخ دام هأذم باذام دامو استافخ كي يصيلم ألويهم عاسا إت هاذام". وتفسيره: " سافك دم الإنسان، فليحكم بسفك دمه؛ لأن الله خلق آدم بصورة شريفة"¹. وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة؛ إذ شرع على إبراهيم عليه السلام ختان المولود في اليوم الثامن من ميلاده²، وهذه وأمثالها شرائع؛ لأن التشريع لا يخرج عن كونه: أمرا أو نهيا من الله لعباده، سواء نزل على لسان رسول، أو كتب في أسفار وألواح أو غير ذلك.³

فهنا ألزمهم بما لا شك فيه بوجود شرائع قبل نزول التوراة، وذلك ليستدرجهم إلى أن التوراة قد نسخت بعض هذه الشرائع إما بتحريم بعضها، أو إباحة محرماها.

-
- 1 - جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين: 6: "سافك دم الإنسان بالإنسان، يسفك دمه؛ لأن الله على صورته، عمل الإنسان". (طبعة البروتستانت بالقاهرة، ص 14).
 - 2 - جاء في سفر التكوين الإصحاح 17 (10-14) : "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر، 11 فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. / 12 ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. 13: يختن ختاننا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمك عهدا أبديا. 14: وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي".
 - 3 - بذل المجهود في إفحام اليهود، السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق عبد الوهاب طويلة، ص 19 - 22. انظر أيضا: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، المهدي السموأل بن يحيى المغربي (الحبر شموايل بن يهوذا بن أبوان)، تحقيق محمد عبد الله الشراقوي، ص 86.

فيقول: " فإذا أقروا بأنه قد كان شرع لهم. قلنا لهم: ما تقولون في التوراة؟ هل أنت زيادة على تلك الشرائع أو لا ؟، فإذا قالوا: لا، فقد صارت عبثاً؛ إذ لا زيادة فيها على ما تقدم، ولم تغن شيئاً. فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله. فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى. وذلك كفر على مذهبكم. وإن كانت التوراة أتت بزيادة. فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً أو لا؟. فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين: أحدهما: أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان مباحاً. وهذا بعينه هو النسخ¹. والثاني أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه. فإن قالوا إن الحكيم لا يحظر شيئاً ثم يبيحه، لأن ذلك إن جاز مثله، كان كمن أمر بشيء وضده. فالجواب: أن من أمر بشيء وضده، في زمانين مختلفين، غير مناقض بين أوامره، وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد.

1 - كان تعظيم السبت حكماً أبدياً في الشريعة الموسوية، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل. جاء في سفر التكوين الإصحاح 2: (2-3): " وفرغ الله في اليوم السابع من عمل يده الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسسه؛ لأن فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً". وجاء في سفر الخروج الإصحاح 20: (8-11): " اذكر السبت لتقدسسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزليك الذي داخل أبوابك؛ لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع؛ لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسسه". وفي الإصحاح 31: (13-17): " سبوتي تحفظونها؛ لأن علامة بيني وبينكم في أجيالكم (...) فتحفظون السبت؛ لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلاً (...) لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض. وفي اليوم السابع استراح وتنفس". فالله سبحانه وتعالى بزعمهم ضعيف، يحتاج إلى الراحة كالإنسان. فبعد أن فرغ من خلق السماوات والأرض تنفس واستراح يوم السبت؛ ولذلك حرم العمل فيه. وقد رد الله سبحانه في القرآن الكريم على زعمهم هذا فقال: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [سورة ق، الآية: 38] هذا، وقد تكرر حكم تعظيم يوم السبت وتحريم العمل فيه في مواضع أخرى كثيرة من أسفار العهد القديم، مثل: سفر الخروج (21:34) و(35:2-3)، وسفر الأحبار -اللاويين- الإصحاح 23، وسفر العدد (15:32-36)، وغيرها من الأسفار.

فإن قالوا: إن التوراة حظرت أمورا كانت مباحة من قبل، ولم تأت بإباحة محظور، والنسخ المكروه: هو إباحة المحظور، لأن من أبيع له شيء فامتتع عنه، وحظره على نفسه فليس بمخالف، وإنما المخالف: من منع من شيء فأتاه، لاستباحته المحظور.¹

فبعد أن ألزمهم نسخ التوراة لما سبقها من الشرائع، يستدل على جواز نسخ الديانات التي جاءت بعد اليهودية لها، ومنها نسخ الإسلام للديانات التي قبله. برده: "إن من أحل ما حظره الشرع، في طبقة المحرم لما أحله الشرع، (...) فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومن تقدمه على استباحته، فجاز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظورا، وأيضا فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضا في كل الأزمنة، لأن الله تعالى يكره ذلك المحظور لعينه، وإما أن لا يكرهه الله لعينه، بل ينهى عنه في بعض الأزمنة، فإن كان الله تعالى ينهى عن عمل الصناعات في يوم السبت، لعين السبت، فينبغي أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضا، (...) وإن كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه، فليس النهي عنه لعينه، (...) وإذا لزمكم أن تحريم الأعمال الصناعية، في يوم السبت، ليس بمحرم في جميع وجود أوقات السبت، فليس بممتنع أن ينسخ هذا التحريم في زمان آخر. وإذا ظهر قائم بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة، في زمن آخر، بعد فترة طويلة، فجاز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة سواء حظر مباحاتها أو أباح محظوراتها. وكيف يجوز أن يحاج

1 - بذل المجهود في إفحام اليهود، السموءل، ت طويلة، ص 25 - 26. انظر أيضا: إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، السمؤال المغربي، ت الشراوي، ص 88 - 89.

من جاء بالبينة باعتراض فيما ورد به من أمر ونهي، سواء وافق العقول البشرية أو باينها، ولا سيما أن الخصوم¹ قد طال ما تعبدوا بفرائض مباينة للعقول، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة، التي كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أوان الحج، (...). فإن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية، وإذا كانت التعبدات الشرعية غير عائدة بنفع لله، عز وجل، ولا دافعة عنه ضررا، (...) فما الذي يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشريعة، ثم ينهى أمة أخرى عنها، ويحرم محظورا على قوم، ويحلّه لأولادهم، ثم يحظره ثانيا على من يجيء من بعده؟ وكيف يجوز للمتعبدين أن يعارض الرسول في تحليله ما كان حراما على قوم؟ ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة، وأوجب العقل تصديقه وتحكيمه؟ أليس هذا تحكما؟ وضلالا وعدولا عن الحق؟²

إضافة لما قدمه السموأل من حجة على وجود النسخ، فقد سبقه ابن حزم كذلك في إيراد أدلة من التوراة على وجود النسخ والبداء الذي ينكره اليهود، فيقول: " فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان في الأرض التي أمروا بقتل أهلها حرم الله عز وجل عليهم قتلهم على لسان يوشع النبي (...) وهذا هو النسخ الذي أنكروا بلا كلفة. وفي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ، وذلك أن فيها أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى عليه السلام يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم، وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن

1 - ويقصد اليهود - حسب المحقق الشرقاوي.

2 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل المغربي، ت الشرقاوي، ص 90.

الله تعالى، لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدمه على غيره، ثم لم يفعل، فهذا هو الكذب بعينه، تعالى الله عنه.¹

وممن رد على اليهود في باب نسخ الإسلام للديانة اليهودية أيضا المهتدي عبد الحق الإسلامي السبتي (بعد 796هـ)، وقد استخدم في إثبات ذلك حساب الجمل، حيث مثل للإسلام بيوم الجمعة، بينما مثل لليهودية بيوم السبت². كما أتى بدلائل أخرى تدل على أن النسخ موجود في التوراة ذاتها، حيث أورد فصلا يذكر فيه أن موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل ألا يزيدوا في شريعته، ولا ينقصوا منها: " جميع الأمر الذي نأمركم به تحفظونه، لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منه"³، ومن الذي أمرهم به ألا يقربوا قربانا إلا في القدس، ولكنهم قربوا في سمرون (قرية السامرية)، وكان أهلها يعبدون عجول الذهب. كما أنهم يحتفلون بأعياد لا توجد في شريعة موسى ولا في التوراة، كعيد بوريم⁴.

• وجوه أخرى في إثبات النسخ بأصولهم:

لقد قدم السموأل تفاصيل كثيرة عن نسخ الأحكام الموجودة في التوراة فيما يخص أمور الطهارة والعبادات ما يؤكد اطلاعه الواسع بخبايا اليهود، إذ استطاع إفحامهم وإلزامهم بالنسخ، بما يثبت أنهم لم يحفظوا شريعة موسى عليه السلام كما يدعون، ومن الأمثلة

1 - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الجزء 1، ص 84.

2 - الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي المغربي، تحقيق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م، ص 113.

3 - سفر التثنية 12: 32.

4 - الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامي، ص من 131 إلى 136.

على ذلك قوله لليهود: " هل أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام؟ فإن قالوا: نعم. قلنا لهم: أليس في التوراة أن من مس عظما، أو وطئ قبراً، أو حضر ميتاً عند موته، فإنه يصير من النجاسة في حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة، التي كان الإمام الهاروني يحرقها؟ فلا يمكنهم مخالفة ذلك، لأنه نص ما يتداولونه. (...) فنقول لهم: فلم جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت، فهو طاهر يصلح للصلاة، وحمل المصحف، والذي في كتابكم بخلافه؟ أما إن قالوا: لأننا عدمنا أسباب الطهارة وهي: رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر. قلنا: فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله، مما تستغنون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا: نعم. قد نستغني عنه، فقد أقرروا بالنسخ لتلك الفريضة، لحال اقتضاها هذا الزمان، وإن قالوا: لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور، فقد أقرروا بأنهم الأنجاس أبدا ماداموا لا يقدرّون على سبب الطهارة. (...) وتخصيص هذا الأمر، ونجاسة الحيض¹ بطائفكم، مما ليس في التوراة، فهذا كله منكم نسخ أو تبديل.²

كما أنه ألزمهم النسخ في أقوال فقهاءهم، لما أثبت أن اختلافهم راجع لأحد الأمرين، إما نسخ أحد المذاهب للآخر، أو أن أحدهم رجع عما نقل فتسقط عدالته، ويطعن في نقله. وذلك في قوله: " فما تقولون في فقهاءكم، هل الذي اختلفوا فيه من مسائل الخلاف والمذاهب، (...) ثمرة اجتهاد واستدلال أو منقولا بعينه؟ فهم يقولون: إن جميع ما في كتب

1 - في شأن الحائض ونجاستها عند اليهود انظر: سفر اللاويين الإصحاح (15 - 19 - 24).

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 92 - 93.

فقهناء، نقله الفقهاء عن الأخبار، عن الثقات من السلف عن يهوشع بن نون¹، عن موسى الكليم، عليهما السلام، عن الله تعالى! فيلزمكم في هذا أن المسألة الواحدة، التي اختلف فيها اثنان من فقهاءكم، يكون كل واحد منهما، ينقل مذهبه فيها نقلا مسندا إلى الله عز وجل، وفي ذلك من الشناعة اللازمة لهم، أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه! وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه. فإن قالوا: (...) لأن الأولين (...) يرجعون بها إلى أصل واحد، هو المقطوع به. قلنا: إن رجوعهم بعد الاختلاف، إلى الاتفاق على مذهب واحد، إما لأن أحدهم رجح عما نقل، أو طعن في نقله، فيلزمه السقوط عن العدالة، (...) وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين، (...). وما من الفقهاء إلا من ألغى مذهبه في مسائل كثير، وهذا جنون ممن لا يقر بالنسخ، ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهادا ونظرا، بل نقلا محضا!²

إضافة إلى ما سبق بين السموأل بوضوح تام ما لحق صلواتهم من نسخ، لأنهم ضمنوها أدعية لم تكن على عهد موسى عليه السلام، بل لفقوها بعد زوال الدولة عنهم. زيادة على ما فرضوه من صيام لم يكن في شريعة آبائهم كصوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره، مع أنهم قد نهوا عن الزيادة أو النقص في التوراة، وهذا نسخ لهذا النهي. فيقول لهم: " ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ فهل هي التي فارقتكم عليها موسى، صلى الله

1 - يكتب يهوشع، ويوشع، ويشوع، وهو خادم موسى عليه السلام، واصطفاه الله نبيا بعد موسى عليه السلام، جاء في سفر يشوع، الإصحاح الأول، الفقرة الأولى وما بعدها: " وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون، خادم موسى قائلاً: " فالآن قم واعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب... إلخ" فهو الذي قادهم إلى دخول الأرض المباركة".

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 95 - 96.

عليه وسلم؟ فإن قالوا: نعم. قلنا: فهل كان موسى عليه السلام وأمته يقولون في صلواتهم، كما تقولون؟ (نقاع شوفار كادول تحيرو تيننو وسانيس لقنو حينوا وقبعنو بأحد مساء رباع كنفوت هاأرض إن نوى قد شيخا باروخ). وتفسيره: (اللهم اضرب ببوق عظيم لعقتنا واقبضنا جميعا من أقطار الأرض إلى قدسك سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل)¹. أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما تقولون في كل يوم: (أردد حكمانا كالأولين، ومشيرينا كالأبتداء، وابن يروشليم، قرية قدسك في أيامنا، وعزنا ببنائنا، سبحانك، ياباني يروشليم). أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة؟ وأما صوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره، وصوم كدليا، التي جعلتموها فرضا، هل كان موسى عليه السلام يصومها، أو أمر بها هو، أو خليفته يوشع بن نون؟ أو صوم صلب هامان²؟ هل هذه الأمور مفترضة في التوراة، أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها، في هذه الأعصار؟ فإن قالوا: فكيف يلزمننا النسخ بهذا الأمر؟ قلنا: لأن التوراة نطقت بهذه

1 - أهم ما في هذه المسألة هو الربط بين صلاة اليهود، وبين "الوعد" بالعودة إلى أورشليم. وهذا ما أكدته ما جاء في كتاب "التوراة، تاريخها وغاياتها": (إن صلاة اليهود الأكثر ترددا اليوم هي التالية: "فليتمجد ويتقدس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته ولتتحقق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بني إسرائيل، بسرعة وفي القريب العاجل، آمين). انظر: التوراة، تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل الديب، دار النفائس، بدون تاريخ، ص 43. انظر أيضا: سفر دانيال عن (نبوءة الوعد) وما يفعله يهوه بالغرباء أو الجوييم، الإصحاح 8: 19، وانظر: سفر زكريا الإصحاح 14: 12. وليس العدول والانصراف عما كان عليه موسى عليه السلام وخليفته يوشع بن نون، في الأدعية فحسب، بل وقع تغيير وتطوير في أشكال وطقوس العبادة نفسها، مما يعد نسخا ملزما لهم. (انظر: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، نفتالي فيدر، ترجمة محمد سالم الجرح، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، العدد 1، مركز الدراسات الشرقية - القاهرة، طبعة 1422هـ/ 2001م، ص 15).

2 - هامان وزير فرعون وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة غافر الآية 34.

الآية: (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً، ولا تنقصوا منه شيئاً)، وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية".¹

مما سبق يوضح الحكيم السموأل بجلاء الافتراءات التي طالت التشريع الموسوي، والتغيير والتبديل الذي لحق التوراة بيد الحاخامات (رجال الدين)، من خلال عرض بعض فضائح اليهود فيما يتعلق بأحكام الطهارة، واختلاف فقهاءهم الذين يزعمون أن أقوالهم صادر عن الله سبحانه، فأبطل ما يقولون، وألزمهم وجود النسخ والتبديل في كتبهم. كما فضح التحريف الذي طال التوراة جراء النصوص الملفقة التي يرتها اليهود في صلواتهم مما لم يكن على عهد موسى عليه السلام، وما تمت زيادته من صيام، مما يعد نسخاً ملزماً لهم. وفي إثبات النسخ في أمور العقيدة ألزمهم أن الله تعالى اختار بني ليوي على الأبنكار بعدما كانوا هم خاصته، وفي هذا يقول: " أليس عندكم أن الله اختار من بني إسرائيل الأبنكار. ليكونوا خواص في الخدمة للأقداس؟ فيقولون: بلى. فنقول لهم: أليس عندكم أيضاً أن موسى عليه السلام لما نزل من الجبل وببده الألواح، ووجد القوم عاكفين على العجل²، (...) نادى: من كان لله فليحضرنى. فانضم إليه بنو ليوي، (...) فلما خذله

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص من 96 إلى 99.

2 - يتحدث القرآن الكريم بتفصيل عن هذه الواقعة، في سورة البقرة: الآية 50، والآيتان: 91 و92. وفي سورة النساء الآية: 152. وسورة طه من الآية 85 إلى الآية 95. والقرآن يشير إلى أن عبادة العجل عند اليهود، قضية راسخة في وجدانهم وضمائرهم، وقد ظهر ذلك في تاريخ أجيالهم بعد ذلك. يقول عز وجل: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ سورة البقرة الآية: 92. كما تشهد التوراة نفسها على عبادة بني إسرائيل العجل، فيذكر سفر الملوك الأول الإصحاح 12: (25 - 33) عن يريعام ملك إسرائيل الذي أيدته إسرائيل ضد خليفة النبي سليمان: " قد عمل (يريعام) ملك إسرائيل عجلي ذهب وقال لهم: كثير علي أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل (...) ووضع واحداً في بيت إيل، والآخر في وان

البكور، ونصره أولاد ليوي، قال الله لموسى: " وإِإِقَاحِ إِثْ هَلَوِييمِ تَاحِثِ كَلِ بَخُورِ بِنِيبِيسِراييلِ ". تفسيره: " وقد أخذت الليوانيين، عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل ". وفي عقيب نزول هذه الآية أليس أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص، وأخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم؟ فهم لا يقدرّون على إنكار ذلك، وهذا يلزمهم منه القول بالبداة أو النسخ.¹

كما احتج السموأل عليهم أيضاً بنسخهم السبت بالصوم الأكبر، إذا اتفق هذا الصوم مع يوم السبت، رغم أن فريضة السبت أقدم من الصوم. وهذا يلزمهم الإقرار بالنسخ. ومن تم يلومهم على ما يحكونه عن عيسى عليه السلام، وإنكارهم لعمله يوم السبت حيث كان يطبب المرضى ويبرئهم من أسقامهم، كما أجاز لحوارييه قطع النبات وأكله يوم السبت.²

(...) وعمل يربعام عيداً وأصعد للذبح ". كما تنسب التوراة إلى نبي الله هارون عليه السلام، صناعة العجل الوثن لبني إسرائيل، فتقول في سفر الخروج الإصحاح 23: (1 - 6): " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه؟ فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم، وأتوني بها، (...) فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكة، فقالوا: هذه آلهتكم يا إسرائيل التي أصعدتكم من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال: غدا عيد للرب ". إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص: 100.

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 102.

2 - بذل المجهود في إفحام اليهود، ت طويلة، ص 31.

المبحث الثاني: إلزام اليهود نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام

إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم من القضايا الرئيسية التي اهتم بها المهتدون في جدالهم مع أهل الكتاب، ولا تجد مصنفا من مصنفاتهم إلا وتحدثوا فيه عن إثبات نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومنهم من أفرد كتابه لهذه القضية فقط كالمهتدي ابن ربن الطبري (ت 256هـ)، وسعيد بن حسن الأسكندراني (ت بعد 720هـ). فالبشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مبدأ أساسي في عقيدة المسلم، لأن القرآن العظيم ذكر في العديد من الآيات أن الرسل السابقين قد بشروا بنبوته.

وقد تحدث السموأل في كتابه "إفحام اليهود" عن النبوة من حيث ثبوتها في التوراة والبراهين الدالة على ذلك، بعد باب النسخ، ورد على اليهود المنكرين لنبوة المسيح والرسول المصطفى عليهما الصلاة والسلام بأدلة عقلية قاطعة، وألزمهم نبوتهما عليهما السلام.

وإذا كان الحكيم السموأل وغيره من المهتدين¹ قد أثبتوا وقوع نسخ التوراة بشريعة الإسلام فإن المنطق يقتضي أن يثبتوا نبوة رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يفتهم، ولم يفت الباحثين تتبعه في كتبهم، فرغم التحريف الذي طال التوراة وخصوصا ما يتعلق بورود اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيها، فإن ذلك لم يحل دون البحث

1 - مثل عبد الحق الإسلامي في كتابه: " الحسام الممدود في الرد على اليهود"، والحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي في كتابه: " الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية ".

عما يثبت نبوة خاتم الرسل، أملا في العثور على ما يمكن أن يكون قد فات المحرفين تحريفه، وهو ما كان يشكل المحور الأساس في كل كتابات المهتمين من علماء اليهود.¹

فالحكيم السموأل استدل في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأدلة بناها على مقدمات منطقية وعلى دلالات ألفاظ النصوص التوراتية وإشارات. فبدأ بطرق إثبات النبوة، وتبنى في ذلك الاستدلال بالسبر والتقسيم، فناقش طريق تواتر الخبر، وطريق شهادة الآباء، وطريق المعجزات، مستبعا الطريقتين الأخيرين لكونهما لا يصلحان للاحتجاج بهما في إثبات النبوة، وبهذا لا يبقى لليهود حجة لإثبات نبوة موسى عليه السلام سوى التواتر، ونفس التواتر موجود لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبذلك يلزمهم الإيمان بنبوتهما.²

1- إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام عن طريق التواتر

ويرد السموأل على اليهود في هذه القضية لإفحامهم وإلزامهم هذه النبوات بالحجة العقلية، ومن ثم إلزامهم الإسلام، فيقول: " لا يسع عاقلا أن يكذب نبيا ذا دعوة شائعة، وكلمة قائمة، ويصدق غيره، لأنه لم ير أحدهما، ولا شاهد معجزاته، فإذا اختص أحدهما بالتصديق والآخر بالتكذيب، فقد تعين عليه الملام والإزاء عقلا. ولنضرب لذلك مثلا: وهو أنا إذا سألنا يهوديا (...) فنقول له: بماذا عرفت نبوة موسى وصدقته؟ فإن قال إن التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته، دليل ثابت في العقل، كما قد ثبت عقلا

1 - مجلة المدونة، العدد 8 / 2016م، ص 344.

2 - مجلة المدونة ص 344.

وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنبار والأخبار. قلنا: إن هذا التواتر موجود لمحمد وعيسى عليهما السلام، كما هو موجود لموسى فيلزمك التصديق بهما. وإن قال اليهودي: إن شهادة أبي عندي بنبوة موسى، هي سبب تصديقي بنبوته. قلنا له: ولم كان أبوك عندك صادقاً في ذلك، معصوماً عن الكذب، وأنت ترى الكفار¹ أيضاً يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك؟ (...)، فإن قال: إن الذي أخذته عن أبي أصح مما أخذته الناس عن آبائهم، لزمه أن يقيم البرهان على نبوة موسى من غير تقليد لأبيه، (...). وإن زعم (...). أن آباء يرجح على آباء الناس بالصدق والمعرفة، كما تدعي اليهود في حق آبائهم، لزمه أن يأتي بالدليل على أن آباءه كان أعقل من سائر آباء الناس، وأفضل، (...). لأن من هذه صفته يجب أن يستدل على فضائله بآثاره، وقول اليهود باطل؛ بأنه ليس لهم من الآثار في العالم، ما لغيرهم مثله، بل على الحقيقة، لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة ودونوها لمن يأتي بعدهم، وجميع ما نسب إليهم من العلوم - مع ما استفادوه من علوم غيرهم - لا يضاهاها بعض الفنون الحكيمة، التي استخرجها حكماء اليونان، (...). وأما تصانيف المسلمين، فيستحيل لكثرتها أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنّفوه في أحد الفنون العلمية لسعته وكثرته. (...). فقد بطل قولهم: إن آبائهم أعقل الناس وأفضلهم وأحكمهم، (...). فإذا أقروا بتأسي آبائهم بآباء غيرهم، فقد لقنوهم الكفر، ولزمهم أن شهادة الآباء، لا تجوز أن تكون حجة في صحة

1 - يقصد غير اليهود، من النصارى والمسلمين، وهو من باب مجازاة الخصم.

الدين، فلا تبقى لهم حجة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر، وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد عليهما السلام، كوجوده لموسى، وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بنبوته، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم.¹

2- إلزامهم نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهم وسلم عن طريق المعجزات

وبعد أن استتب مؤلفنا نبوات كل من موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، من حجية التواتر الثابتة في حقهم عليهم السلام، سيثبت هذه النبوات عن طريق المعجزات الثابتة كذلك في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

وهذا قوله في هذا الباب والذي يبدأه بسؤالهم أيضا: " ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فيقولون: ولد يوسف النجار سفاحا²! كان قد عرف اسم الله الأعظم يسخر به كثيرا من الأشياء. فنقول لهم: أليس عندكم في أصح نقلكم أن موسى عليه السلام، قد أطلعه الله على الاسم المركب من اثنين وأربعين حرفا، وبه شق البحر وعمل المعجزات³؟ فلا يقدرون على إنكار ذلك. فنقول لهم: فإذا كان موسى أيضا قد عمل المعجزات بأسماء الله، فلم صدقتم بنبوته وكذبتم بنبوة عيسى؟ فيقولون: لأن الله تعالى علم موسى الأسماء،

1 - بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق الشرقاوي، ص 91 و 92.
2 - يشار إلى المسيح (عيسى بن مريم) بكلمة "يشو" العبرية، ويشار إليه في التلمود بوصفه (ابن العاهرة)، كما يشار إلى أن أباه جندي روماني حملت منه مريم العذراء سفاحا، أما كلمة (ماشيح) فإنها تشير إلى المسيح المخلص اليهودي الذي سيأتي في آخر الأيام. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة 2006م، المجلد الثاني، ص 132.
3 - جاء في سفر الخروج الإصحاح 3: (13 - 15): "... وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يَهُوه إله آبائكم (...). أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد. وهذا ذكري إلى دور فدور".

وعيسى لم يتعلمها من الوحي، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس! فنقول لهم: (...)
فبأي شيء جاز تصديق موسى؟ (...). وبأي شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه؟ فيقولون:
بما تواتر من أخبار أسلافنا! (...). نقول لهم: بماذا عرفتم نبوة موسى؟ فإن قالوا: بما
عمله من المعجزات! قلنا لهم: وهل فيكم من رأى هذه المعجزات؟ وليس هذا لعمرى طريقا
إلى تصديق النبوات لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام، باقية
من بعدهم، ليراها كل جيل فيؤمنوا بها. وليس ذلك بواجب، لأنه إذا اشتهر النبي في
عصر، وصحت نبوته (...). ووصل خبره إلى أهل عصر آخر، وجب عليهم تصديق
نبوته واتباعه لأن المتواترات والمشهورات، مما يجب قبولها في العقل، وموسى وعيسى
ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه في هذا الأمر متساوون. ولعل تواتر الشهادات بنبوة
موسى، أضعف من تواتر الشهادات بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، لأن شهادة
المسلمين والنصارى بنبوة موسى، ليست إلا بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك¹، فتصديقهم
بنبوة موسى فرع عن تصديقهم بكتابيهما. وأما معجزة القرآن فإنها، وإن كانت باقية، فتلك
فضيلة زائدة، لا يحتاج إلى كونها سبب الإيمان. فأما من أعطي ذوق الفصاحة، فإن
إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزة، لا من اعتمد على الخبر، (...). فإن قالوا:
إن نبينا يشهد له جميع الأمم، فالتواتر به أقوى. (...). قلنا: أو كان إجماع شهادات الأمم،

1 - جاء في إنجيل متى، الإصحاح 5 ما نسب إلى المسيح عليه السلام: " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل". وفي الإصحاح 23: " خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون ". كذلك دعوة القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسول أجمعين، ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة البقرة الآية 285.

صحيحا لديكم؟ فإن قالوا: نعم. قلنا: فإن الأمم الذين قبلتم شهادتهم، مجمعون على تكفيركم وتضليلكم، فيلزمكم ذلك، لأن شهادتهم عندكم مقبولة! فإن قالوا: لا نقبل شهادة أحد، لم يبق لهم تواتر إلا من طائفهم، وهي أقل الطوائف عددا فيصير تواترهم وشرعهم لذلك، أضعف الشرائع! ويلزمهم مما تقدم أن كل من أظهر معجزات، شهد بها التواتر مصدق في مقالته. ويلزمهم من ذلك، التصديق بنبوة المسيح، والمصطفى عليهما الصلاة والسلام.¹

3- إلزامهم نبوة المسيح عليه السلام بدلائل زوال ملكهم

وفي الدليل الثالث ألزم السموأل اليهود بنبوة المسيح عليه السلام بنص من التوراة يتحدث عن مجيء المسيح بعد زوال الملك من آل يهود، مدعما ذلك بشواهد تاريخية يعرفها العالم أجمع ولا يمكن إنكارها.

وفي هذا يقول: " أليس في التوراة التي في أيديكم: (لوياسور شبيط ميهودا ومحط قيومبين رغلاف). وتفسيره: (لا يزول الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح). ولا يقدر على جده! فنقول لهم: أما علمتم أنكم كنت أصحاب دولة وملك، إلى ظهور المسيح عليه السلام ثم انقضى ملككم؟؟ فإن لم يكن لكم اليوم ملك، فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل. وأيضا فإننا نقول لهم: أليس منذ بعث المسيح عليه السلام استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس، وانقضت دولتهم، وتفرق

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 103 إلى 107.

شملهم؟؟ فلا يقدرّون على جحد ذلك إلا بالبهتان، ويلزمهم على أصلهم الذي في التوراة،

أن عيسى بن مريم عليه السلام، هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه.¹

4 - إلزامهم نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهنا استعرض الحكيم السموأل الأدلة التي اتبعها لإثبات نبوة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، والتي يمكن إجمالها في كونه استعمل المنهج العقلي، والمنهج التاريخي، وحساب الجمل الذي كان له السبق في كشف طريقة التنبؤ به، ثم استنبط نبوات الأنبياء الثلاث عليهم الصلاة والسلام من ذكر ثلاثة مواضع ورد ذكرها في النص التوراتي.² الذي يقدمه دائما باللسان العبراني ثم يقوم بشرحه باللسان العربي. وهذا تفصيل ما جاء في كتابه إفحام اليهود:

أ - نكر الآيات الدالة على البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة:

حيث يقول: " إنهم لا يقدرّون على أن يجحدوا هذه الآية، من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة: (نابي أقيم لاهيم مقارب اجئهم كاموخا ايلا ويشماعون). تفسيره: (نبيا أقيم لهم، من وسط أخوتهم مثلك، به فليؤمنوا). وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم. فإن قالوا: إنه قال: من وسط إخوتهم، (...) يعني بقوله:

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 102. وقد استدلت بهذا القول على نبوة عيسى عليه السلام ابن قيم الجوزية (ت751هـ) في كتابيه: "إغاثة اللفهان في مصاديق الشيطان"، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، سلسلة مكتبة ابن القيم (7) الأردن، بدون تاريخ، ص 1106. و "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة 1422هـ/2001م، ص 130.

2 - مجلة المدونة، العدد 8 / 2016م، ص 344.

بني إسرائيل. قلنا: بلى، فقد جاء في التوراة (إخوتكم بنو العيص)، وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس وهو قوله: (أنتم عابرون في تخم إخوتكم بني العيص المقيمين في سعيير، إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم). فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل، لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا: إن هذا القول إنما أشير به إلى شموائيل، النبي عليه السلام، (...) لأنه من أولاد ليوي، يعنون: من السبط الذي كان منه موسى. قلنا لهم: فإن كنتم صادقين، فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل، (...) إنه إنما أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين، وليردكم إلى شرع التوراة. ومن هذه صفته، فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به، لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتم، فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن لموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء. وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم بالإيمان بالمصطفى صلى الله عليه وسلم واتباعه.¹

وقد استدلل بهذا الدليل من علمائنا الأجلاء من غير المهتدين، الإمام ابن القيم (ت751هـ)، والشيخ رحمت الله الهندي (ت1308هـ) الذي أكد أن يوشع وعيسى عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام لعدة اعتبارات.²

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 111.

2 - ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام ابن القيم الجوزية (ت751هـ)، قد استفاد من السؤال أيضا في هذا الباب في مناقشته اليهود، فنقل فصولا، ولخص أخرى، وأثبتها في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) إلا أنه لم يشر

ب - الإشارة إلى اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة:

لم يتطرق السموأل المغربي إلى ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة صريحا، كما فعل عبد الحق الإسلامي في كتابه " الحسام الممدود"، وإنما اكتفى بذكر اسمه عن طريق حساب الجمل، التي يعتمدها اليهود في الوقائع والأسماء بمعرفة قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب.

ذكر عبد الحق السبتي (بعد 761هـ) في مواضع عدة من كتابه أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر صراحة في التوراة، ومن هذه المواضع: ما جاء في سفر الملوك الأول (20: 6) و(22: 35) حيث يتحدث عن قصة ملك لبني إسرائيل اسمه "آخاب" كان معتقدا بدين محمد صلى الله عليه وسلم، وكان اليهود يكفرونه. فجاءه ملك الروم غازيا، فقبل هذا الملك أن يعطي ملك الروم ما لديه من ذهب وفضة وأولاد ونساء، ورفض أن يسلمه علما كان يقاتل به مكتوب فيه: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وكان يغلب في الحروب كلها، فغضب ملك الروم وصمم على قتالهم، فجاء نبي من أنبياء ذلك العصر آخاب وقال له لا تخف، توكلك على الله سبحانه وإيمانك بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ينصرك على هؤلاء، فقاتلهم آخاب وهزمهم. واشتهرت هذه الحكاية عند أهل العصر.¹

إلى الإمام السموأل إشارة صريحة، ولكنه ذكره بقوله قال بعض أكابرهم بعد إسلامه. انظر: هداية الحيارى: ص 90 -

112 - 113. انظر أيضا تفصيل هذا الأمر في: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ص 1116.

1 - الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامي، ص 60 - 61 - 62.

وفي الإشارة إلى اسمه صلى الله عليه وسلم ذكر السؤال هذا النص من التوراة فقال: " قال
الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، مخاطبا إبراهيم الخليل، عليه
السلام: (وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك، ها أنا قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جدا
جدا)¹. ذلك قوله: (وليشماعيل شمعيثا هني يبرختي أونوا وهفريثي أوثو وهز بيثي أوثو
بمادامد). فهذه الكلمة: "بمادامد" إذا عدنا حساب حروفها بالجمال²، كان: اثنين وتسعين،

وذلك عدد حساب حروف اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم، فإنه أيضا اثنان وتسعون.
وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزا، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود، أو أسقطته من
التوراة، كما عملوا في غير ذلك. فإن قالوا: إنه قد يوجد في التوراة عدد كلمات مما يكون
عدد حساب حروفه مساويا لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر، فلا يلزم من
ذلك أنهم (...)أنبياء. فالجواب: إن الأمر كما يقولون، (...) لكننا نحن نقيم البراهين
والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة. (...)، كهذه الآية، لأنها
وعد من الله لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل، وليس في التوراة آية أخرى مشتملة
على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر. ثم إنا نبين أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوي

1 - سفر التكوين الإصحاح 17: 20.

2 - طريقة معروفة في الحساب القديم، وهو قائم على أن كل حرف من حروف الأبجدية يساوي عددا معينا كالتالي:
أ=1 ، ب=2 ، ج=3 ، د=4 ، ه=5 ، و=6 ، ز=7 ، ح=8 ، ط=9 ، ي=10 ، ك=20 ، ل=30 ، م=40 ،
ن=50 ، س=60 ، ع=70 ، ف=80 ، ص=90 ، ق=100 ، ر=200 ، ش=300 ، ت=400 ، ث=500 ،
خ=600 ، ذ=700 ، ض=800 ، ظ=900 ، غ=1000 .

وبحساب الحروف هذا تكون " بمادامد" تساوي:

ب=2 + م=40 + أ=1 + د=4 = 47 ، م=40 + أ=1 + د=4 = 45 ، فيصبح مجموع هذه الحروف كالتالي:

47 + 45 = 92 وهو عدد حروف اسم: محمد . م=40 + ح=8 + م=40 + د=4 = 92 حرفا.

"بمادام" التي معناها: جدا جدا. (...) وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفا وأعظمهم قدرا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وإذا قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها، من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة، فقد بطل اعتراضهم.¹

وقد استدل بهذا النص على التبشير بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم مجموعة من العلماء المهتمين وغيرهم، منهم عبد الحق الإسلامي السبتي في كتابه "الحسام الممدود" حيث شرحه قائلا: " ودعوتك لإسماعيل مقبولة، سأبارك فيه وأكثره وأنميّه، ويخرج منه محمد عليه الصلاة والسلام. ويدل على اسم محمد صلى الله عليه وسلم، قوله: (بماد ماد) لأن عدده اثنان وتسعون ومحمد كذلك، وهذا ما يدل أنه صلى الله عليه وسلم موجود في كتبهم وهم ينكرونه²."

وقد ساق هذا النص أيضا سعيد بن حسن الأسكندراني (بعد 720هـ) للدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، ولم يشرحه بتفصيل وإنما علق عليه بقوله: " شرح العلماء المفسرون للغة العبرانية هاتين اللفظتين اللتين هما: مؤد مؤد، منهم من قال: أحمد أحمد،

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 115.

2 - الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامي، ص 85.

ومنهم من قال: جدا جدا، ومنهم من قال: عظيما عظيما، ولم يكن ظهر من نسل
إسماعيل أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم.¹

كما أورد هذا الدليل بحساب الجمل الشيخ رحمت الله الهندي (ت1308هـ) في كتابه
"إظهار الحق"، وأكد أن أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير، وصرح أن العلماء
يقرون أن من أسمائه صلى الله عليه وسلم (ماداماد).²

وممن استدل بهذا الدليل دون اعتماد أسلوب حساب الجمل، ابن القيم (ت 751هـ) في
كتابه "هداية الحيارى" مبينا اختلاف علماء أهل الكتاب في معنى "بماد ماد"، فطائفة منهم
تقول إن معناها "جدا جدا" أي "كثيرا كثيرا"، وبهذا المعنى فهو بشارة بمن عظم من نبيه
كثيرا كثيرا (أي محمد صلى الله عليه وسلم). وطائفة أخرى تقول بل هي صريح اسم
محمد بدليل أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية، كمثل قولهم لإسماعيل شماعة،
وسمعتك شمعتخا، وهكذا فإن لفظة "مود مود" أقرب شيء إلى لفظة "محمد"، ويدل على
ذلك أداة الباء في قوله: بمود مود، ولا يقال: أعظمه بجدا بجدا، بخلاف أعظمه بمحمد
صلى الله عليه وسلم.³ فهو بهذا اعتبرها مشابهة لما في العربية ولم ينسب ذلك إلى
حساب الجمل، وكذلك فعل القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة"، حيث أورد هذا الدليل

1 - مسالك النظر في نبوة سيد البشر، الأسكندراني، ص 46.

2 - إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ص 1138.

3 - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
(ت 751هـ)، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم - دمشق، دار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م،
ص 335.

مؤكدًا أن الأمم اتفقت على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا نبينا صلوات الله عليه، وباقي الأنبياء إنما كانوا من ذرية إسحاق عليه السلام. وهذا دليل مباركة الله في ذرية إسماعيل ونماء أمته.¹

فوجد أن كلمة "بماد ماد" فسرّها بعض المهتدين باستخدام حساب الجمل على أنها تدل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما اعتمد عليها الآخرون لإثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ولكن دون ربطها بحساب الجمل.

ج - ذكر الموضوع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم الصلاة والسلام

ساق السموأل في هذا الباب الدليل الذي يشير إلى ذكر الأماكن المتضمنة للنبوات الثلاث، مع توضيح للمكان الذي بعث منه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو جبل فاران الذي هو جبل مكة، وأورد هذا الدليل باللسان العبري وتفسيره باللغة العربية، فقال: "(وآماد أدوناي مسيناي إشكلي ودبهور يقايه مسيعير اثحزي لانا استخى بغبورتيه تمل طوراد فاران وعميه ربوات قديسين). تفسيره: (إن الله تعالى من سيناء تجلى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسي)². وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعبسى عليه السلام، بل في هذا الجبل كان

1 - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي (ت684هـ)، تحقيق بكر زكي عوض، نشر شركة سعيد رأفت للطباعة، الطبعة الثانية 1407هـ/1987م، ص 418.

2 - جاء في سفر التثنية 33: (1-2): "أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سيعير، وتجلى من جبل فاران، وأتى من ربي القدس".

مقام المسيح عليه السلام، ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة. وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، ما يقتضي للعقلاء، أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم. فأما الدليل الواضح من التوراة، على أن جبل فاران، هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل (...) سكن في برية فاران. ونطقت التوراة بذلك في قوله: (وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر)¹. فقد ثبت في التوراة، أن جبل فاران، مسكن لآل إسماعيل (...). فلزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل، لأنهم سكان فاران. وقد علم الناس قاطبة، أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل: محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه بعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل. (...) وأن التوراة أشارت في هذا الموضع، إلى نبوة المصطفى، صلوات الله وسلامه عليه، وبشرت به، إلا أن اليهود، لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين. بل يسلمون المقدمتين، ويجحدون النتيجة، لفرط جهلهم. وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأي! ذلك قوله تعالى: (كي بمو أو باذ عيصوث هيما وأين باهيم تبونا). تفسيره: (إنهم لشعب عادم الرأي وليس فيهم فطنة)².

ويؤكد العلماء أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن فاران مسكن لآل إسماعيل عليه السلام، والتوراة تضمنت نبوة تنزل بأرض فاران على عظيم من ولد إسماعيل، فتنشر أمته حتى

1 - جا في سفر التكوين الإصحاح 21: 21: (وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر).

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 118.

تملأ السهل والجبل، ولم يبق بعد هذا شبهة في أن هذه هي نبوة محمد ﷺ، التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل عليه السلام حتى ملأت الأرض ضياء ونورا، وملاً أتباعها السهل والجبل.¹

وقد استدل بهذا النص أيضا الإمام القرافي (684هـ) في باب البشائر بالنبى محمد ﷺ من كتب اليهود والنصارى، فعلق عليه قائلا: " فسينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، وساعير هو جبل الخليل بالشام وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد عليه الصلاة والسلام يتحنث فيه، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب، لأن عندهم أن إسماعيل وهاجر كانا بيرية فاران وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية."²

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب من تحدث عن نبوءات الكتب القديمة وبشاراتها ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من المهتدين إلى الإسلام أو من علماء المسلمين قد استدل بهذا النص التوراتي. بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) ربط بين هذا النص وبين صدر

سورة التين في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴾ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

وَهَذَا أَلْبَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾، فقال إن هذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن، فالتين

والزيتون هو الأرض المقدسة، وفيه إشارة إلى مكان بعثة عيسى عليه السلام، وطور سينين

1 - هداية الحيارى، ابن القيم، ص 93.

2 - الأجوبة الفاجرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص 422-423.

3 - سورة التين، الآيات 1 و2 و3.

فيه إشارة إلى بعثة موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين وهو مكة، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عليه السلام وأمه، فيه إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم¹.

وخلاصة القول إن التوراة أشارت بشكل واضح إلى المكان الذي بعث منه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قدم السموأل القرائن الدالة على ذلك، كما أكد الكثير من المهتمين وغيرهم من العلماء هذه الحقيقة مستندين على نفس النص التوراتي.

1 - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة (ت 728هـ)، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثانية 1419هـ / 1999م، المجلد الخامس، ص 204. انظر أيضا: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم الجوزية، ت السقا، ص 113.

المبحث الثالث: إبطال ادعائهم محبة الله إياهم

ومن الافتراءات الكبيرة التي يزعمها بنو إسرائيل، أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحبائه دون خلقه، فسعى الحكيم السموأل لإبطال هذا الإدعاء بما نصت عليه توراتهم، فقال: "هم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى، يحبهم دون جميع الناس، ويحب طائفتهم وسلالتهم، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله، إلا منهم¹. ونحن نناظرهم على ذلك. فنقول لهم: ما قولكم في أيوب النبي عليه السلام؟ أتقرون بنبوته؟ فيقولون: نعم. فنقول لهم: هل هو من بني إسرائيل؟ فيقولون: لا. فنقول لهم: ما تقولون في جمهور بني إسرائيل، أعني التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم (يربعام بن نباط)²، الذي خرج على ولد سليمان بن داود عليهما السلام وصنع لهم الكبشين من الذهب وعكف على عبادتهما جماعة بني إسرائيل³، (...). إلى أن جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف، الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان في بيت المقدس، (...). فما تقولون في أولئك القتلى بأسرهم وفي التسعة أسباط والنصف. هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون؟ فيقولون: لا، لأنهم كفار! فنقول لهم: أليس عندكم في التوراة، أنه لا فرق بين الدخيل في دينكم، وبين

1 - جاء في سفر التثنية: 2 - 14: (لأنك - إسرائيل - شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.) وجاء في سفر اللاويين 20: 24: (وقلت لكم: تراثون أنتم أرضهم (...). أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب).

2 - انظر قصته بالتفصيل في سفر الملوك الأول الإصحاح 33: (12 - 25) من طبعة البروتستانت 1970م.

3 - عبدوا الأوثان رغم أن أسفارهم قد نهتهم عن ذلك، وحذرهم ربهم على لسان أنبيائهم، من الانحياز إلى الوثنية، فقد جاء في سفر اللاويين 26: (1 - 2): " لا تصنعوا لكم أوثانا، ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا، ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأني أنا الرب إلهكم."

الصريح النسب؟ فيقولون: بلى لأن التوراة ناطقة بهذا: (إن الأجنبي والصريح النسب منكم سواء عند الله). (تورا أحات ومسقاط إحاذا بيبي لأخيم ويكبر هكار يثوخخيم). وتفسيره: (شريعة واحدة وحكم واحد، يكن لكم والغريب الساكن فيما بينكم). فإذا اضطرنناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم، ويحب المؤمنين من غير طائفهم، ويتخذ أنبياء وأولياء من غير سلالتهم، فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله سبحانه وتعالى بطائفهم من بين المخلوقين.¹

وقد نقض القرآن الكريم دعوتهم هذه وردها عليهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

وَالنَّصْرَىٰ حُنَّ أَبْتَنُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ^ج قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ^ط بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ^ج

يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ² .

1 - إفحام اليهود وقصة إسلام السمؤال، ت الشرقاوي، ص 121 - 122.

2 - سورة المائدة الآية 20.

المبحث الرابع: كفرهم وتبديلهم للتوراة

المطلب الأول: كفرهم بالمسيح عليه السلام

لقد جحد اليهود بنبوة المسيح كما جحدوا بنبوة محمد ﷺ، رغم أن التوراة صرحت باسمه وأعلنت أن زوال ملكهم سيكون بعد قدوم المسيح، ومع ذلك كابروا وعاندوا وفسروا الآيات على غير المقصود منها وحرفوا الكلم عن مواضعه، وفي هذا يقول السموأل: " إن سبيل ذوي التحصيل أن يجتنبوا الرذائل، وينفروا مما قبح في العقول السليمة، والأفهام المستقيمة، ولهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال، ما تتأى عن مثله العقول، ويخالفه المعقول والمشروع. فمن ذلك أنهم مع ذهاب دولتهم، وتفرق شملهم، وعلمهم بالغضب الممدود عليهم، يقولون في كل يوم في صلواتهم، أنهم أبناء الله وأحباؤه. ذلك قولهم كل يوم في الصلوات: (أهبان عولام أهبتانو أدوناي ألوهينوا)، تفسيره: (محبة الدهر أحببتنا يا إلهنا) و(هسيبينو أبينوا لثور أتيخا)، تفسيره: (أرددنا يا أبانا إلى شريعتك). (...)، و(أويث كل روز في باتيخا أويثي عد انيخا كولام كسامويام ايجاد ميهيم لونيثار). تفسيره: (وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك وأعداء جماعتك كلهم غطاهم البحر، واحد منهم لم يبق). ويمثلون أنفسهم "بعناقيد العنب"، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم. وهذا من قلة عقولهم، وفساد نظرهم، لأن المعتتي بمصالح الكرم، إنما يجعل على أعالي حيطانه الشوك حفظا وحيطة للكرم. ولسنا نرى لليهود، من بقية الأمم، إلا الضرر والنذل والصغار، وذلك مبطل لقولهم. وينتظرون قائما يأتيهم من آل داود النبي إذا حرك شفثيه

بالدعاء مات جميع الأمم، ولا يبقى إلا اليهود. وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به. وقد كان الأنبياء عليهم السلام، ضربوا لهم أمثالا أشاروا به إلى جلاله دين المسيح، وخضوع الجبارين لأهل ملته وإتيانه بالنسخ العظيم، فمن ذلك قول يشعيا¹ في نبوءته: (عم كيس يحدا ويرتصو سنيهيم وفارا وأذوب ترعينا وأرياكيا قار يوخل تيين). وتفسيره: (إن الذئب والكبش يرعيان جميعا، ويريضان معا، وإن البقرة والدب يرعيان جميعا، وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة)². فلم يفهموا من تلك الأمثال، إلا صورها الحسية، دون معانيها العقلية، فتولوا عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه، وأقاموا ينتظرون الأسد حتى يأكل التبن، وتصح لهم حينئذ علامة المسيح. ويعتقدون أيضا أن هذا المنتظر متى جاءهم، يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم الدولة، ويخلو العالم من سواهم³، ويحجب الموت عن جنابهم (...). المدة الطويلة.⁴

فهذا النص يبين مدى عناد اليهود أمام الحق المبين، فهم ينكرون نبوة المسيح عليه السلام رغم ثبوت الدلائل والقرائن في توراتهم، وتبشير أنبيائهم به، فقاموا بتحريف معاني

1 - إشعيا، أو يشعيا، أحد أنبياء بني إسرائيل، كما تذكر كتبهم وله سفر باسمه في العهد القديم، يتكون من ست وستين إصحاحا، تتميز بأنها إصحاحات موجزة، وفي صدر الإصحاح الأول تعريف بموضوع السفر كله.

2 - سفر إشعيا 25: 65.

3 - جاء في سفر إشعيا الإصحاح 60: " فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنى الأمم، (...) تحمل ذهباً ولينا، (...) كل غنم قيذار تجتمع إليك، (...) وبنو الغريب بينون أسوارك، وملوكهم يخدمونك، وتتفتح أبوابك، (...) ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم، لأن الأمم التي لا تخدمك تبديد، وخرابا تخرب، مجد لبندان إليك (...)."

4 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 101. وهذا الكلام استدل به ابن القيم كما هو، في كتابه "هداية الحيارى" ص 167.

الآيات الدالة على ذلك، وأوهموا أنفسهم بانتظار المسيح المنتظر الذي سيعيد لهم ملكهم ودولتهم ويجمع أشتات اليهود بفلسطين.

وقد أكد ابن كمونة اليهودي (ت 683هـ)¹، أن كتب الأنبياء جاءت بعلامات عن المسيح وما يكون في زمانه، ما لم يظهر في يشوع ولا في زمانه، مثل أنه يضرب الأرض بسوط فيه، وبريح شفثيه يميت الخاطيء، وأنه يجلس على منبر داود فيقضي بين الناس بعدل وحق، وأن الحروب ترتفع، وأن الذئب والكبش يربضان معا ويرعيان جميعا، وأن الأسد يأكل التبن كالبقر.² وهذه شهادة شاهد من أهلهم، ومع إقراره بوجود هذه العلامات إلا أنه حملها على غير لفظها ومعناها الحقيقي في إثبات نبوة المسيح عليه السلام، وطعن في أن تكون هذه الآيات دالة على نبوته.

المطلب الثاني: التجسيم

تحدث السؤال عن التجسيم ضمن فصل "ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم"، وبين أنه من مظاهر كفرهم وتحريفهم بشهادة كتبهم المقدسة أنهم ينعنون الله سبحانه وتعالى علوا كبيرا بما لا يجوز في حقه، من عجز ووهن وندم، وتجسيد لذاته جل وعلا، وقد ساق مؤلفنا عدة أدلة عن ذلك، وتفصيلها كما يلي: " فإنهم في العشر الأول من كل سنة يقولون في صلواتهم: (يا إلهنا وإله آبائنا: املك على جميع أهل الأرض، ليقول كل ذي نسمة: الله إله

1 - انظر ترجمته: تنقيح الأبحاث للملثالث، ابن كمونة، ص 112.

2 - تنقيح الأبحاث للملثالث، ابن كمونة، ص 61.

إسرائيل، قد ملك، ومملكته في الكل متسلطه). ويقولون في هذه الصلاة أيضا: (وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحدا). ويعنون بذلك: أنه لا يظهر أن الملك لله، إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته! فأما ما مادامت الدولة لغير اليهود، فإن الله خامل الذكر عن الأمم، وأنه مطعون في ملكه، مشكوك في قدرته. فهذا معنى قولهم. (...). ومما ينخرط في هذا السلك قولهم: (لأما يومي وهليوبين أنا نألوهيم). تفسيره: (لم تقول الأمم: أين إلههم؟) وقولهم: (عورا لاما ببشان أدوناي هاقيضائتا نيخا). وتفسيره: (انتبه لما تنام يا رب، استيقظ من رقدتك). وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيان والكفريات¹ من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعدا². فأوقعهم في الطيش والضجر، وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهذيان الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة! فتجروا على الله بهذه المناجاة القبيحة، (...). لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك كأنهم يخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه، وينخونه للنباهة واشتهار الصيت³. فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة، يقشعر جلده، ولا يشك في (...). أنه يؤثر في ربه ويحركه بذلك ويهزه وينحّيه. وهؤلاء على الحقيقة ينبغي أن يرحم جهلهم وضعف عقولهم. وأيضا فإن عندهم في توراتهم أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته، فأبصروا الله جهرة، وتحت رجليه كرسي، منظره كمنظر البلور. ذلك قوله: (ويراو إيث

1 - جاء في سفر نحما (1: 6): (لتكن أذنك مصغية، وعينا مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك)

2 - يقصد أثناء الأسر في بابل.

3 - فالهيم في زعمهم يحتاج إلى من يبث فيه النخوة، ويخرجه من خموله وكسله. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ألوهي إسرائيل وتاخذ رغلا وكراي لبنات هسفير وخعيصم مشاميم لا ظوهر)¹. ويزعمون أن اللوحين، مكتوبان بأصبع الله في قولهم: (بأصباع ألوهيم)². ويطول الكتاب، إذا عدنا ما عندهم من كفرات التجسيم. على أن أحبارهم قد تهبوا كثيرا عن معتقد آبائهم، بما استفادوه من توحيد المسلمين.³ وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم، مما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها. وصاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح، استتروا بالجحد والبهتان خوفا من فطيع ما يلزمهم من الشناعة. ومن ذلك أنهم ينسبون إلى الله سبحانه وتعالى الندم على ما يفعل، فمن ذلك قولهم في التوراة التي بأيديهم: (ويتناحم أذوناي كي عاشا إث هاأدام بإرض ويتعصب إن لبون).

تفسيره: (وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه)⁴. وقد أفرط المترجم في تعصبه وتحريفه للألفاظ، عن موجب اللغة، وفسر "ويناحم أذوناي" و"وثاب أذوناي

1 - جاء في سفر الخروج 24: (9 - 11): (ثم صعد موسى وهارون و (...)) ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله (...).

2 - جاء في سفر الخروج 31: 18: " ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه لוחي الشهادة، لוחي حجر مكتوبين بإصبع الله".

3 - انظر: التأثيرات الإسلامية في العبادات اليهودية، نفتالي فيدر، ترجمة محمد سالم الجرح، القاهرة 1965م، بين فيه الكاتب نماذج من الإصلاحات الدينية التي أدخلت على اليهودية على يد إسحاق بن ميمون، وابنه إبراهيم الميموني وغيرهما.

4 - جاء في سفر التكوين 6: (5 - 7): " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض (...)) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته (...). انظر أيضا ما جاء في سفر الخروج (33: 7) حيث يصفون الله تعالى بالندم في قولهم: (وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحمني غضبي عليهم، وأفنيهم، (...)) فتضرع موسى أمام الرب إله، وقال: لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك (...)) ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر، (...)) فندم الرب على الشر.

بمبمره" يعني: (وعاد الله في رأيه). وهذا التأويل وإن كان غير موافق للغة، فهو أيضا كفر، بل مناقض لما يدعونه من البداء والنسخ. وأما الدليل على أن تفسير "ويتعصب آل لبور": "وشق عليه"، فهو ما جاء في مخاطبة حواء عليها السلام: (سعيصب تليدي بانيم). تفسيره: (وبمشقة تلدين الأولاد). فقد تبين أن "العيصب" في اللسان العبراني هو المشقة. وهذه الآية عندهم في قصة قوم نوح، زعموا أن الله تعالى، لما رأى فساد قوم نوح، وأن شرهم وكفرهم قد عظما، ندم على خلق البشر وشق عليه. ولا يعلمون البله، أن من يقول بهذه المقالة، لزمه أن الله قبل أن يخلق البشر، لم يكن عالما بما سيكون من قوم نوح، وغير ذلك من النقص، تعالى الله عما يكفرون. وعندهم أيضا أن الله تعالى قال لشموائل النبي عليه السلام: (ندمت إذ وليتك (شأول) ملكا على بني إسرائيل). وفي موضع آخر من سفر شموائل: (وأذوناي نبحام كي همليخ إني شاول على يسرائيل). تفسيره: (والله ندم على تمليكه شأول على إسرائيل)¹. وأيضا فإن عندهم أن نوحا النبي عليه السلام، لما خرج من السفينة بدأ ببناء مذبح لله تعالى، وقرب عليه قربانين، ويتلو ذلك: (فاستنشق الله رائحة القطار²، فقال الله تعالى في ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس، لأن

1 - جاء في سفر صموئيل الأول 15: (10-11): " وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمت على أني قد جعلت شاول ملكا. لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي".

2 - القطار: بضم القاف ريح القدر.

خاطر البشر مطبوع على الرداءة، ولن أعاد إهلاك جميع الحيوان، كما صنعت!)¹.
ولسنا نرى أن هذه الكفريات، كانت في التوراة المنزلة على موسى، صلوات الله عليه. ولا
نقول أيضا إن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها²، بل الحق أولى ما أتبع، ونحن نذكر الآن
حقيقة سبب تبديل التوراة.³

فهذه إفتراءات في التوراة كما ساقها الحكيم السموأل، تشهد على تحريف اليهود لكتابهم
المنزل على موسى عليه السلام، وتفضح تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرع
لعباده، لئلا يلزم منه البداء، ثم يقولون إن الله ندم على ما فعل، وينسبون إليه ما لا يجوز
في حقه، وهذا هو البداء بعينه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وقد تحدث عبد الحق الإسلامي السبتي أيضا عن قضية شرك اليهود وتجسيمهم لله
تعالى، وأورد أدلة ونصوص أخرى من التوراة مختلفة عما ساقه السموأل المغربي، تدل
على ضلالهم وعلى تحريفهم لما أنزل عليهم. ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين (3):
(22): "وقال الله أصنع بني آدم كصورتنا كشبهنا"، وقد علق السبتي على هذا النص بقوله:
"وفي هذا تجسيم لا يحتاج إلى دليل، لأنهم جعلوا لله صورة وشبيها، والله تعالى منزه عن

1 - جاء في سفر التكوين 8:(20-22): "وبنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، (...) وأصعد محرقات
على المذبح. فنتسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان. (...) ولا أعود
أيضا أميت كل حي كما فعلت".

2 - لعله يقصد بقوله: أن جميع اليهود لم يغيروا، لكن الذين غيروا التوراة فئة منهم، أو أن بعض فئات اليهود لم تقبل
التحريف. عن المحقق الشرقاوي، حاشية الكتاب ص 135.

3 - إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، ت الشرقاوي، ص من 131 إلى 135. وقد استدلل بهذا الكلام أيضا ابن القيم في
كتابه "هداية الحيارى"، دون أن ينسبه إلى السموأل وإنما اكتفى بقول: (قال بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله
إلى الإسلام). انظر: هداية الحيارى، ت أحمد الحاج، ص 419-420.

النظائر والأشباه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وهذا أقرب ما عندهم من الكفر، لأنهم ربما قالوا: إن الإضافة في ذلك إضافة ملك، كقوله: هذا عمل الله، وهذا خلق الله، وفي هذا من التكلف ما لا يخفى على ذي عقل لاسيما في قولهم كشبهنا، فإن التأويل فيه بعيد جدا".¹

وقد وافق هذا التعليق ما جاء به ابن حزم في نقده لهذا النص أيضا، حيث قال: " ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول هذا عمل الله، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله، أي تصوير الله، والصفة التي انفرد بملكها وخلقها، لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبيل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولا بد ضرورة، وهذا يعلم بطلانه ببديهية العقل، إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه".²

إلا أن بعض المتكلمين المسلمين ومنهم ابن تيمية (ت 728) استدل بما في هذا النص التوراتي لتأكيد ما جاء في الحديث الشريف: «خلق الله آدم على صورته»³، وقد اتجه ابن

1 - الحسام الممدود، ت الداعوق، ص 144 - 145.

2 - الفصل، ابن حزم، ص 95.

3 - ورد هذا الحديث بصيغ أخرى، وقد أخرجه البخاري هكذا: قال رسول الله ﷺ: " خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا... "، في كتاب الاستئذان، باب السلام، حديث رقم: 6227. وكان مالك يعظم أن يحدث أحد بهذه الأحاديث، وكره التحدث بذلك مطلقا، مخافة الفتنة، كما قال ابن مسعود: ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. انظر: الفتاوى الكبرى، تقي الدين بن تيمية (ت 728)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ/1987م، المجلد السادس، ص 619 - 620. وقد أول بعض المتكلمين

تيمية بخصوص هذا الحديث وما ورد في سفر التكوين اتجاهين اثنين، فرد على النصارى أولاً، ثم على المتكلمين.

أما النصارى فقد ادعوا أن ما ورد في التوراة دليل على ألوهية عيسى عليه السلام، لقولهم من يشبه الله سوى كلمته وروحه الذي هو المسيح؟ فرد عليهم بالقول إن الفقرة تقول 'كشبهنا' وليس 'مثلنا' وأن الله ليس كمثله شيء. ثم إن الفقرة لم تخص المسيح.¹

ورد ابن تيمية على الفرق الإسلامية الذين أولوا هذا الحديث (كالجهمية)، وعلى بعض المحدثين الذين ضعفوا أحاديث "خلق آدم على صورته" كابن خزيمة²، مبيناً " أن هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك، وهو أيضاً مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب كالتوراة وغيرها. ولكن العلماء في القرن الثالث من يكره روايته ويروي بعضه، كما يكره رواية بعض الأحاديث لمن خاف نفسه ويفسد عقله أو دينه." واستشهد بحديث علي بن أبي طالب: "حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أحببون أن يكذب الله ورسوله".³

المسلمين هذا الحديث، فاعتبروا أن الضمير في "صورته" يعود إلى آدم، وهناك من اعتبر أن الضمير يعود على الله سبحانه. انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى 1426هـ، المجلد السادس، ص 360 وما بعدها.

1 - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، الجزء الثالث، ص 440 - 441.

2 - انظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ/1985م، الجزء الرابع عشر، ص 376.

3 - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ج 6، ص 374.

وبهذا يكون ابن تيمية قد استشهد بما عند أهل الكتاب ورجح صحته لأنه جاء موافقا لما ورد في الحديث النبوي، فيقول: " فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة، فإن في السفر الأول منها سنخلق بشرا على صورتنا يشبهها. وقد قدمنا أنه يجوز الاستشهاد بما عند أهل الكتاب إذا وافق ما يؤثر عن نبينا بخلاف ما لم نعلمه إلا من جهتهم، فإن هذا لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم."¹

وقد رد عبد الحق السبتي على شبهة نسبة اليهود الندم إلى الله تعالى، وأكد أن هذه النصوص الملفقة قطعت باب التأويل، وسدت المخارج، وأن اليهود ضلوا وكفروا لعنهم الله من وجهين: أحدهما أن الندم والتغيير من صفات المخلوقات، والثاني نفيهم العلم عنه سبحانه، وهو العالم بالأشياء قبل وقوعها وقبل كونها وتصويرها.²

إن هذه بعض الكفریات الموجودة في كتب اليهود وتنص عليها أسفارهم، من تجسيم، ونعت الله بنعوت لا تليق بجلاله وعظمته، مما يدل على أنها ليست من أصل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: ذكر السبب في تبديل التوراة

بين السؤال في هذا الفصل سبب تبديل بني إسرائيل للتوراة مؤكدا أن هذه التوراة التي بين أيديهم ليست التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، لأنه سلمها إلى عشيرته من أولاد

1 - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ج 6، ص 451.

2 - الحسام الممدود، ت الداعوق، ص 146.

لاوي، خوفا منه على اختلاف بني إسرائيل في تأويلها من بعده، فلم يبدي لهم منها إلا نصف سورة، وهذا كله ثابت عندهم في توراتهم، إلا أن الأئمة الهارونيين الذين كانوا يحفظون أكثر التوراة قتلوا على يد البابليين عند استيلائهم على بيت المقدس، فضاعت أغلب فصول التوراة، فقام عزرا حسب السموأل بجمع ما تبقى منها عند الكهنة ولفق هذه التوراة التي بين أيديهم الآن، وهذا قول السموأل في ذلك: "علمائهم وأخبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد منهم، أنها المنزلة على موسى البتة¹، لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته، أولاد ليوي، ودليل ذلك قول التوراة: (ويختوب موشي إثم هتورا هزوت وبيتناه ال هكوا هنيم بني ليوي). تفسيره: (وكتب موسى هذه التوراة، ودفعها إلى الأئمة بني ليوي)². وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لأن الإمامة، وخدمة القرابين وبيت المقدس، كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: "هاأزينو". فإن هذه السورة من التوراة، هي التي علمها موسى بني إسرائيل، وذلك قوله: (ويختوب موسى إني هئسيرا هزوت ويلمذاه لبني يسرايل). تفسيره: (وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل). وأيضا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة: (وهايت إلى هشيرا هزوت لعيد ببني يسرايل). وتفسيره: (وتكون لي هذه السورة، شاهدا على بني إسرائيل). وأيضا فإن الله قال

1 - انظر حقيقة ذلك بشكل مفصل في: "الملل والنحل" للشهرستاني، و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الأندلسي. و"الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة" للقرافي، و"إظهار الحق" لرحمت الله الهندي.

2 - جاء في سفر التثنية 31: (9-11): "وكتب موسى هذه التوراة، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب".

لموسى عن هذه السورة: (لأن هذه السورة لا تنسى، من أفواه أولادهم)¹. يعني أن هذه السورة، مشتملة على ذم طباعهم، وأنهم سيخالفون شرائع التوراة، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك، وتخرب ديارهم ويشتتون في البلاد. (...). ودل ذلك على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تنسى. وأيضا فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل، من التوراة، إلا هذه السورة. فأما بقية التوراة، فدفعتها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها، قتلهم (بخت نصر)² على دم واحد، يوم فتح بيت المقدس. ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين، يحفظ فصلا من التوراة. فلما رأى (عزرا)³ أن القوم قد أحرق هيكلمهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن. ولذلك، بالغوا في تعظيم "عزرا" هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره، الذي عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على

1 - جاء في سفر التثنية 31: 19: " فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلم بني إسرائيل إياه، ضعه في أفواههم ليكون لي هذا النشيد شاهدا على بني إسرائيل".

2 - قائد بابلي غزا القدس سنة 586 ق.م، وخرّب هيكل سليمان، وأسر سبعين ألفا وساقهم إلى بابل، وهم معظم يهود العالم آنذاك. انظر: إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 138. وبذل البمجهود في إفحام اليهود، ت طويلة، ص 133.

3 - كان عزرا خادما لملك الفرس، وكان حظيا عنده، فتوصل إلى بناء بيت المقدس بعد أن خربه (بخت نصر)، وكتب لليهود التوراة التي بأيديهم لذا فقد كان يسمى (بالكاتب) أو الناسخ. وهو غير (عزير) المعروف. وهو أول الكتبة ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التوراة والشريعة الشفهية، والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول ومقدرات اليهود وكان لهؤلاء الكتبة حزب منظم، هو حزب الفريسيين، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين، أي معلمو الشريعة. عن إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 151. والتوراة تاريخها وغاياتها، سهيل ديب، دار النفائس، بدون تاريخ، ص 47.

الحقيقة كتاب عزرا، وليس كتاب الله¹. وهذا يدل على أنه، أعني الذي جمع هذه الفصول، التي بأيديهم، رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية، فلذلك نسب إلى الله تعالى، صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله والإقلاع عن مثلها وغير ذلك، مما تقدم ذكره.²

وقد أقر العلماء بالأدلة الساطعة هذه الحقيقة، وكل عاقل يقطع ببراءة التوراة المنزلة على موسى عليه السلام من هذه الأكاذيب والمستحيلات، كما يبىء صلاة موسى وبني إسرائيل معه مما يدعيه اليهود اليوم في صلاتهم.³

وبعد هذا التوضيح من السؤال على أن التوراة قد تم تبديلها وتحريفها مبينا السبب في ذلك، ومبرهنا على أنها من تأليف عزرا وليست التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، انتقل إلى إعطاء أمثلة على بطلان تأويلات الحاخامات لبعض النصوص التوراتية، كما أضاف أسباب أخرى لتبديل التوراة أهمها توالي الحروب والاعتداءات على اليهود الذي كان سببا قويا في ضياع آثارهم وكتبهم، فقال: "فما يستدل به على بطلان تأويلاتهم، وإفراطهم في التعصب، وتشديد الإصر، ما ذكره في تفسير هذه الآية: (ريست بكوري إذ

1 - "إن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها عزرا الوراق، بعد فتنهم مع "بخت نصر" وقتله جموعهم وطوائفهم (...). وإتلافه ما بأيديهم من الكتب، (...). وهذه النسخة كتبها عزرا، قبل بعثة المسيح، عليه السلام، بخمس مائة وخمس وأربعين سنة". انظر: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت 478هـ)، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1398هـ/1979م، ص 31.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 135 - 141. انظر أيضا: هداية الحيارى، ابن القيم، ص 165.

3 - هداية الحيارى، ابن القيم، ص 166.

ماشخا تخا تابي ببث أدوناي ألوهيخا لو تبشيل كدي باحليب أمو). تفسيره: (بكور ثمار أرضك، تحمل إلى بيت الله ربك، لا تتضج الجدي بلبن أمه)¹. والمراد من ذلك، (...) أن يستصبحوا معهم، إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم، وأبكار مستغلات أرضهم، لأنهم قد كان فرض عليهم، قبل ذلك، أن تبقى سخولة البقرة والغنم وراء أمهاتها، سبعة أيام، ومن اليوم الثامن فصاعدا، تصلح أن تكون قربانا لله تعالى. فأشار في هذه الآية، إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث بكور أولاد الغنم والبقر وراء أمهاتهن، بل يستصبحوا أبكارهن (...) إلى بيت المقدس، ليتخذوا منها القرابين. فتوهم المشائخ البله، المترجمون لهذه الآية، أن المشرع يريد بالإنضاج هنا، إنضاج الطبخ في القدر. وهبهم صادقين في هذا التفسير، فلا يلزم من تحريم الطبخ، تحريم الأكل، إذ لو أراد المشرع تحريم الأكل، لما منعه مانع، من التصريح بذلك. (...) وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والنقلة، وكذبهم على الله تعالى وتشديد الإصر على طائفتهم. فأما الدليل على تفسير (تبشيل): الإنضاج الذي هو البلوغ، فهو قول رئيس السقاة ليوسف الصديق، وهما في السجن إذ شرح له رؤياه، فقال في جملة كلامه: (ويكيفن شلوشا ساريفيم وهي حفوراحت عالثا نصاه هبشيلو سكلوثيها غنابين). تفسيره: (وفي الكرمة ثلاثة عناقيد، وهي كأنها قد أثمرت، وصعد نوارها، ونضجت عناقيدها عنبا)². فقد تبين أن الإنضاج الذي يعبر عنه

1 - جاء في سفر التثنية 14: 21: " ... لا تطبخ جديا بلبن أمه."

2 - جاء في سفر التكوين 40: (9 - 10): "قص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له: كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي، وفي الكرمة ثلاثة قضبان، وهي إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا."

بال (هبشيلو) إنما هو البلوغ. ولا ينبغي للعاقل، أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال، واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال. فإن الدولة، إذا انقرضت عن أمة باستلاء غيرها عليها وأخذها بلادها، انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها، لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة، بتتابع الغارات والمصادمات، وإخراب البلاد، وإحراق بعضها. (...). وكلما كانت الأمة أقدم، واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والإيذاء، كان حظها من اندراس الآثار أكثر. وهذه الطائفة، بلا شك، أعظم الطوائف حظا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عهدا، ولكثرة الأمم التي استولت عليها من: الكنعانيين، والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى، والإسلام. وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد، وطلب استئصالهم، وبالغ في إحراق بلادهم وإخربها وإحراق كتبهم، إلا المسلمين. فإن الإسلام صادف اليهود تحت نمة الفرس، ولم يبق لهم مدنية، ولا جيش، إلا العرب المتهودة بخبير. فأشد على اليهود من جميع هذه الممالك، ما نالهم من ملوكهم العصاة، مثل: (أحاب) و(أحزيا) و(أمصيا) و(يهورام) و(يربعام بن نباط). وغيرهم من الملوك الإسرائيليين، الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة الأصنام لتعظيمها (...). وابتنوا لها البيع العظيمة، والهيكل، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصارا متصلة. فإذا كان هذا تواتر الآفات، على شرعهم من قبل ملوكهم، فما ظنك بالآفات المتفتنة التي تواترت عليهم، من استلاء الأمم

فيما بعد عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم إياهم من القيام بشرائعهم¹. فإن الفرس كثيرا ما منعهم عن الختانة، وعن الصلاة، لمعرفةهم أن معظم صلوات هذه الطائفة، دعاء على الأمم بالبور (...). سوى بلادهم التي هي أرض كنعان. فلما رأَت اليهود الجد من الفرس، في منعهم من الصلاة، اخترعوا أدعية، (...) وسموها (الختانة)، وصاغوا لها ألحانا عديدة، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها. والفرق بين هذه (الختانة) وبين الصلاة، أن الصلاة بغير لحن، (...) وأما الخزان، فيشاركه جماعة في الجهر بالختانة، ويعاونونه في الألحان، فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم، زعمت اليهود أنهم يغنون أحيانا، (...) فتركوهم وذلك. ومن العجب أن دولة الإسلام، لما جاءت مقرة لأهل الذمة على أديانها، وصارت الصلاة مباحة لهم، صارت (الختانة) عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح، يجعلونها عوضا عن الصلاة ويستغنون بها عنها، من غير ضرورة.²

وفي تحليل هذا النص يثبت بوضوح تحريف التوراة، وبالتالي فقدانها لربانيتها التي يدعيها اليهود، إلا أن الحكيم السموأل اختار التركيز على السبب في تبديل التوراة، معتمدا المنهج التاريخي في ردوده مستدلا على ذلك بست محطات تاريخية مهمة في تاريخ اليهود لا يمكنهم إنكارها. أولها: أن موسى عليه السلام لم يسلم التوراة إلا لبني لاوي من أبناء

1 - جاء في سفر التثنية 28: (58 - 64): "إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس (...) يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك (...) فتبتقون نفرا قليلا (...) وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم (...) ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصاها (...) وفي تلك الأمم لا تظمن (...)".

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص من 141 إلى 145.

هارون عليه السلام، وأما باقي اليهود فلم يعلمهم سوى نصف سورة، وذلك بأدلة من التوراة نفسها، وثانيها: أن الأئمة الهارونيين الذين عهد إليهم موسى عليه السلام بحفظ التوراة قتلوا على يد "بخت نصر" مع أن كل واحد منهم كان يحفظ جزءا من التوراة فقط، وثالثها: تأليف عزرا توراة جديدة معتمدا على محفوظاته ومحفوظات الكهنة الملققة، فأورد فيها من جهله صفات لا تليق بجلال الله تعالى وعظمته، ورابعها: التأويل الباطل والتعصب المؤدي إلى تبديل أحكام التوراة، وتحريم الحلال وتحليل الحرام، وخامسها: إتلاف أخبار وآثار اليهود بسبب طغيان بعض ملوك بني إسرائيل واستيلاء أمم أخرى عليهم، وسادسها: تبديل صيغة الصلاة بسبب اضطرار الفرس لليهود، وتمسكهم بها بعد ذلك رغم حرية إقامة الشعائر التي كفلها لهم الإسلام عند مجيئه.

أما عبد الحق الإسلامي فلم يورد في كتابه فصلا خاصا بالتحريف، وإنما اكتفى بإيراد إشارات إلى وجود هذا التحريف في مختلف الفصول كلما وجد ما يناقض التوراة الأصلية أو المنطق، وقد أوردها في ثمان مواقف تدور خمس منها على إخفاء النصوص، التي ورد فيها ذكر لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم أو تبديلها حتى توحى بأن النبي الخاتم سيكون منهم. ثم تحدث فيما تبقى من الإشارات عن تجسيم التوراة لله تعالى وخلوها من ذكر الجنة والنار ودعوتها إلى الوقوع في الأنبياء وإيذاء المسلمين، وكلها إشارات ودلائل على تحريف الأصل وتبديله.¹

1 - مجلة المدونة، جغرافية المذاهب الفقهية دراسة تحليلية لتاريخ المذاهب الفقهية الثمانية وأماكن انتشارها، ص 341.

المبحث الخامس: ما يعتقدونه في دين الإسلام والمسلمين

كثرت ادعاءات وافتراءات اليهود والنصارى على الرسول صلى الله عليه وسلم، فاتهموه أنه تعلم الدين من أبحارهم ورهبانهم، رغم معرفتهم الدقيقة بنشأته في مكة بعيدا عن أهل الكتاب، لأن قومه كانوا مشركين وليسوا أهل كتاب، لكن العقل يستدعي إثبات عكس ذلك بالوقائع والبراهين القاطعة، وهذا ما سعى إليه الحكيم السموأل في إبطال ادعائهم هذا، وكل ما يعتقدونه باطلا في الإسلام والمسلمين.

فيقول: "هم يزعمون أن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشرف، وعظم، وكرم، كان قد رأى أحلاما تدل على كونه صاحب دولة، وأنه سافر إلى الشام، في تجارة لخديجة رضوان الله عليها، واجتمع بأحبار اليهود، وقص عليهم أحلامه، فعلموا أنه صاحب دولة، فأصبحوه (عبد الله بن سلام¹)، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة. زعموا وأفراطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن، إلى تأليف عبد الله بن سلام، وأنه قرر في شرع النكاح أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر، ليجعل

1 - قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبد الله بن سلام، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبرا عالما، قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له - نتوقع له-، فكنت مسرًا لذلك صامت عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخير بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، (...) فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ فكبرت، فقالت لي عمتي، حين سمعت تكبيرتي: خبيك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمه هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا. انظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافيري (ت 613 أو 618هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1410هـ/1990م، الجزء الثاني، ص 158

بزعمهم أولاد المسلمين (مزمير). وهذه كلمة جمع، واحده (مزمير)، وهو اسم لولد الزنا، لأن في شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره، كان أولادهما معدودين من أولاد الزنا¹. فلما كان النسخ مما لا ينطبع فهمه في عقولهم، ذهبوا إلى أن هذا الحكم في النكاح، من موضوعات عبد الله بن سلام، قصد به أن يجعل أبناء المسلمين (مزمير) بزعمهم². ولم يكتف اليهود بما ذكره عن النبي ﷺ وعن المسلمين، بل نعتوه والقرآن الكريم بأبشع الصفات، وأقبح النعوت، وفي هذا يقول السموأل: " فأما دفعهم لإعجاز القرآن للفصحاء، فلست أعجب منه، إذ كانوا لا يعرفون من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعي، مع طول مكثهم فيما بين المسلمين. وأيضا فمن اعتراضهم على المسلمين أنهم يقولون: (كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضا). يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضا. فنقول لهم: أما تحسين جواز ذلك فقد ذكرناه في أول هذه الكلمة، وأما تعجبكم منه وتشنيعكم به، فإن كتابكم غير خال من مثله، فإن أنكروا ذلك، قلنا لهم: ما تقولون في السبت³، أيهما أقدم، افتراضها عليكم أم افتراض الصوم الأكبر؟ فيقولون: السبت أقدم. (...) والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين

1 - جاء في سفر التثنية 24: (1 - 4): "إذا أخذ رجل امرأة، وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه، (...) وكتب لها كتاب طلاق، (...) ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر، (...) وكتب لها كتاب الطلاق، (...) أو إذا مات (...) لا يقدر زوجها الأول (...) أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تتجست، لأن ذلك رجس لدى الرب."

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 146.

3 - لقد جاء ذكر السبت في عدة مواضع، في العهد القديم، منها ما جاء في سفر الخروج 35: (1 - 3): (ستة أيام يعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب، كل من يعمل فيه عملا يقتل، لا تشعلوا نارا في جميع مساكنكم يوم السبت).

ومخالفتهم وعبادتهم العجل ولما رفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك، في هذا اليوم، فرض عليهم صومه وتعظيمه. (...) قلنا لهم: ما تقولون في يوم السبت، هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة وتحريم المشقات أم لا؟ فيقولون: بلى. فنقول لهم: فلم فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت، (...) ولكم في ذلك الصوم أنواع من المشقة، منها القيام جميع النهار؟ أليس هذا أيضا قد نسخ فريضة السبت؟. وأما رسول الله ﷺ، وشرف وكرم وعظم، فله فيما بينهم اسمان فقط. فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين: أحدهما (فاسول) وتفسيره: الساقط، والثاني (موشكاع) وتأويله: المجنون. وأما القرآن العظيم، فإنه يسمى فيما بينهم (قالون) وهو اسم للسوءة بلسانهم، يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوءتهم. وبذلك وأمثاله صاروا أشد الناس عداوة للذين آمنوا. فكيف لا يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون؟." 1

فالحكيم السموأل هنا رد على اليهود مزاعم، من طعنهم في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وزعمهم بأن القرآن من تأليف عبد الله بن سلام، مفندا إياها بالعقل وبما يشهد على صحته الواقع، واعتبرها مجرد ادعاءات لا دليل لهم عليها. وإنما أراد بها فضح عقيدتهم في الإسلام والمسلمين، ما يستوجب عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وفي رده على شبهات القسيسيين والرهبان في القرآن الكريم يقول رحمت الله الهندي إنه مملوء من أوله إلى آخره بذكر الأمور التي تثبت أنه كلام الله ومعجزة نبيه، منها: اشتماله

1 - بذل المجهود في إفحام اليهود، ت طويلة، ص 159. انظر أيضا: إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 155.

على الصفات الكاملة الإلهية، وتنزيه الله عن المعائب والنقائص، ودعوته للتوحيد الخالص
ونبذ الشرك، ذكر الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم عن عبادة الأوثان، حقبة القيامة وذكر
الجنة والنار، إلى غير ذلك من الأمور. في حين أنها غائبة عن كتبهم المزيفة والمحرفة
بشهادة علمائهم وأحبارهم، الذين لم يجدوا ملجأ غير الإقرار بذلك.¹

1 - إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ص 833 و437.

المبحث السادس: افتراءات اليهود على أنبيائهم

لفق اليهود افتراءات كثيرة لأنبيائهم، مما لا يليق بأخلاقهم عليه السلام، ولا بكونهم مرسلين من الله عز وجل، فاتهموهم بالزنى وشرب الخمر والكذب، وغيرها مما قبح من الصفات، فيحكي عنهم السموأل وهو متعجبا من قولهم قائلًا: " ثم أكثر العجب منهم، أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام (ممزير) من وجهين، وجعلوا منتظرهم (ممزير) من وجهين. وذلك أنهم لا يشكون في أن داود بن بشاي بن عابد، وأبو هذا: عابد يقال له (بوعز) من سبط يهوذا، وأمه يقال لها (روث المؤابية) من بني مؤاب، ومؤاب هذا منسوب عندهم في نص التوراة في هذه القصة. وهي أنه لما أهلك الله تعالى أمة لوط لفسادها، ونجا بابنتيه فقط، خالتا ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن تستبقيان منه نسلا. فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا لشيخ، وإنسان لم يبق في الأرض ليأتينا كسبيل البشر، فهلمى نسقي أبانا خمرًا، ونضاجعه، لنستبقي من أبينا نسلا. ففعلتا ذلك، بزعمهم لعنهم الله. وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر، ولم يعرف ابنتيه، ثم وطأهما فأحبلهما، وهو لا يعرفهما. فولدت إحداهما ولدا سمته (مؤاب)، تعني: أنه من الأب، والثانية سمت ولدها (بن عمي)، تعني: أنه من قبيلتها. وذلك الولدان عند اليهود (ممزيريم) ضرورة، (...). ولزمهم ذلك؛ لأن عندهم أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما خاف في ذلك العصر

من أن يقتله المصريون بسبب زوجته، أخفى نكاحها، وقال: هي أختي¹، (...) وهذا دليل أن حظر نكاح الأخت، كان في ذلك الزمان مشروعاً، فما ظنك بنكاح البنت. الذي لم يجز، ولا في زمن آدم عليه السلام. وهذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي²، (...) فلن يقدروا على جدها. فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط: ممزريم (...). وإذا كانت (روث) من ولد مؤاب، وهي جدة داود عليه السلام وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوها جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه. وأيضا فمن أفحش المحال، أن يكون

-
- 1 - جاء في سفر التكوين 12: (10 - 16): " وحدث جوع في الأرض، فأنحدر أبرام - إبراهيم - إلى مصر (...). وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، (...) قللي: إنك أختي ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك". (ترجمة البروتستانت ص 29).
- 2 - وردت هذه القصة في سفر التكوين: الإصحاح 19: (30 - 38): " وصعد لوط من صوعر، وسكن في الجبل وابنتاه معه، (...) فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض من رجل كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا، ونضطجعه، فنحبي من أبينا نسلا، فسقاتا أباهما خمرا، في تلك الليلة، ودخلت البكر، واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، (...) فسقتا أباهما خمرا، (...) وقامت الصغيرة واضطجعت معه، (...) فحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعته مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي؛ وهو أبو بني عمون إلى اليوم".
- ولا يكاد يفلت نبي من افتراءات وبهتان بني إسرائيل، حتى كبار أنبيائهم: فهذا نبي الله نوح عليه السلام يصورونه سكيلا عريدا، يتعري داخل خبائه، حتى يرى عورته أصغر أبنائه فيسخر منه مع إخوانه. سفر التكوين الإصحاح 9.
- وهذا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، يصورونه رجلا ماديا شرها نهما، لا هم له إلا جمع المال، حتى أنه ليتاجر بزوجه الحسنة، عند الملوك ليأكل ويربح. وهذا ما ورد في الإصحاح 19 و20 من سفر التكوين أيضا.
- وفي الإصحاح 27 من نفس السفر، دنسوا صورة أبيهم يعقوب فصوروه سارق نبوة من أخيه، ومستحلا استغفال أبيه.
- أما في سفر صاموئيل الثاني الإصحاح 11: فيرمون داود عليه السلام بالزنى مع امرأة واحد من جنوده المجاهدين، ثميقصون - بهتانا - وكيف احتال داود على الجندي من أجل أن يضاجع زوجته؛ حتى ينسب إليه الحمل، ولما أبى الجندي أن يذهب إلى بيته، تأمر عليه داود ليستر جريمته، بجريمة قتل المجاهد، ثم يعاقب الله تعالى داود - فيما يزعمون - فيسلط عليه ابنه (أبشالوم) فينزع منه ملكه، وقبل هذا كان (أبشالوم) قد قتل أخاه (أمون بن داود) لأنه زنى (بثامار) شقيقة (أبشالوم). وفي سفر الملوك الأول الإصحاح 11: جعلوا سليمان عليه السلام - بزعمهم - ابن هذه المرأة التي زنى بها داود، وقتل زوجها، ثم تزوجها من بعد. وهو الذي أمالت نساؤه الأجنبية قلبه وراء آلهة أخرى.
- وهكذا رأهم في باقي أنبياء الله، كما أنهم ينسبون هذه الافتراءات إلى وحي الله، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

شيخ كبير (...). سكر سكرًا حال بينه وبين معرفة ابنتيه، فضاجعته إحداهما (...). وهو لا يشعر، قاتلهم الله أنى يؤفكون. نطق كتابهم في قوله: (ولو ياذع بشخبا وبقوماه). تفسيره: (ولم يشعر باضطجاعها ولا بقيامها). وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحبل؛ لأنه من المحال أن تهلق المرأة من شيخ طاعن في السن، قد غاب حسه لفرط سكره. ومما يؤكد استحالة ذلك، أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به، في الليلة الثانية، (...). وهذا ممتع من المشائخ الكبار (...). إلا أن العداوة التي مازالت بين "بني عمون ومؤاب" وبين "بني إسرائيل"، بعثت واضع هذا الفصل على تفتيق هذا المحال، ليكون أعظم الأخبار فحشا في حق بني عمون ومؤاب¹!. وأيضا فإن عندهم، أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولي طالوت، (...). ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان عزرا خادما لملك الفرس، حظيا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم. فلما كان هارونيا، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود: أحدهما: (قصة بنات لوط)، والآخر: قصة (ثامار). ولقد بلغ - لعمري - غرضه، فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس، (...). كان ملوكهم هارونيين. وعزرا هذا

1 - جاء في سفر العدد الإصحاحات 20، 21، 22، 23، أن العمونيين والمؤابيين منعوا بني إسرائيل من المرور بأراضيهم عند خروجهم من مصر، ورفضوا تزويدهم بالماء الطعام، بل استعدوا عليهم بلعام بن بعور، وأغروه بالفضة إن حاربهم، لكنه لم يفعل. كما جاء في سفر التثنية 23: (2 - 4): "لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر (...). لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر (...). من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر (...). فكيف إذا دخل داود وسليمان وعيسى في جماعة الرب؟"

ليس هو (العزير)، كما يظن، لأن العزير هو تعريب (العازار)¹. فأما عزرا، فإنه إذا عرب لم يتغير عن حاله، (...) ولأن عزرا عندهم ليس بنبي، وإنما يسمونه (عزرا هوفير)، وتفسيره: (الناسخ). وأيضا فإن عندهم في التوراة (...) أن يهوذا بن يعقوب النبي عليهما السلام، زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها (ثامار)، وكان يأتيها مستديرا، فغضب الله من فعلته فأماته، فزوجها من ولده الآخر فكان إذا دخل بها أمني على الأرض علما منه بأنه إن أولدها، كان أول الأولاد مدعوا باسم أخيه، (...) فأماته أيضا. فأمرها يهوذا باللاحق بأهلها إلى أن يكبر (شילה) ولده ويتم عقله، (...) فأقامت في بيت أبيها. فماتت من بعد زوجة يهوذا، وأصعد إلى منزل يقال له (ثمناث)، ليجز غنمه، فلما أخبرت (ثامار) (...)، لبست زي الزواني وجلست (...) فلما مر بها، خالها زانية فراودها، فطالبته بالأجرة، فوعدها بجدي، ورهن عندها عصاه وخاتمه، ودخل بها فعلمت منه (بفارص وزارح)²، ومن نسل فارص هذا كان (بوعز) المتزوج (بروث) التي من نسل مؤاب، ومن ولدها كان

1 - (العازار) اسم تكرر كثيرا في العهد القديم، منهم: ابن هارون النبي عليه السلام وهو كاهن إسرائيلي، يقوم على خدمة الرب وحراسة خيمة الاجتماع. انظر سفر العدد الإصحاح 3. وسفر اللاويين الإصحاح 10: 12 وما بعدها.

2 - جاء في سفر التكوين الإصحاح 38: (6 - 30) تفاصيل هذه القصة: " وأخذ يهوذا زوجة لغير بكره، اسمها ثامار. وكان غير شرير في عيني الرب، فأماته الرب. فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك، (...) وأقم نسلا لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض (...). فقيح في عين الرب ما فعله، فأماته أيضا. فقال يهوذا لثامار كئنته: اقعدني أرملة في بيت أبيك حتى يكبر (شيلة) ابني. ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. (...) فصعد إلى جزار غنمه، (...) فأخبرت ثامار (...) وجلست في مدخل عينايم، (...) فنظرها يهوذا وحسبها زانية (...) فقالت هل تعطيني رهنا (...) خاتمك وعصابتك وعصاك (...) فحبلت منه. (...) أخبر يهوذا، وقيل له: قد زنت ثامار كنتك، وهاهي حبلتي (...) فقال أخرجوها فتحرق. (...) وفي وقت ولادتها، إذا في بطنها توأمان. (...) فقالت -القبالة-: فدعي اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه (...) اسمه زارح". وفارص هذا جد كل من داود وسليمان والمسيح عليهم السلام، انظر سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح 2: (1 - 15).

داود النبي عليه السلام. وأيضا ففي هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ، وهي أن يهوذا، لما أخبر بأن كنته قد علقت من الزنا، أفتى بإحراقها. فبعثت إليه بخاتمه وعصاه. وقالت: (من رب هذين أنا حامل). فقال: (صدقت مني ذلك). واعتذر بأنه لم يعرفها ولم يعاودها. وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان، كانت مقتضية إحراق الزواني، وأن التوراة أتت بنسخ ذلك وأوجبت الرجم عليهن. وفيها أيضا، من نسبتهم الزناء والكفر إلى بيت النبوة، ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النبي عليه السلام. وهذا كله عندهم في نص كتابهم، وهم يجعلون هذا نسبا لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر. ثم يرون المسلمين أحق بهذا اللقب من منتظرهم. وكذبهم في هذا القول من أظهر الأمور وأبينها.¹

وبذلك استحقوا لعنة الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾². وقوله سبحانه: ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾³. وقال عز وجل أيضا: ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطغوت﴾⁴.

طعن السؤال فيما يفتريه اليهود على الأنبياء عليهم السلام، لاستحالة وقوعه عقلا ورده عليهم. وبين أن سبب طعن بعضهم في نسب بعض العداوة الحاصلة بين الأسباط. كما

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص من 147 إلى 155.

2 - سورة النساء الآية 51.

3 - سورة النساء الآية 45.

4 - سورة المائدة الآية 62.

استنكر عليهم أن يكون هذا من كلام الله أو ينسب إليه بنسبته إلى الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، فأوجب عليهم لعنة الله. كما استنبط من هذه القصص الملفقة حقيقة وجود النسخ في شريعتهم، كتحريم نكاح الأخت، وتبديلهم لعقوبة الزنى من الحرق إلى الرجم.

ورد عبد الحق الإسلامي على طعونهم في الإسلام والمسلمين، وعلى اتهامهم لأنبياء الله تعالى عليهم السلام بالفحشاء باطلا، مبينا أن ذلك مجرد ادعاء وافتراء على الله ورسله عليهم السلام، وأن ما يستدلون به من نصوص إنما هو من التحريف الذي طال التوراة، فلزمهم الذل والصغار، واللعنة والامتهان.¹ ويقول رادا على وقوعهم في أنبياء الله: " فانظر إلى هذه الأقوال الشنيعة المفتريات، التي لا تليق إلا بالكفرة أمثالهم، والعجب كل العجب أنه ما منهم من أحد إلا وهو ينزه نفسه عن الوقوع في مثل هذا، وهو جدير به، فكيف ينسبه لنبي من أنبياء الله تعالى".²

واستدل بهذه القصص الملفقة في حق أنبياء الله عليهم السلام مستكرها ومنتقدا لها، الشيخ رحمت الله الهندي ردا منه على ما يتهم به اليهود والنصارى النبي صلى الله عليه وسلم.³ وبذلك فأسفارهم تنسب لأنبيائهم أو من يسمونهم بأباء بني إسرائيل، دون ما خجل، أعمالا

1 - الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامي، ت الداعوق، ص 175 إلى 185.

2 - الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامي، ت الداعوق، ص 179.

3 - إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ص 1214 وما بعدها.

قبيحة تتنافى مع وضهم الديني والاجتماعي، بل تتعارض مع الأخلاق الكريمة التي ينبغي للأنبياء الاتصاف بها، ولا يمكن صدورها إلا من سفلة الناس.¹

وبذلك يجمع العلماء على فساد عقيدتهم في أنبياء الله تعالى، بل أكثر من ذلك فهم قتلة الأنبياء بشهادة كتبهم، والأنجيل، والقرآن الكريم، فقد جاء في إنجيل متى 23: (29 - 31):
"فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء"، وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَبِمَا

نَقَضْتَهُمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتَهُمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتَلْتَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾².

1 - اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة، ص 70.

2 - سورة النساء الآية 155.

المبحث السابع: بيان بعض فضائح اليهود وسبب تشديدهم الإصر على أنفسهم

المطلب الأول: ذكر بعض فضائح اليهود

بعد أن أثبت السموأل تحريف اليهود للتوراة وتبديلها، بأدلة عقلية ونقلية من نصوص كتبهم، ساق هنا بعض فضائحهم التي خطها واضعو هذه التوراة، وبقيت شاهدة على كذبهم على الله وبهتانهم، رغم ما قام به علماءهم من تصحيح وتنقيح لأسفارهم.

فيقول: " ومن الفضائح التي عندهم مذهبهم في قصة (اليتامى والحالوص). وذلك أنهم أمروا أنه إذا أقام أخوان في موضع واحد، ومات أحدهما، ولم يعقب ولدا، فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي، بل ولد حميها ينكحها، وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج. فإن أبى أن ينكحها، خرجت مشتكية منه إلى مشيخة قومها (...) فيحضره الحاكم هناك، ويكلفه أن يقف، ويقول: (لوجافا صتي لفتخاه). تفسيره: (ما أردت نكاحها). فتنناول المرأة نعله، (...) وتمسكها بيدها وتبصق في وجهه، وتنادي عليه: (كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه)، ويدعى فيما بعد، اسمه بالمخلوع النعل، (...) هذا كله مفترض في التوراة عليهم. وفيه حكمة ملجئة للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج، (...) فذلك مما يحمله على نكاحها. (...) فإن لم يخجله ذلك، فربما يستحيي من انتهاك العرض، بخلع نعله، وكون المرأة تشيل نعله، وتبصق في وجهه، (...) فيلجئه ذلك إلى نكاحها. فإن كان من الزهد فيها، (...) فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك، وليس في التوراة غير ذلك. ففرع فقهاؤهم على ذلك، ما فيه خزيهم وفضيحتهم، وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخي

زوجها المتوفي، أكرهوه على النزول عنها، ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم الحاخاميم، ولقنوها أن تقول: (مباين يباين لها قيم لا حو شيم ببسرايل لوا ابا يبيمي). تفسيره: (أبي ابن حميي أن يقيم لأخيه اسما في إسرائيل ولم يرد نكاحي)، فيلزمونها بالكذب عليه لأنه أراد فمنعته (...)، ويحضرونه ويأمرونه أن يقوم، ويقول: (ما أردت نكاحها). (...). فيأمرونه بأن يكذب. وأما إخراجها به، وبصقها في وجهه، فغاية التعدي، لأنه ما كفاهم بأن يكذبوا عليه، وألزموه بأن يكذب، حتى ألزموه عقابا على ذنب لم يجنه. فصاروا كما قال الشاعر: وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه العقاب.¹

وبعد هذا النص الفاضح لأحكامهم في تنظيم العلاقات الزوجية، ينتقل السؤال إلى موضوع فقهي آخر، يتعلق بفقهاء الذبائح ليبين ما زادوه على أحكام التوراة مما ليس فيها، وإنما هو من ابتداع أحبارهم وحاخاماتهم.

وهذا تفصيل قوله: " وكان أئمتهم قد حرموا عليهم - في هذين الكتابين² - مؤاكلة الأجانب، أعني من كان على غير ملتهم، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباجة من لم يكن على دينهم، لأنهم - أعني علماءهم وأئمتهم - علموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة³، مع كونهم تحت الذل والعبودية، إلا إن صدُّهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم؛ وحرموا عليهم مناكحتهم، والأكل من ذبائحهم. (...) وهم يكذبون بها على الله

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 158 - 159 - 160.

2 - التلمود والمشنا.

3 - وفي تحقيق طويلة، (في هذه الحالة)، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص 188.

تعالى. لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم، لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى. وحرّم عليهم أيضا، أكل ذبائح الأمم الذين يذبحون قربانا للأصنام؛ (...) فأما الذبائح التي لم تذبح قربانا، فلم تنطق التوراة بتحريمها، (...) وفي قول الله تعالى لموسى حين اجتازوا على أرض بني العيص: (لوثنكار وبام كي لو ابنتين ثخاميا رحمام عاذ بذراح كف راغل). تفسيره: (لا تتحرشوا بهم، فإني لا أعطيك من أرضهم ولا مسلك قدم). و(مأكولا تماروا منهم بفضة وتأكلوه، وأيضا ماء تشتروا منهم بفضة وتشربوا)¹. فقد تبين من نص التوراة، أن المأكل مباح لليهود تناوله من يد غيرهم من الأمم وأكله (...). فلا يكون المسلمون، على كل حال، بدون هذه المنزلة (...). فينبغي لهم أن يأكلوا من مأكولات المسلمين وأن يجعلوا لهم تفضيلا بتوحيدهم وإيمانهم، (...) فموسى عليه السلام، إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام، وأكل ما يذبحونه بأسمائها. (...) فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسلمين؟ بل ما بال من سكن بالشام وبلد العجم منهم، لا يأكلون من أيدي المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز وغير ذلك من المأكولات؟ فإن قالوا: (لأن التوراة حرمت علينا الطريفا). قلنا لهم: إن الطريفا هي الفريسة، التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيره من السباع، ودليل ذلك، قول التوراة: (وباساد بساذي طريفا لوثو حانو لمكيلب تشيلخووثو). تفسيره: (ولحما في الصحراء فريسة

1 - جاء في سفر التثنية 2: (4 - 6): " أنتم مارون بتخم إختكم بني عيسو الساكنين في سعيير (...). لا تهجموا عليهم لأنني لا أعطيك من أرضهم ولا وطأة قدم. لأنني لعيسو قد أعطيت جبل سعييرميراثا. طعاما تشترون منهم بالفضة لتأكلوا، وماء أيضا تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا."

لا تأكلوا، للكلب ألقوه). فلما نظر أئمتهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم، إلا عباد الأصنام، (...) اختلقوا كتابا سموه (علم الذباجة)، (...). وذلك أنهم أمرهم أن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواء (...) فإن خرج منها الهواء حرموه، و (...) فإن وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو (...) حرموه ولم يأكلوه وسموه (طريفا) ويعنون بذلك أنه نجس. وهذه التسمية، هي أول التعدي منهم، لأن ليس موضوعها في اللغة إلا المفترس، الذي يفترسه بعض الوحوش. ودليل ذلك قول يعقوب، لما جاؤوه بقميص يوسف ملوثا بالدم: (ويكبراه ويومر كثوث بني حيارعا احالا ثهوطاروف طوارف يوسف). تفسيره: (فتأملها، وقال: دراعة ابني وحشي رديء أكله، افتراسا افترس يوسف)¹. فقد تبين أن تفسير: (طروف طوارف يوسف) افتراسا افترس يوسف. فالطريفا هي الفريسة. ودليل آخر أنه قال: (ولحما في الصحراء فريسة لا تاكلوا). (...). فإن هذا النهي، عن أكل الفريسة، إنما ترك على قوم (...) مكثوا يترددون في التيه والبراري تمام أربعين سنة²، (...) لا يجدون طعاما إلا المن، فلما اشتد قَرْمُهُم إلى اللحم، جاءهم موسى بالسلوى، وهو طائر صغير يشبه السمانيّ. وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ويذهب بالخنزوانة³ والقساوة⁴. (...). بحيث لم يمنعهم من أكل الفريسة والميتة، إلا نزول تحريمها في التوراة.

1 - جاء في سفر التكوين 37: 33: "فتحققه وقال: قميص ابني، وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراسا".

2 - جاء في سفر العدد 32: 13: "فحمي غضب الرب على إسرائيل، وأتاهم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب".

3 - خنزوانة، من خنز، أي أنتن، والخنزوة والخنزوانة والخنزوانية: الكبر. انظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة: خنز).

4 - وقد بين الله شدة قساوة قلوبهم في كتابه الكريم، في سورة البقرة الآيات: 73 و 87. وفي سورة المائدة الآية 14.

فقد تبين التعدي من مشائخهم في تفسير الطريفا، وأنه الفريسة. فأما فقهاؤهم، فإنهم اختلقوا من أنفسهم هذيانا وخرافات تتعلق بالرئة والقلب. (...) وقالوا معنى قول التوراة: (ولحما فريسة في الصحراء، لا تأكلوا، للكلب ألقوه). (إذا ذبحتم ذبيحتكم، ولم تجدوا فيها هذه الشروط، فلا تأكلوها، بل تبيعوها على من ليس من أهل ملتكم)؛ وذلك أنهم فسروا قوله: (للكلب ألقوه) أي: لمن ليس على ملتكم أطعموه وبيعوه. ألا إنهم بالحقيقة أشبه بالكلاب، وأحق بهذا اللقب والتشبيه، لقبح عقولهم وسوء ظنونهم واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم¹.²

إذن فالحكيم السؤال في هذا الفصل، استعرض فضائح اليهود فيما يتعلق ببعض الأحكام المرتبطة بالأسرة حيث أوجد لهم فقهاؤهم مخرجا مخزيا. وقانون الذباجة الذي حرموا به كثيرا مما أحل الله عليهم، منها تحريمهم ذبائح غير اليهود على اليهود مما جعلهم يعيشون في عزلة عن غيرهم من الأمم، لما لهم من موقف معاد لجميع الأمم وخاصة المسلمين، فهم أشد الناس عداوة وبغضا لهم.

1 - شريعة اليهود التي كتبها فقهاؤهم تبين مفهوم الآخر في الفكر اليهودي، الذي يركز على الحقد الأبدي في نفوسهم ضد الغريباء (جوييم). جاء في سفر الخروج الإصحاح 33: 27 وما بعدها: (وأرسل هييتي أمامك، وأكسر جميع الجوييم الذين تصير إليهم، وأجعل جميع أعدائك بين يديك، مدبرين، وأبعث الزنابير أمامك فتطرد الحويين والكنعانيين، والحيثيين، ...) وأجعل تخمك من بحر الكلام إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر، فإني أسلم أيديك سكان الأرض، فتطردهم من أمام وجهك، لا تقطع لهم، ولا لآلهتهم عهدا، ولا يقيموا في أرضك). وفي سفر التثنية الإصحاح 7: 1: (وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها، واستأصل أمما كثيرة من أمام وجهك، وأسلمهم الرب إلهك بين يديك، وضريتهم، فأبسلهم: بسالا لا تقطع معهم عهدا، ولا تأخذك بهم رافة.). وجاء في نفس السفر الإصحاح 7: 16: (وتقترس جميع الجوييم الذين يدفعهم إليك الرب إلهك، فلا تشفق عينك عليهم).

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 162 وما بعدها.

المطلب الثاني: ذكر السبب في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم

وفي بيان السبب في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم، وتضييق معيشتهم عليهم، تطرق السموأل إلى عدد فرق اليهود من حيث قبولهم للتلمود الذي اشتمل على أحكام لم ترد في توراتهم كانت سببا في انغلاقهم على أنفسهم، وكن العداوة لغيرهم من الأمم، وساق سببين رئيسيين لهذا التشديد، فقال: " تشديدهم الإصر على أنفسهم له سببان: أحدهما: من جانب فقهاءهم، وهم الذين يدعون الحاخاميم، وتفسير هذه اللفظة: الحكماء. وكانت لهم في الشام والمدائن مدارس، وكان لهم ألوف من الفقهاء، وذلك في زمان دولة النبط البابليين، والفرس، ودولة اليونان، ودولة الروم، حتى اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما وهما: (المشنا والتلمود). فأما المشنا فهو الكتاب الأصغر، وحجمه نحو ثمانمائة ورقة. وأما التلمود، فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرتة، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه، في عصر واحد، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل¹. فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف (...) وأن في هذه الزيادات المتأخرة، ما يناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلط الظاهر، والمتناقض الفاحش (...). فوقف على ذلك المقدار (...). ثم إن اليهود فرقتان:

1 - ويلاحظ أن التلمود قد ألف في ظل أربعة عصور تاريخية كبرى: 1- عصر النبط البابليين الذين أسروا اليهود ودمروا هيكلهم، وبدأت كتابة فقهم هناك أثناء الأسر. 2- ودولة الفرس. 3- ودولة اليونان الإغريق. 4- ودولة الرومان. ومن هنا نشأ تلمود أورشليم، وهو يتكون من مشناه مع شرحه، جمارا أورشليم، وهو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين (بالأخص علماء طبرية)، لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخه إلى 400م. وتلمود بابل يتكون من مشناه وجمارا بابل، الذي هو سجل للمناقشات حول تعاليم المشناه لحاخامات بابل وجمع 500م تقريبا. انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية 1972م، ص 11 - 12.

إحداها: عرفت أن أولئك السلف الذين ألفوا المشنا والتلمود، (...) قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السلام، أصحاب حماقات ورقاعات هائلة. من ذلك، أن أكثر مسائل فقهم ومذهبهم يختلفون فيها، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل، يوحى الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم يقول: (الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان)، وهم يسمون هذا الصوت: (بث قول). فلما نظر اليهود (القراؤون)¹ وهم أصحاب عانان بن داود وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة، وإلى هذا الافتراء الفاحش، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، (...) وكذبوهم في كل ما افتروا على الله، وقالوا: (...) فقد فسقوا، ولا يجوز قبول شيء منهم. فخالفهم في سائر ما أضلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة. (...) وأما الترهات التي ألفها الحاخاميم الفقهاء، وسموها: (هلاكت شحيطا) أعني: علم الذبابة (...) ونسبوا إلى موسى عن الله. فإن القرائين أطرحوها مع غيرها وألغوها، (...). ولهم فقهاء (...) لم يبالغوا في الكذب على الله تعالى إلى حد أن يدعوا النبوة، ولا نسبوا شيئاً من تقاسيرهم إلى النبي، ولا إلى الله

1 - القراؤون أو العنانيون: هي أحدث الفرق اليهودية، أنشأها عانان بن داود أحد علماء اليهود في بغداد أواخر القرن الثامن الميلادي، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (754 - 775م) أي بعد نشأت الديانة اليهودية بنحو عشرين قرناً، ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الريانيين والحاخامات، وسموا القرائين نسبة إلى "المقرا" بمعنى الكتاب أو المكتوب، وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم، وهم يقولون بالاجتهاد في فهم نصوص التوراة، وقد ألغى عانان كل التشريعات التي قررها الريانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود. انظر: اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، بدون طبعة، ص 103.

تعالى، بل إلى اجتهادهم. والفرقة الثانية: يقال لهم (الريانيون)¹. وهم أكثر عددا، وهم شيعة الحاخاميم الفقهاء المفترين على الله عز وجل، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت، الذي أسموه: (بث قول). وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، (...) فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم، كما ينظر الرجل العاقل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى، وغير ذلك (...). وأما الطائفة الأولى وهم (القرؤون)، فأكثرهم خرج إلى دين الإسلام أولا فأولا، (...). لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام (...). فقد تبين مما ذكرناه، أن الحاخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيقوا عليهم المعيشة والإصر، فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم، فيؤدي اختلاطهم بهم، إلى خروجهم من دينهم.²

بعد أن بين السؤال حقيقة تشديد الإصر على اليهود، وأنه من فعل حاخاماتهم، وليس من التوراة في شيء، فند مزاعمهم في كون نصوص التلمود منسوبة إلى موسى عليه السلام، مستدلا على ذلك برفض أحد فرق اليهود أنفسهم هذه التعاليم المفتراة على الله وعلى رسوله، ومؤكدا أن أسفار التلمود من وضع فقهاءهم وأحبارهم، لاشتمالها على

1 - الريانيون أو الفريسيون: وهم أهم فرق اليهود وأكثرها عددا، وتتميز هذه الفرقة بكونها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام وأسفار التلمود، بل إن فقهاءهم وأحبارهم هم الذين ألفوا أسفار التلمود، ويطلق عليهم اسم الريانيين، وهم سمووا بهذا الاسم نسبة إليهم، أما اسم الفريسيين فمعناه: المعتزلة أو المنعزلين، ويظهر أن خصومهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم. انظر: اليهودية واليهود، علي عبد الواحد وافي، ص 91.

2 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 161 و 171 وما بعدها.

نقائص وتناقضات فاحشة. ثم انتقل ليفصل في السبب الثاني في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم، فقال: " والسبب الثاني في تضيق الإصر عليهم: أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها، (...) وإذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم، من بلاد بعيدة، يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في التورع (...) ويشرع في إنكار أشياء عليهم، (...) وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده، (...) ويكون قصده بذلك، إما الرئاسة عليهم، وإما تحصيل غرض منهم، (...) فتراهم معه في عذاب، لا يزال ينكر عليهم الحلال والمباح، ويوهمهم تحريمه بإسنادات يخترعها، حتى لا يشكوا في ذلك. فإن وصل بعد مدة (...) من يعرف أنه كاذب في تلك الإسنادات، فلا يخلو أمره من أن يوافق أو يخالفه. فإن وافقه فإنما يوافق له ليشركه الرئاسة الناموسية التي حصلت له، وخوفا من أن يكذب إن خالفه، (...)، وإن كان القادم الثاني، ينكر ما أتى به القادم الأول، (...) لم يبق من الجماعة واحد يستصحبه، ولا يصدق، (...) لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضيق المعيشة وتحريم المحللات، هو المبالغة في الدين والزهد (...). فأما إن كان القادم أحد أئمة اليهود وعلمائهم، فهناك ترى العجب من الناموس الذي يعتمده، والسنن التي يحدثها (...) فتراهم مستسلمين إليه، وهو يحتلب درهم، ويحتلب بحيله درهمهم، (...). فهذا السبب، والسبب الذي ذكرناه قبله، هما العلة في تشديد الإصر، الذي جعلته اليهود على أنفسهم، وتضيق المعيشة عليها، وتجنبهم مآكل غيرهم، ومخالطة من كان على غير ملتهم." ¹

1 - إفحام اليهود، ت الشرقاوي، ص 175.

وخلص القول إن فضائح اليهود هذه دليل على تحريفهم للتوراة وزيادتهم فيها مما لم ينزل على موسى عليه السلام، ولا يعرف هذه الزيادات والتأويلات الخاطئة لنصوص التوراة إلا من كان من ملتهم مطلعاً على خباياهم، وقد تناولها السموأل بالتحليل والتفصيل ليلزمهم النسخ والتحريف الذين طالوا كتبهم وهم منكرون لهما، معززا أقواله بالأدلة العقلية والنقلية، والوقائع والأحداث التاريخية، مما لا يستطيعون جرده أو إنكاره.

إن كثيراً مما أدلى به المهتدون ومنهم السموأل المغربي من حجج ودلائل يعرفها علماء اليهود وأحبارهم، لكن عقيدة الشعب المختار التي ترعرعوا عليها وغرست فيهم التطرف والحقد والكراهية والعنصرية تجاه البشر جميعاً، حالت دون إيمانهم بتلك الدلائل، إلا من رحم الله منهم. إضافة إلى عدم قبولهم بفكرة أن يكون النبي الخاتم من غيرهم، مما زاد من تأجيج نار العداوة في أنفسهم تجاه المسلمين ونبئهم، لكن الله تعالى قيض لهم من يقف في وجههم ويفضح أسباب عداوتهم ممن هم من ذويهم.¹

خاتمة

استمد علماء المسلمين اهتمامهم بدراسة الأديان الأخرى من دعوة القرآن الكريم إلى التفكير والتدبر في أحوال الأمم الغابرة، وكذلك من حثه على مجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة، التي تقتضي منهم التسلح بالعلم الكافي لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الحق، وقد وجههم من خلال ما ورد فيه من إشارات، وأدلة وبراهن قاطعة إلى بطلان ما عليه أهل الكتاب من التحريف الذي طال أسفارهم ودياناتهم، إلى انتهاج مناهج علمية تحكم العقل والمنطق في نقد هذه الأديان، وبيان أن الديانة الإسلامية جاءت ناسخة لكل الأديان ومهيمنة عليها. فألف العلماء وصنفوا تصانيف عديدة ومتنوعة في هذا الحقل العلمي منذ زمن، وإسهاماتهم الأولى تؤكد سبقهم لدراسة ثقافات وأديان الآخر دراسة وصفية علمية موضوعية مقارنة، تروم الوصول إلى الحق والحقيقة، من خلال فهم الآخر بفهم معتقداته وعاداته، ومن ثم التواصل معه وخلق ما يسمى بحوار الأديان بين الأمم والحضارات.

ولعل التراث الفكري الذي خلفه المهتدون إلى الإسلام لمن الأهمية بما كان في إبراز هذا الدور الريادي الذي لعبته الحضارة الإسلامية في التأسيس لعلم مقارنة الأديان، خاصة وأنهم كانوا من علماء وأحبار وقساوسة أهل الكتاب، فاستطاعوا بذلك كشف الغطاء على مجموعة من الخبايا والأسرار التي كانت وراء تحريف وتبديل نصوص الكتاب المقدس، ومن بين هذه الثلة المباركة من المهتدين كان الحديث عن الحكيم السموأل المغربي من خلال كتابه "إفحام اليهود"، هذه الشخصية الفذة الموسوعية، الذي اتسم منذ صغره بعقليته العلمية وعبقريته في

الميادين العلمية من رياضيات وهندسة وطب وصيدلة، فكان من نجباء عصره وعلمائهم الأكفاء، فاتجه بعد اقتناعه بأحقية الدين الإسلامي في الاتباع بالأدلة المنطقية والعقلية، وحسه الرياضي القائم على البرهان، إلى الدفاع عن الإسلام والدود عنه، ورد شبهات اليهود والنصارى حول الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وألزمهم الإسلام ونبوة المصطفى ﷺ من خلال نص كتبهم، مبرزاً بالدلائل ما لحقها من نسخ وتحريف، معتمداً بشكل كبير على ما صرحت به، حتى يلزمهم بما هم مؤمنون به فلا يستطيعون معه الإنكار. ومع ذلك، فلشدة قساوة قلوبهم كما وصفهم القرآن الكريم، فهم يجحدون ويكابرون ويعاندون ويؤولون نصوصهم على عكس ما ينبغي فهمه واتباعه، حسداً من عند أنفسهم لأن النبي الخاتم لم يبعث من بني إسرائيل، فكذبوا به وبرسالته.

وقد احتوى هذا البحث بين دفتيه فصولاً ومباحث يمكن إجمالها في خمسة مواضيع أساسية: أولها التعريف بعلم مقارنة الأديان ووظيفته في الرد على المخالفين، وثانيها كان الحديث فيه عن السموأل المغربي وعصره، أما ثالثها، فعن كتابه إفحام اليهود وصحة نسبه إليه، ورابعها عن مناهج علم مقارنة الأديان عند علماء المسلمين بما فيهم المهتدين، ثم آخرها تم التطرق فيه إلى منهج السموأل في مقارنة الأديان من خلال كتابه، والزاماته لليهود في قضايا كالنسخ، والبشارة بالنبي محمد ﷺ، والتبديل والتحريف الذي لحق التوراة، إلى غير ذلك مما تم التفصيل فيه ضمن فصول ومباحث هذه الدراسة.

ونحن نختم هذا العمل المتواضع، لا بد من وضع أهم النتائج والخلاصات المتوصل إليها:

* يعد علم مقارنة الأديان شجرة وارفة نبتت جذورها في ظل الدين الإسلامي الذي دعا إلى التعارف والتعايش مع الآخر، ما استهوى الكثير من علماء المسلمين للبحث فيه فكان لهم السبق في التصنيف في هذا العلم ووضع أسسه ومناهجه، على أساس علمي حتى أصبحت مؤلفاتهم موضوع الدراسة والتحقيق عند العلماء الغربيين.

* ضرورة التسليم بأن هناك اختلافًا وتباينًا في آراء علماء الأديان حول وضع قالب موحد لمصطلح الدين نظرا لاختلاف مرجعياتهم وأديانهم، إلا أن هناك إجماع على أهمية الدين وضرورته في حياة الأفراد والمجتمعات بغض النظر عن صحتها أو بطلانها، أو كونها سماوية أو وضعية. ومن ثم تحقيق إحدى أهم وظائف علم مقارنة الأديان بالنسبة للمسلمين المتمثلة في التعريف بالإسلام، وتغيير موقف الآخر منه شيئا فشيئا. ثم العمل على بناء روحانية حديثة تؤمن بأهمية الحوار بين الأديان والحضارات.

* كان للقرآن الكريم أثر بارز في إقبال المسلمين على دراسة الأديان، وذلك بما حوى من إشارات ودعوات لتناول الأديان بالدراسة والتحليل.

* القرآن الكريم كتاب بيان احتوى على أساليب احتجاج ومناهج استدلال على خصومه متنوعة، فوعظ وجادل قصد إلزام وإفحام مخالفه. فكان بذلك الدليل المرشد والنبير المنير لعلمائنا في مجادلة أهل الكتاب والرد على المخالفين منهم، من خلال اقتباسهم من أساليبه.

* التراث العلمي المتخصص لعلماء المسلمين في حقل مقارنة الأديان، يبين أن معظمهم تبنى المنهج القرآني النقدي في دراسة الأديان المختلفة، إضافة إلى أنهم تبنوا مبدأ المجادلة بالحسنى وفقا لما دعا إليه القرآن الكريم، كل وفق طريقته ومنهجه الذي يعد إبداعا علميا متقدرا غير مسبوق.

* تتوعت مناهج دراسة الأديان عند علماء المسلمين، بين التاريخ والوصف والنقد والمقارنة والرد والجدل والإلزام.

* رغم الاختلاف في مناهج المهتمين، والتنوع في أساليب تناولهم للقضايا الجوهرية في علم مقارنة الأديان، فإن هناك اتفاق في غاية هؤلاء العلماء الأجلاء من تصنيف مؤلفاتهم، فتنوع مناهجهم حمل في طياته سمات مشتركة فيما بينهم، وأخرى مختلفة أملتها ظروف الزمان والمكان والقدرات، فأثمرت مجتمعة تراثا فكريا عظيما في خزانة علم مقارنة الأديان.

* يعد منهج الإلزام من المناهج التي استعملها علماء المسلمين في الشريعة لإفحام مخالفيهم، سواء كان هذا المخالف من ملة الإسلام، أو من أهل الكتاب، وتحصيله متوقف على صحة مقدمة المخالف من وجهة نظره حتى يكون ملزوما بها، فمدار الإلزام قائم على مخالفة الخصم أصله.

* حضور الإلزام بقوة في آيات مجادلة الله تعالى لأهل الكتاب والكافرين، جعل علماءنا يوظفونه في إفحام أهل الكتاب، ومنهم السموأل المغربي الذي سلكه منهاجاً في كتابه "إفحام اليهود".

* أسدى الحكيم السموأل رحمه الله لعلم مقارنة الأديان خدمة جلييلة، من خلال تصنيفه لهذا الكتاب القيم "إفحام اليهود"، الذي أوضح فيه أموراً غابت عن غيره من المهتمين خاصة، وعن بعض علماء مقارنة الأديان عامة.

* يعتبر السموأل المغربي من العلماء المهتمين الذين جمعوا بين خدمة الدين الإسلامي والدفاع عنه، وتقديم خدمات جلييلة للإنسانية في مجالات علمية مختلفة كالطب والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية والنظرية، وذلك من خلال مؤلفاته التي أصبحت مرجعاً للعلماء والباحثين من بعده إلى الآن.

* كان السموأل عالماً متقناً للغة العبرية وعلوم التوراة، وساعده على ذلك أنه نشأ في بيئة علمية، إذ كانت أمه من المنجبات في علوم التوراة والكتابة بالقلم العبري، وكان أبوه حبراً من أحبار اليهود، وقد حرص على انتقاء أفضل العلماء في مختلف المجالات لتلقين ابنه العلوم العقلية، فاستطاع السموأل على حداثة سنه أن يبرع ويبدع في كل علم تعلمه، حتى غدا بحراً من العلوم، فساقه كل ذلك إلى الخوض في البحث في الأديان واختلافها، إلى أن اقتنع واهتدى إلى الإسلام سنة 558هـ، فأصبح من الداعين إليه والمدافعين عنه.

* انتقل السموأل من اليهودية إلى الإسلام، بعد نظر وتفكر وتدبر، فأيقن بالبرهان القاطع بطلان ما عليه اليهود، وتعزز موقفه هذا بما رآه في منامه من رؤية النبي ﷺ، فكانت هذه الرؤيا دافعا قويا له للجهر بإسلامه، إلا أنه لم يصرح بمناميه اللذين رأى فيهما شموائيل النبي، والمصطفى صلى الله عليه وسلم، إلا بعد أربع سنوات من إعلان إسلامه، حتى لا يظن أنه قد ترك دينه لأضغاث أحلام وهو اجس غامضة.

* وقد اتفق المترجمون على موسوعية هذا العالم الجليل الذي تألق في علوم الحساب والجبر والهندسة، وامتهن الطب وصنع عدة أدوية كان له السبق في ابتكارها، وخلف تراثا قيما صب فيه لب خبرته وتجربته في كل هذه المجالات التي تخصص فيها، في حيز زمني محدود.

* وكما تم تفصيله في هذه الأطروحة فقد أثر الحكيم السموأل بمنهجه في نقد الديانتين اليهودية والنصرانية، في عدد من علماء الأديان، نذكر منهم القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة"، وابن القيم في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

* ضمن السموأل المغربي كتابه سيرته الذاتية بدقة وشمول، بدءا بتحديد نسبه، إلى أن هداه الله إلى الإسلام.

* اتفق العلماء على صحة نسبة كتاب "إفحام اليهود" لصاحبه السموأل المغربي، إضافة إلى أنه صرح بنفسه بأنه ألف هذا الكتاب ليبين كذب اليهود وعنادهم أمام الحق.

* رغم اختلاف العناوين التي وضعها المحققون لهذا الكتاب، إلا أنهم اتفقوا على محتواه، فليست هناك اختلافات كثيرة بين هذه التحقيقات، سوى طريقة التقديم لهذا الكتاب، فكل واحد منهم عالجه بطريقة تختلف عن الآخر.

* النسخ من القضايا المهمة التي عالجها السموأل المغربي في كتابه إفحام اليهود، وقد ثبت عند العلماء جوازه عقلا، ووقوعه سمعا، لما فيه من الحكم الربانية التي مدارها حول تحقيق مصالح العباد، خلافا لما تدعيه بعض فرق اليهود وبعض فرق المسلمين أيضا، الذين ينكرونه، أو يجوزونه عقلا ويمنعون وقوعه شرعا.

* برهن السموأل المغربي على وجود النسخ بشكل واضح في كتب اليهود وخاصة التوراة منها، وعزز موقفه بأدلة من نصوص هذه الكتب، حيث كان يحرص على إيراد هذه النصوص باللسان العبري ثم يقدم تفسيرها باللغة العربية، حتى لا يستطيع اليهود إنكار ذلك.

* وضح الحكيم السموأل الافتراءات التي طالت التشريع الموسوي، ما أدى إلى تغيير وتبديل نصوص التوراة أو الزيادة فيها بيد الحاخامات، من خلال عرض بعض فضائح اليهود فيما يتعلق بأحكام الطهارة، والأدعية التي يرتلون في صلواتهم اليوم، وما تمت زيادته من صيام، مما لم يكن على عهد موسى عليه السلام، فأفحمهم وأبطل ما يقولون، وألزمهم وجود النسخ والتبديل في كتبهم.

* أثبت بالأدلة النقلية والأحداث والوقائع التاريخية أن التوراة ليست كتابا واحدا، بل مجموعة من الأسفار كتبها مجموعة من الناس في عصور مختلفة.

* تحدث السموأل بعد النسخ عن نبوة الرسول ﷺ من حيث ثبوتها في التوراة، والبراهين الدالة على ذلك، ورد على اليهود المنكرين لها بأدلة عقلية قاطعة، وألزمهم نبوته صلى الله عليه والسلام.

* بين عناد اليهود أمام الحق المبين، وإنكارهم لنبوة المسيح عليه السلام رغم ثبوت الدلائل والقرائن في توراتهم، وتبشير أنبيائهم به، فحرفوا معاني الآيات الدالة على ذلك، وأوهموا أنفسهم بانتظار المسيح المنتظر الذي سيعيد لهم ملكهم ويجمع أشتات اليهود بفلسطين.

* انتقد السموأل ما ورد في التوراة من التجسيم، وبين أنه من مظاهر كفر اليهود وتحريفهم لكتبهم المقدسة، لأنهم ينعنون الله سبحانه وتعالى بما لا يجوز في حقه، من عجز ووهن وندم، وقد ساق عدة أدلة على ذلك، تفصح تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرع لعباده، لئلا يلزم منه البداء، ثم هم ينسبون إليه ما لا يجوز في حقه، وهذا هو البداء بعينه.

* أمار السموأل اللثام عن الأسباب الحقيقية وراء تبديل بني إسرائيل لنصوص التوراة، فأكد بالدليل أن موسى عليه السلام سلمها إلى عشيرته من أولاد لاوي، خوفا منه على اختلاف بني إسرائيل في تأويلها من بعده، فلم يبد لهم منها إلا نصف سورة، وهذا ثابت

عندهم في توراتهم، إضافة إلى أن الأئمة الهارونيين الذين كانوا يحفظون أكثر التوراة قتلوا على يد البابليين عند استيلائهم على بيت المقدس، فصاعت أغلب فصول التوراة، وهذا حدث تاريخي لا يستطيعون نفيه أو إنكاره، فكان هذا دليل على أن التوراة الحالية ليست التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

* كما أضاف أسباب أخرى تقطع بحتمية تبديل بني إسرائيل للتوراة، أهمها توالي الحروب والاعتداءات على اليهود الذي كان سببا قويا في ضياع آثارهم وكتبهم، معتمدا المنهج التاريخي في ردوده، ومستدلا على ذلك بست محطات تاريخية مهمة في تاريخ اليهود لا يمكنهم إنكارها.

* خلص السموأل بعد استرساله في ذكر الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تبديل التوراة، أن عزرا هو من قام بجمع ما تبقى من التوراة عند الكهنة وزاده على ما حفظه من نصوص، وألف هذه التوراة التي بين أيدي اليهود الآن.

* رد السموأل على اليهود مزاعمهم وطعنهم في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وافتراءهم بأن القرآن من تأليف عبد الله بن سلام، بالأدلة العقلية، وبما يشهد على صحته الواقع، واعتبرها مجرد ادعاءات لا دليل لهم عليها. ففضح عقيدتهم في الإسلام والمسلمين، واستوجب عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

* طعن السموأل فيما يفتريه اليهود على أنبيائهم عليهم السلام، مما لا يليق بأخلاقهم، ولا بكونهم مرسلين من الله عز وجل، حيث اتهموهم بالزنى، وشرب الخمر، والكذب،

والتحايل، وغيرها مما قبح من الصفات، فرد عليهم ذلك لاستحالة وقوعه عقلا. وبين أن سبب طعن بعضهم في نسب بعض العداوة الحاصلة بين الأسباط. كما استنكر عليهم أن يكون هذا من كلام الله أو ينسب إليه بنسبته إلى الكتاب المنزل على موسى عليه السلام.

* استنبط الحكيم من هذه القصص الملفقة حقائق تؤكد من جديد وجود النسخ في شريعة اليهود، كتحريم نكاح الأخت، وتبديلهم لعقوبة الزنى من الحرق إلى الرجم.

* استعرض فضائح اليهود في القوانين المرتبطة بالأسرة وبتنظيم العلاقات الزوجية، وما يتعلق بفقهاء الذبائح، ليبين ما زاده وابتدعه أحبارهم وحاخاماتهم على أحكام التوراة مما ليس فيها، فحرموا عليهم افتراء، كثيرا مما أحل الله عليهم، منها تحريم ذبائح من ليس على ملتهم، واحتقارهم والتقليل من شأنهم ترسيخا لعقيدتهم في كونهم شعب الله المختار، ما جعلهم يعيشون في عزلة عن غيرهم من الأمم، ويؤكدون صراحة موقفهم المعادي لجميع الأمم وخاصة المسلمين، فهم أشد الناس عداوة وبغضا لهم.

* بين حقيقة تشديد إصر اليهود على أنفسهم، ووضح أنها ترجع إلى سببين رئيسيين، أولهما أن هذا التشديد من فعل حاخاماتهم وليس من التوراة في شيء، واستدل على ذلك برفض أحد فرقهم وهم "القراؤون" لهذه التعاليم المفتراة على الله وعلى رسوله من أسفار التلمود، لاشتمالها على نقائص وتناقضات فاحشة، ثم انتقل ليفصل في السبب الثاني في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم، وهو أنهم مبددون في الأرض، ما جعل الحاخاميم

يفترون تشريعات ليست في التوراة تحقيقا لمطامعهم الدنيوية في حب الرياسة على القوم
إن أظهروا لهم التشدد والرهبنة في الدين.

* وخالصة القول إن هذه بضع من فضائح اليهود التي لا يعرفها إلا من كان من ملتهم
مطلعا على خباياهم، والتي تناولها السموأل بالتحليل والتفصيل ليلزمهم النسخ والتحريف
الذي طال كتبهم وهم منكرون له، معززا أقواله بالأدلة العقلية والنقلية، والوقائع والأحداث
التاريخية، مما لا يستطيعون جرده أو إنكاره.

* لم تتحصر قيمة كتاب "إفحام اليهود" للسموأل المغربي فيما ذكرت، ولا تتحصر خبايا
التوراة وأسرارها فيما أورد السموأل، ولكن البحث والتقصي في حقل مقارنة الأديان كفيل
باستخلاص المزيد، مما يظهر صحة وأفضلية وريانية هذا الدين على سائر الأديان، وما
بذله العلماء الأجلاء من جهود حثيثة لإظهاره، وبيان بطلان ما سواه، فجزاهم الله عنا
وعن المسلمين خير الجزاء.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، ولا شك أنني لم أوف الموضوع
حقه، فهو لا زال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، فعالم مهتد جليل مثل السموأل
المغربي يستحق اهتمام أكثر ودراسة أعمق لمنهجه ومؤلفاته، حتى نزيد من إغناء تراثنا
الفكري في مجال علم مقارنة الأديان الذي كان للمهتدين حظ كبير في إرساء أسسه وتنوع
مناهجه بما أضافوه من إسهامات علمية.

والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والصلاح والفلاح، والحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الكتاب المقدس نسخة الفاندايك.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1- أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة، دار الأمل للنشر والتوزيع، أريد-الأردن، طبعة 2003م.

2- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمد علي حماية، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الأولى 1983م.

3- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، 1983م.

4- الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر وإعلام، الرياض، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

5- أبو الريحان البيروني (440هـ 1048م): جهوده ومنهجه في علم مقارنة الأديان، عمر بن سكا، أطروحة لنيل الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس، تحت إشراف الدكتور محمد زهير، 2016 - 2017م.

6- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الجزء الخامس، بدون تاريخ.

- 7-الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي، ت بكر زكي عوض، الطبعة الثانية 1407هـ/1987م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 8-الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 9-الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد التغلبي الآمدي (ت631هـ)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1402هـ، الجزء الأول.
- 10- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ/1983م، الجزء السادس.
- 11- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى 646هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005م.
- 12- آداب البحث والمناظرة، مقدمات منطقية، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، مكتبة العلم بجدة، بدون طبعة، القسم الأول.
- 13- أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، محمد عوامه، دار البشائر، بيروت، الطبعة الثانية، 1418هـ/1998م.
- 14- الأديان دراسة تاريخية مقارنة، رشدي عليان وسعدون الساموك، دار الحرية، بغداد، طبعة 1976م، القسم الأول.
- 15- الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، محمد عبد الله الشرقاوي، دار البشير للثقافة، الطبعة الأولى 2015 م.

- 16- إسرائيل التوراة...التاريخ...التضليل، سيد القمني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، طبعة 1998م.
- 17- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 1964م.
- 18- الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ / 2004م.
- 19- أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1998م.
- 20- إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي المتوفى عام (1308هـ/1891م)، تحقيق محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية 1410هـ/1989م.
- 21- إظهار الحق، رحمت الله الهندي، تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، دار الحديث، القاهرة الطبعة الثالثة 1414هـ/1994م.
- 22- أعلام الجغرافيين العرب، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1984م، إصدار 1416هـ/1995م.
- 23- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة، بدون طبعة.

24- الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري (ت381هـ/992م)، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

25- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ج3، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة 14، شباط / فبراير 1999م.

26- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين بيروت، بدون طبعة، الجزء 5.

27- إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان"، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، سلسلة مكتبة ابن القيم (7) الأردن، بدون تاريخ.

28- إفحام اليهود وقصة إسلام السماأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، السماأل بن يحيى المغربي(570هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء.

29- إفحام اليهود، وقصة إسلام السماأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، للإمام المهدي السماأل بن يحيى المغربي، تحقيق ودراسة محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل - بيروت، مكتبة الزهراء بحرم جامعة القاهرة، طبعة 1404هـ / 1983م.

30- الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، سلسلة الرسائل الجامعية العدد 16، دار المحدثين للبحث والترجمة والنشر، طبعة 2008م.

- 31- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي (745 - 794هـ)، تحرير عمر سليمان الأشقر وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، دار الصفوة - الغردقة، الطبعة الأولى 1409هـ / 1988م، الجزء الرابع.
- 32- بحوث في مقارنة الأديان، أحمد عبد الرحيم السايح، دار الثقافة، الدوحة، بدون طبعة.
- 33- بذل المجهود في إفحام اليهود، للحكيم السموع بن يحيى بن عباس المغربي (570هـ)، من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه، قدم له وأخرج نصوصه وعلق عليه عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ / 1989م.
- 34- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة 1404 هـ / 1984 م، المجلد الثاني.
- 35- البعد الحضاري الدولي في علم مقارنة الأديان، عبد القادر بخوش، مجلة دفاتر السياسة والقانون - العدد السابع جوان 2012م.
- 36- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تحقيق مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى 1426هـ، المجلد السادس.
- 37- البيان في مقارنة الأديان، أسعد السحمراني، دار النفائس، الطبعة الأولى 1422 هـ / 2001 م.

- 38- بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي المتوفى (582هـ)، تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة، عابدين، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- 39- التأثيرات الإسلامية في العبادات اليهودية، نفتالي فيدر، ترجمة محمد سالم الجرح، القاهرة 1965م.
- 40- التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، نفتالي فيدر، ترجمة محمد سالم الجرح، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، العدد 1، مركز الدراسات الشرقية - القاهرة، طبعة 1422هـ / 2001م.
- 41- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت 1205هـ)، طبعة حكومة الكويت 1385هـ.
- 42- تاريخ الأديان: مقارنة قرآنية، محمد فوزي المهاجر، مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، الطبعة الأولى مارس 2017م.
- 43- تاريخ الإنجيل والكنيسة، أحمد ادريس، دار حراء بمكة المكرمة، طبعة 1987م.
- 44- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 1424 هـ / 2003 م.
- 45- تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس الطبعة السابعة 1430 هـ / 2009م.
- 46- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، عبد العزيز الدوري، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية 1974م.

- 47- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، مرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، 1986، ج1.
- 48- تاريخ بغداد، الحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة 1417هـ / 1997م، الجزء الثالث.
- 49- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري، صححه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني لبنان، الطبعة الثانية 1415هـ/1994م.
- 50- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة 1399هـ / 1979م
- 51- تجارب الأمم، أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، طبعة أمدروز، القاهرة 1914 - 1919م، ج 1.
- 52- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان (القس انسلم كورميديا)، تقديم وتعليق محمود علي حماية، طبعة دار المعارف 1984م.
- 53- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، دائرة المعارف العثمانية، الهند، طبعة 1377هـ/1958م.
- 54- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، عالم الكتب بيروت، طبعة 1403 هـ.
- 55- التربية الإسلامية، نظمها فلسفتها تاريخها، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة 1978م.

- 56- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، عفيفي محمد الصادق، مكتبة الغانجي القاهرة، طبعة 1977م.
- 57- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، محمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي القاهرة، طبعة 1976م - 1977م.
- 58- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ.
- 59- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ/1413م)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م.
- 60- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 1995م.
- 61- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1999م، الجزء الأول.
- 62- تفسير القرآنية بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، بهاء الأمير، دار الكتب المصرية - القاهرة، طبعة 2017م.
- 63- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (د.ت)، الجزء الرابع.
- 64- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار القاهرة، الطبعة الثانية 1366هـ/1947م، الجزء الثاني.

- 65- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى 1423هـ، الجزء الخامس.
- 66- التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية 1972م.
- 67- التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ... ووقائع، محمد صبري، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى 2011م.
- 68- التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان حمد الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2007م.
- 69- تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث: اليهودية المسيحية الإسلام، سعد بن منصور بن كمونة اليهودي (القرن السابع الهجري)، دار الأنصار، بدون طبعة.
- 70- تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2001م، الجزء 11.
- 71- التوراة... هيروغليفية الأصل: بحث علمي تاريخي في الأصول الفرعونية للتوراة، فؤاد حسنين علي، دار بيبليون باريس، طبعة 2005م.
- 72- التوراة البابلية، سهيل قاشا، الفرات للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 2003م.
- 73- التوراة تاريخها وغاياتها، سهيل ديب، دار النفائس، بدون تاريخ.
- 74- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الاسلامي بيروت، الطبعة الثالثة 1411هـ 1990م.

- 75- التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1987م.
- 76- التوراة، تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل الديب، دار النفائس، بدون تاريخ.
- 77- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424 هـ / 2003م.
- 78- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420 هـ / 2000م، الجزء الأول، والجزء 12.
- 79- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1387 هـ / 1967م، الجزء الأول.
- 80- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية (ت 728 هـ)، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثانية 1419 هـ / 1999م، المجلد الخامس.
- 81- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، طبعة 1343 هـ، الجزء الثاني.
- 82- الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامي السبتي، تحقيق عمرو وفیق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ / 2001م.

- 83- الحضارات السامية القديمة، موسكاتي سبتينو، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.
- 84- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، متز آدم، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، طبعة 1987م.
- 85- الحضارة العباسية، وليم الخازن، منشورات الجامعة اللبنانية، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، طبعة 1984 م.
- 86- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1414هـ.
- 87- الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير، محمد عبد الله أحمد القدحات، دار البشير - عمان، طبعة 2005م.
- 88- الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد سنة 656 هـ/ 1258 م، بحث ماجستير، للطالبة جيهان سعيد الراجحي، أشرف عليه الدكتور مريزن سعيد عسيري، 1427هـ/ 2006م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- 89- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (512 - 656هـ)، محمد صالح القزاز، مطبعة القضاء، النجف، طبعة 1971م.
- 90- خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، كمال الصليبي، الطبعة 4، 1998م، دار الساقى بيروت.

- 91- درء تعارض العقل والنقل، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1411هـ / 1991م.
- 92- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف سعود بن عبد العزيز، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1997م.
- 93- دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1997م.
- 94- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن العظمي، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الثانية 2003م.
- 95- الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس . و. أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة 1970م.
- 96- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله الدراز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، طبعة 2014 م.
- 97- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، علي بن ربن الطبري، تحقيق عادل النويهض، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى 1393هـ/1973م.
- 98- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة 2003م.

- 99- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 2003م.
- 100- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ابن خلدون، تحقيق خليل شحاتة، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية 1408هـ/ 1988م.
- 101- ذيل تاريخ بغداد، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ / 1997م.
- 102- رحلة بنيامين، بنيامين بن بونه الأندلسي التطيلي (ت569هـ/ 1173م)، ترجمة عزرا حداد، دار ابن زيدون - بيروت، طبعة 1416هـ/ 1996م.
- 103- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل - بيروت، مكتبة الزهراء القاهرة، الطبعة الثالثة 1410هـ/ 1990م.
- 104- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، للغزالي، ت محمد الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، الطبعة الثانية 1406هـ / 1986م.
- 105- رد على اليهود، ندره البازجي، دمشق، طبعة 1984م.
- 106- الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، تحقيق عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1410هـ/ 1989م.
- 107- رسائل ابن حزم الأندلسي (384هـ - 456هـ)، علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الأولى 1983م، الجزء الرابع.

108- الرواشح السماوية، الميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي، تحقيق غلا محسن قيصريه ها ونعمة الله الجليلي، مؤسسة دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1422هـ.

109- سلسلة علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم، رقم 37، مريم جميلة مهاجرة من اليهودية إلى الإسلام، ذاكر الأعظمي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى 1431هـ/ 2010م.

110- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ/ 1985م.

111- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافيري (ت 613 أو 618هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1410هـ/ 1990م.

112- سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونغ، (فصل: العدو محمد)، ترجمة محمد عناني، فاطمة نصر، سلسلة: كتاب سطور (1)، القاهرة طبعة 1998م.

113- سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سولزر للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة 2004م.

114- السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود، عبد الحق الإسلامي السبتي، تحقيق محمد العربي العمراني الخالدي وعبد اللطيف أزميزم أدريوش، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2009م.

115- شرح الكوكب المنير المسمى ب: مختصر التحرير، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار (ت 972هـ)، تحقيق محمد

الزحيلي ونزيه حماد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، طبعة 1418هـ/ 1997م، الجزء الرابع.

116- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت 478هـ)، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1398هـ/ 1979م.

117- الشهيد بتفسير المنار، محمد عبده، الجزء العاشر، دار المنار، الطبعة الثانية 1368هـ.

118- صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الرابعة 2004م.

119- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة السابعة 1425هـ/ 2004م.

120- طبقات الشافعية، عماد الدين إسماعيل بن عمر، ابن كثير المتوفى سنة 776هـ، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004م، الجزء الثاني.

121- العدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المكتبة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية 1409هـ، الجزء 1.

122- العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم، ألفت محمد جلال، مكتبة سعيد رأفت، طبعة 1974م.

- 123- علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، طبعة 1998م.
- 124- علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، جيب وعادل العوى، منشورات عويدات، بيروت طبعة 1977م.
- 125- علم الجدل في علم الجدل، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي، تحقيق المستشرق فولفهارت هاينريشس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، طبع بمساعدة مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية، عمان - الأردن، طبعة 1408هـ/1987م.
- 126- علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، دار الفضيلة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى 1425هـ / 2005م.
- 127- علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 1432هـ/2011م.
- 128- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى 2002م.
- 129- علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، منهجا وقضايا، حمدي عبد الله الشرقاوي دار الكتب العلمية، طبعة 2016م.
- 130- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف ب: ابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، طبعة 1385هـ/1965م.

- 131- الفتاوى الكبرى، تقي الدين بن تيمية (ت 728)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ/1987م، المجلد السادس.
- 132- فتح الباري باب بشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، طبعة 1434هـ/2013م، الجزء الرابع.
- 133- الفخري في الأدب السلطانية، ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، تحقيق عبد القادر مايو، دار القلم العربي حلب، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.
- 134- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت 456هـ)، مكتبة السلام العالمية، الجزء الأول.
- 135- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل - بيروت، بدون تاريخ، الجزء الرابع.
- 136- فقه التعامل مع المخالف، عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن الرياض
- 137- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، طبعة 1981م.
- 138- الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية 1407هـ
- 139- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

- 140- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاکر الکتبی، تحقیق إحسان عباس، دار صادر بیروت، طبعة 1973م، الجزء 1.
- 141- فی علم الدین المقارن مقالات فی المنهج، دین محمد محمد میرا، دار البصائر القاهرة، الطبعة الأولى 1430هـ / 2009م.
- 142- فی علم الدین المقارن: مقالات فی المنهج، دین محمد محمد میرا، دار البصائر، الطبعة الأولى 1430هـ / 2009م.
- 143- فی مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م.
- 144- القاموس الإسلامي، أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 145- قاموس الكتاب المقدس، لائحة من الأساتذة واللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، الطبعة الثانية 1971م.
- 146- القاموس المحيط، الفيروز أبادي الشيرازي، المطبعة الحسنية المصرية، الطبعة الثانية، ج 4، باب النون، ص 225.
- 147- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، توثيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1426هـ / 2005م.
- 148- قاموس عبري عربي، يحزقيل قوجمان، دار الجيل بيروت، مكتبة المحتسب عمان الأردن، د.ط.
- 149- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ / 1999م.

150- الكافية في الجدل، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني، تحقيق فوقية حسين محمود، طباعة عيسى الباي الحلبي - القاهرة، طبعة 1399هـ / 1979م.

151- الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الجزء 8.

152- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، الجزء الرابع.

153- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 1996م، المجلد الثاني.

154- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، دار صادر، بيروت، ج 2.

155- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر - الفجالة، بدون تاريخ، الجزء الأول.

156- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، صححه وطبعه: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة، المجلد الأول.

157- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1419هـ / 1998م.

- 158- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، ج 13.
- 159- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ، المجلد الرابع عشر.
- 160- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1968م، الجزء 9.
- 161- لسان العرب، المجلد الخامس عشر، طبعة 2004.
- 162- اللع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي (392- 476هـ)، تحقيق عبد القادر الخطيب الحسني، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة - البحرين، دار الحديث الكتانية - المملكة المغربية، الطبعة الأولى 1434هـ/ 2013م.
- 163- محاضرات في النصرانية تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفي فرقهم، محمد أبو زهرة، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة 1404 هـ.
- 164- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606هـ)، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية 1416هـ/ 1996م، الجزء الثالث
- 165- محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، طبعة 1409هـ/ 1989م.

- 166- محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور بمصر الجديدة، طبعة 1986م.
- 167- مختصر صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي (ت 675هـ)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م.
- 168- المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار الاعتصام، طبعة 1977م
- 169- المدخل في تاريخ الأديان، سعيد مراد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم - مصر.
- 170- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ار القلم للطعة والنشر والتوزيع دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ، 1990م.
- 171- مدخل لدراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2010م.
- 172- مسالك النظر في نبوة سيد البشر بشارات التوراه بمحمد صلى الله عليه وسلم، سعيد بن حسن الأسكندراني، تحقيق محمد عبد الله الشراوي، مكتبة الزهراء - القاهرة، بدون تاريخ.
- 173- المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (450 - 505هـ)، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، بدون طبعة، الجزء الثاني.

174- مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، عبد الله السحيم، دار الفرقان، بدون طبعة.

175- المسودة في أصول الفقه لآل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية، وولده شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام، وحفيده شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني- القاهرة، طبعة 1384هـ / 1964م.

176- مصادر التوراة الحالية، علي سري محمود المدرس، الأكاديميون للنشر والتوزيع عمان -الأردن، الطبعة الأولى 1435هـ / 2014م.

177- المصباح المضيء في خلافة المستضيء، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق ناجية عبد الله ابراهيم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2000م.

178- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان، طبعة 1987 م.

179- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (720هـ)، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية بدون تاريخ.

180- مضمار الحقائق وسر الخلائق، الأيوبي محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاها، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب القاهرة، ط 1968م

181- المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م.

- 182- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الجزء الأول، طبعة 1390هـ / 1970م.
- 183- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1993م، الجزء الخامس.
- 184- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت الحموي، الجزء الثاني، دار صادر بيروت، طبعة 1995م.
- 185- معجم اللغة العربية، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429 هـ / 2008 م الجزء الأول.
- 186- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وغيرهما، مجمع اللغة العربية، طبعة 1381هـ / 1991م.
- 187- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية دار الدعوة، بدون طبعة، بدون تاريخ، الجزء الأول.
- 188- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ/2004م.
- 189- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بدوي أحمد زكي، مكتبة لبنان.
- 190- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية بيروت، طبعة 1410 هـ 1990م.

- 191- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الجزء الخامس.
- 192- مفردات ألفاظ القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) - تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة 2- دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت - طبعة سنة 1412هـ/1992م.
- 193- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت - لبنان، بدون طبعة.
- 194- مقارنة الأديان اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م.
- 195- مقارنة الأديان ج1، اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثامنة 1988م.
- 196- مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، والأديان الوضعية: الهندوسية والجينية والبوذية، طارق خليل السعدي، دار العلوم العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1425هـ/2005م.
- 197- مقارنة الأديان، المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة 1998م.
- 198- مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

- 199- مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدماء والمعاصرين في دراسة الأديان في ضوء إشكالية الموضوعية، أمين حجي الدوسكي، شبكة الألوكة 1437هـ/2017م.
- 200- مقاييس اللغة، ابن فارس، مجلد 5.
- 201- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، مجلد 3.
- 202- المقدس والعادي، مرسيا إلياد، ترجمة عادل العوى، صحاري للصحافة والنشر، طبعة 1994م.
- 203- الملة والنحلة في اليهودية المسيحية الإسلام، حمدي عبد العال، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى 1409هـ/1989م.
- 204- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة 548هـ، تعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1413هـ/1992م، الجزء الثاني.
- 205- الملل والنحل، الشهرستاني، تخريج محمد فتح الله بدران، الطبعة الثانية 1956م، مكتبة الأنجلو العربي القاهرة، ج 1.
- 206- من فقدوا الله MisGod'ed ، خارطة طريق في الهداية والضلال داخل الديانات الإبراهيمية، لورنس ب براون، ترجمة منذر عيسي، طبعة 1432هـ/2011م.
- 207- من وجدوا الله God'ed، الإسلام خاتمة الوحي، لورنس ب براون، ترجمة منذر عيسي، طبعة 1432هـ/2011م.

- 208- المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان، بين الشيخ ديدات والقس سوجارت، جمع وترتيب أحمد حجازي السقا، تقديم الشيخ محمد الغزالي، مكتبة زهران بالأزهر، مصر، طبعة 1408هـ / 1988م.
- 209- مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس أنيس شروش، نقله إلى العربية علي الجوهري، دار الفضيلة - القاهرة، بدون طبعة.
- 210- المناظرة الكبرى في مقارنة الأديان بين القس سوجارت والشيخ أحمد ديدات"، تقديم وتحقيق وتعليق محمود علي حماية، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 1989م، الطبعة الثانية 2005م.
- 211- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة الثالثة 1977م.
- 212- مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي، الطبعة الثالثة 1404هـ.
- 213- مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، محمد الشرقاوي، ص: 508، المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة".
- 214- منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك، مجلة ثقافتنا، العدد 16، طبعة 1429هـ، إيران.
- 215- منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، محمد بن ناصر بن صالح السحيباني، دار الوطن - الرياض، بدون طبعة.
- 216- منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، نادية الشرقاوي، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2010م.

- 217- منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم الدراسات العليا، شعبة الدعوة، المملكة العربية السعودية، 1404هـ / 1983 م.
- 218- المنهج النقدي ووظيفته في توجيه الحوار الديني في كتابات المهتمين إلى الإسلام من أهل الكتاب، مصطفى بوجمعة، دار الانتشار العربي، بيروت، 2012م.
- 219- منهجية البحث تقنيات ومناهج، طباجة يوسف عبد الأمير، بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية 1432هـ-1102م.
- 220- المهتمون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأخبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري، خالد السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ / 2002م.
- 221- الموازين أو أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، استانبول، الطبعة الأولى، 2002م.
- 222- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت790هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، طبعة دار بن عفان - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م، الجزء 5.
- 223- المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، دور رسائل النور في بناء الحوار بين الحضارات ونشر المحبة والسلام بين الشعوب، إبراهيم القادري بوتشيش.
- 224- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1414هـ / 1992م.

- 225- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الخامس: اليهودية المفاهيم والفرق، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.
- 226- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة 2006م، المجلد الأول.
- 227- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة 2006م، المجلد الثاني.
- 228- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي.
- 229- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى 1993م.
- 230- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، تحقيق محمد عبد الله الشراقوي، دار الصحوه - القاهرة، طبعة 1406هـ / 1986م.
- 231- نظرية الإلزام، إلزامات ابن حزم للفقهاء أنموذجا، فؤاد بن يحيى الهاشمي، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2014م.
- 232- نظرية التعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد الروكي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى 1414هـ.
- 233- نقد الأديان عند ابن حزم، عدنان المقراني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 1429هـ / 2008م.

- 234- نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السامرية - العبرانية - اليونانية، أحمد حجازي السقا، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ / 1995م.
- 235- نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، السامرية - العبرانية - اليونانية، أحمد حجازي السقا.
- 236- نقد النص التوراتي، اسماعيل ناصر الصمادي، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية دمشق، الطبعة الأولى 2005م.
- 237- نكت الهيمنان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، المطبعة الجمالية مصر، 1369هـ/1911م.
- 238- نماذج حية للمهتدين إلى الحق، قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا، الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، الطبعة الأولى 2006م، الجزء 1.
- 239- النورسي متكلم العصر الحديث، محسن عبد الحميد، سولزر للنشر، القاهرة، بدون طبعة.
- 240- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية - الأردن / السعودية، طبعة 2004م.
- 241- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م.

242- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1429هـ.

243- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة 1422هـ/2001م .

244- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، طبعة 1370هـ/1951م، المجلد الأول.

245- هفوات التوراة، حنا حنا، النايا للدراسات والنشر والتوزيع سورية، طبعة 2008م.

246- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/200م، الجزء 15، رقم 5183.

247- اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان بن عبد الحميد فتاح، دار البيارق بيروت - لبنان، دار عمار، عمان، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالا لامبر - ماليزيا، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.

248- اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، بدون طبعة.

البحوث والمجلات

- 1- عرض منهج كتاب السمائل"، بحث ماجستير: إعداد الطالب شريف مسعد فياض عبد الفتاح، إشراف عبد الله الشرقاوي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، 2009م/ 2010م.
- 2- مجلة أبحاث ودراسات تربوية، نحو بناء المذهب التربوي: قراءة في معالم المنهج، سامر توفيق عجمي، عن مركز الأبحاث والدراسات التربوية، بيروت، العدد الثاني، السنة الأولى، شتاء 1437هـ-6102م.
- 3- مجلة الدراسات الدينية، جهود أبو عيسى الوراق في مقارنة الأديان كتاب المقالات نموذجاً، عبد الرحمان الطوسي، العدد الأول، دجنبر 2014م - صفر 1436هـ.
- 4- مجلة المدونة، السنة الثانية، العدد 8، رجب 1437هـ/ أبريل 2016م.
- 5- موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمان قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 107.
- 6- وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور، فهد عبد الرحمن الرومي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 50.

المراجع باللغات الأجنبية

- 1- The new Encyclopedia Britannica: "study of religion". Vol.15.
by Safra, S.Yannias, James E.Goulka. 15th ed.1998

- 2- Reclus Elisée ; Nouvelle Géographie Universelle ; Paris 1876
– 91 ; vol. x
- 3- Oxford Advanced Learner's Dictionary Of Current English A.S.
Hornby
- 4- Oxford Advanced Learner's Dictionary Of Current English A.S.
Hornby
- 5- Oxford advanced learner's dictionart of current English A.S
hornby ; Oxford University press, Great Britain, 3 rd édition
1974
- 6- Les formes élémentaires de la vie religieuse, Emile Durkheim,
les presses universitaires de France, Paris, 5ème édition, 1968
- 7- Le Robert, dictionnaire de la langue Française, rédaction dirigée
par Alain Rey , Paris
- 8- La science des religions, Burnouf Emile, Paris Librairie CH
Delagrave, 1985
- 9- La religion, Frédéric Rogmon, profil notions philosophiques
collection dirigée par Laurence hansen, 1ère édition, 1996
- 10- La religion dans les limites de la raison, Emmanuel Kant,
traduction de André Tremesaygues, Ed, Félix Alcan,
Paris ;1913

- 11- Inner Meaning of the Hebrew Letters, Robert Haralik, Rowman & Littlefield Publishers, INC, USA, 1 Edition, 2005
- 12- Histoire de l'étude comparée des religions, Boullaye Pinard, Copyright by Gabriel Beauchesne, Paris 1922
- 13- Dictionnaire des religions ; Poupard Paul, Presse universitaire de France, 1993, L : R,
- 14- David Thomas , Anti-Christian Polemic in Early Islam, Abu Issa Al Warraq's Against the Trinity Cup Archive, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS,1992
- 15- Caetani Leone Principe di Teano ; Annali dell 'Islam. Millano,1905 ; vol v
- 16- Bruce Lawrence, Shahrastani on the Indian Religions, (Mouton: Mouton Co. 1976)
- 17- – Prolégomènes de l'histoire des religions, Albert Réville, Paris Librairie Fischbacher, 1986
- 18- – Les études religieuses, un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre
- 19- – Le Robert, dictionnaire de la langue Française, rédaction dirigée par Alain Rey , Paris, 1998

- 20- Le petit Larousse , Grand format , 1996 , Paris cedex,
L :R
- 21- Gemetria and the Tanakh, Brian Pivik, 2017 ; ISBN: 978-
1-257-09404-2
- 22- Le petit Robert , 60000 mots et leurs 300000 sens ,
édition Juin 2000 , Dictionnaires le robert, Paris , L : R

المواقع الالكترونية

- www.britannica.com, encyclopedia-britannica online, religion
artice

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة	طرف الآية
9 - 1	125	النحل	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
45 - 2	46	العنكبوت	﴿ وَلَا تَجْدَلُوا أَهْلَ الْكُتُبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..... ﴾
27	84	آل عمران	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ..... ﴾
60	88	هود	﴿ قَالَ يُقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي..... ﴾
60	37	مريم	﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
61	118	هود	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً..... ﴾
62	84	المائدة	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾
62	118	آل عمران	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ..... ﴾
63	113	آل عمران	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

67	156	الأعراف	﴿إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ﴾
73	245	البقرة	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا﴾
73	249	البقرة	﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ.....﴾
91	63	آل عمران	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا.....﴾
92	14	الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾
93	155	النساء	﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتِنًا عَظِيمًا﴾
93	42	آل عمران	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ.....﴾
93	45	آل عمران	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ....﴾
112	157	الأعراف	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾
114	53- 52	القصص	﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾
127	29	التوبة	﴿فَقْتُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ.....﴾
133	11	المجادلة	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾

198	51	النساء	﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾
198	45	النساء	﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
203	24- 23 25 -	الزخرف	﴿ كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾
218	50	المائدة	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاً ﴾
221	5	ابراهيم	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾
222	81	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
224	48-40	مريم	﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾
225	26 - 20	النمل	﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ... ﴾
225	59 و 58	آل عمران	﴿ إِنْ مِثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾
226	22	الأنبياء	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾
226	42	الإسراء	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَاءُ اللَّهِ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾
227	81	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
229	7 - 5	الحج	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ أَلْبَعَثْنَا فإِنَا خَلَقْنَكُمْ ﴾
229	28	الأعراف	﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾
229	22	البقرة	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ... ﴾

229	60	آل عمران	﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾
230	93- 95	البقرة	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
231	156 - 157	الأعراف	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾
231	93	آل عمران	﴿ كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
232	95- 99	آل عمران	﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
232	134	البقرة	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا ﴾
234	78	البقرة	﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
371 - 234	45	النساء	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾
234	14	المائدة	﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
235	91	المؤمنون	﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾
236	32	يونس	﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴾
243	3	الحج	﴿ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ
258	137	آل عمران	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

284	58	النساء	﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
280	86 - 85	المؤمنون	﴿ قُلْ لِمَنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
281	90	المؤمنون	﴿ قُلْ فَأَنِي تُسْحَرُونَ ﴾
281	92	الأنعام	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ ۗ
286	111	النحل	﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمَّ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
295	4	إبراهيم	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۗ
295	42	الإسراء	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ مِثْلُ آلِهَتِكَ مَا كَانَ لِغَيْبِكَ عِلْمًا ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ
296	92	المؤمنون	﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾
297	22	الأنبياء	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ
297	183	آل عمران	﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَمَاءٍ مِّن دُونِ السَّمَاءِ آتَاةً وَسَاءَ مَا تُكْتَبُ ۗ
299	32	الفرقان	﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۗ
302	2 - 1	البقرة	﴿ أَلَمْ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ
303	7	آل عمران	﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ

303	2 - 1	الروم	﴿الْمَ، غُلِبَتِ الرُّومُ﴾
310	105	البقرة	﴿ما ننسخُ منْ آيةٍ أوْ ننسها نأتُ بخيرٍ منها أوْ مثلها﴾
310	50	الحج	﴿فينسخُ اللهُ ما يلقى الشيطانُ ثم يحكمُ اللهُ آياته﴾
310	28	الجاثية	﴿هذا كتبنا ينطقُ عليكم بالحقِّ إنا كنا نستنسخُ ما كنتم تعملون﴾
311	4	النور	﴿ولا تقبلوا لهمْ شهادةً أبداً﴾
312	108	البقرة	﴿فأعفوا وأصفحوا حتى يأتيَ اللهُ بأمره﴾
313	40	الرعد	﴿يمحو اللهُ ما يشاء ويثبتُ وعندهَ أمُّ الكتابِ﴾
313	101	النحل	﴿وإذا بدلنا آيةً مكانَ آيةٍ واللهُ أعلمُ بما ينزلُ قالوا إنما أنتُ مفترٌ﴾
315	76	النساء	﴿كفوا أيديكم﴾
315	37	الحج	﴿أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن اللهُ على نصرهم لقدير﴾
342	1 و 2 و 3	التين	﴿والتينِ والزيتونِ ﴿١﴾ وطورِ سينين ﴿٢﴾ وهذا البلدِ الأمين ﴿٣﴾﴾
345	20	المائدة	﴿وقالتِ اليهودُ والنصرى نحنُ أبنتوا اللهُ وأحبتُّوه...﴾
371	51	النساء	﴿أولئك الذين لعنهم اللهُ ومن يلعن اللهُ فلن تجد له نصيراً﴾
371	62	المائدة	﴿من لعنه اللهُ وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطغوت﴾
373	155	النساء	﴿فبما نقضهم ميثقهم وكفرهم بآياتِ اللهِ وقتلهمُ الأنبياءَ بغيرِ

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الكتاب	طرف الحديث
9	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار	« جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم »
20	كتاب صفة القيامة والرقائع والورع للترمذي	« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »
114	مختصر صحيح البخاري	« هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك »
352	صحيح البخاري	« خلق الله آدم على صورته »

فهرس الكتاب المقدس

الصفحة	السفر/الإصحاح/ الفقرة	طرف الفقرة
102	إنجيل لوقا 1: (4 - 1)	" لما أن أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأحداث التي جرت بيننا "
107	أعمال الرسل 22:(3-5)	" كنت غيورا لله، كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت "
112	التكوين 17 : 20	" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا "
170	الثنية 18: (18 - 22)	" قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيا من وسط إخواتهم، مثلك، وأجعل كلامي في فمه... "
170	التكوين 21: (20 - 21)	" وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر. "
170	التكوين 21: (18 - 21)	" وأقام في برية فاران "
318	التكوين 2: (2 - 3)	" وفرغ الله في اليوم السابع من عمل يده الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ... "
318	الخروج 20: (8 - 11)	"اذكر السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك... "
318	الخروج 31: (13 - 17)	" سبوتي تحفظونها؛ لأن علامة بيني وبينكم في أجيالكم (...). فتحفظون السبت؛ لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا (...). لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض. وفي اليوم السابع استراح وتنفس "

321	التثنية 12: 32	" جميع الأمر الذي نأمركم به تحفظونه، لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منه "
323	يشوع 1: 1	" وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون، خادم موسى....."
324	دانيال 8: 19	" فليتمجد ويتقدس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته...."
326	الملوك الأول 12: (25- 33)	" قد عمل (يربعام) ملك إسرائيل عجلي ذهب وقال لهم: كثير علي أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل..."
326	الخروج 23: (1 - 6)	" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون...."
330	الخروج 3: (13 - 15)	" وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يَهُوه إله آبائكم (...). أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد. وهذا ذكري إلى دور فدور"
331	متى: 5	" لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل"
331	متى: 23	" خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون "
336	التكوين 17: 20	"وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك، ها أنا قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جدا جدا"
341	التكوين 21: 21	" وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"
344	التثنية: 2 - 14	" لأنك - إسرائيل - شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع"

		الشعوب الذين على وجه الأرض "
344	اللاويين 20: 24	" وقلت لكم: تراثون أنتم أرضهم (...) أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب "
344	اللاويين 26: (1 - 2)	" لا تصنعوا لكم أوثانا، ولا تقيموا لكم تماثالا منحوتا أو نصبا، ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأنني أنا الرب إلهكم."
347	إشعيا 25: 65	" إن الذئب والكبش يرعيان جميعا، ويريضان معا، وإن البقرة والدب يرعيان جميعا، وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة "
347	إشعيا : 60	" فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنى الأمم...."
348	نحميا (1: 6)	" لتكن أذنك مصغية، وعينا مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك "
350	الخروج 24: (9 - 11)	" ثم صعد موسى وهارون و (...) ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف..."
350	الخروج 31: 18	" ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه لوهي الشهادة، لوهي حجر مكتوبين بإصبع الله"
350	التكوين 6: (5 - 7)	" ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض (...) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض..."
350	الخروج 33: 7	" وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم، وأفنيهم "
351	صموئيل الأول 15: (10-11)	" وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمت على أنني قد جعلت شاول ملكا. لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي "
351	التكوين 8: (20-22)	" وبنى نوح مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة..."

356	التثنية 31: (9 - 11)	" وكتب موسى هذه التوراة، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب "
357	التثنية 31: 19	" فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلم بني إسرائيل إياه، ضعه في أفواههم ليكون لي هذا النشيد شاهداً على بني إسرائيل "
359	التثنية 14: 21	" لا تطبخ جدياً بلبن أمه. "
359	التكوين 40: (9 - 10)	" فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له: كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي، وفي الكرمة ثلاثة قضبان، وهي إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا. "
361	التثنية 28: (58 - 64)	" إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس (...) يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك "
364	التثنية 24: (1 - 4)	" إذا أخذ رجل امرأة، وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه، (...) وكتب لها كتاب طلاق... "
364	الخروج 35: (1 - 3)	" ستة أيام يعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب، كل من يعمل فيه عملاً يقتل، لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت "
368	سفر التكوين 12: (10 - 16)	" وحدث جوع في الأرض، فأنحدر أبرام - إبراهيم - إلى مصر.... "
368	التكوين 19: (30 - 38)	" وصعد لوط من صوعر، وسكن في الجبل وابنتاه معه... "
369	التثنية 23: (2 - 4)	" لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر... "
370	التكوين 38: (6 - 30)	" وأخذ يهوذا زوجة لغير بكره، اسمها ثامار. وكان غير شرير في عيني الرب، فأماته الرب... "
376	التثنية 2: (4 - 6)	" أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير... "

377	التكوين 37: 33	" فتحققه وقال: قميص ابني، وحش رديّ أكله، افترس يوسف افتراسا "
377	سفر العدد 32: 13	" فحمي غضب الرب على إسرائيل، وأتاهم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب."
378	سفر الخروج الإصحاح 27: 33	" وأرسل هيبتي أمامك، وأكسر جميع الجويمم الذين تصير إليهم، وأجعل جميع أعدائك بين يديك، مدبرين..."
378	التثنية 7: 1	" وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها..."
378	التثنية 7: 16	" وتقترس جميع الغويمم الذين يدفعهم إليك الرب إلهك، فلا تشفق عيناك عليهم "

فهرس الأعلام

- ابن حزم الأندلسي، 51، 52، 62، 239،
240، 242، 272، 279،
ابن خلدون، 301
ابن ربن الطبري، 257،
ابن شميل، 20
ابن عساكر، 136
ابن كثير، 61، 304
ابن كمونة اليهودي، 348
- ابن أبي أصيبعة، 140، 142،
ابن القيم الجوزية، 55، 160، 162، 163،
164، 245، 335، 339
ابن النجار الحنبلي، 276
ابن تيمية، 53، 55، 245، 258، 284،
303، 342، 353
ابن جرير الطبري، 150
ابن جرير، 61
ابن جزلة الطيب، 258
أبو الحارث أرسلان البساسيري، 120
أبو الحسن العامري، 248
أبو الحسن بن الدسكري، 148
أبو الحسن بن النقاش، 148
أبو الريحان الخوارزمي البيروني، 49، 249،
250، 254، 255
أبو العباس القرطبي، 54
أبو الفتح مسعود، 118
أبو الفتح ملكشاه الثاني، 118
أبو المظفر أرسلان شاه، 118
أبو المظفر الشهرزوري، 148
أبو المظفر يوسف المستنجد، 118
أبو المعالي الجويني، 277
أبو جعفر منصور الراشد، 118
أبو حامد الغزالي، 272، 311
أبو شجاع سليمان شاه، 118
أبو شجاع محمد الثاني، 118
أبو طالب طغرل الثاني، 118
- أبو عبيدة الأنصاري الخزرجي، 54
أبو عبيدة الحداد، 20
أبو عبيدة الخزرجي، 272
أبو علي بن مسكويه، 150، 156
أبو عيسى الوراق، 252، 253،
أبو محمد الحسن المستضيء، 118
أبو منصور الفضل المسترشد، 118
أحمد ديدات، 97، 102، 246،
آرثر أبهام بوب، 51
إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، 5
أفلاطون، 168
ألفريد جيوم، 53
الإمام الشافعي، 64، 125
بحيرا الراهب، 114
بخت نصر، 195، 357
بطليموس الثاني، 82

- عبد الجبار المعتزلي، 258
التهانوي، 26
عبد الحق الإسلامي السبتي، 5، 188، 258،
261، 271، 321، 336، 355، 362،
عبد الرحمن بن الجوزي، 124، 133، 134
عبد السلام المهدي، 5
عبد القاهر البغدادي، 49
عبد الله الترجمان الأندلسي، 5، 258،
عبد الله الشرقاوي، 22
عبد الله دراز، 21، 27،
عزرا، 196، 357
علي المسعودي، 49
علي بن شجاع بن بويه، 119
علي عبد الله الفتاح، 141، 144
عمر بن الخطاب، 115
عمرو بن بحر الجاحظ، 49
غياث الدين داود، 118
فتح الله كولن، 27،
فرانز روزنتال، 55
القرافي، 160، 161، 224، 272، 342
القفطي، 139، 142،
كارين أمسترونغ، 46
الكفوي، 26
لوقا، 100، 101
متى، 98، 99، 102، 103
محمد المقتفي، 118
محمد بن عبد الله بن أحمد المسبجي، 49
محمد عبده، 26
مرقس، 99، 100، 101، 102
- بولس، 101، 102، 105، 106، 107،
108، 109.
الجرجاني، 26
الحسن البصري، 61
الحسن النوبختي، 49
الحسن بن أيوب، 257
الحميري، 136
الخليفة المقتدر، 132،
رحمت الله الهندي، 241، 246، 273، 335،
339، 372
الزركلي، 141، 144،
الزمخشري، 92
زيادة بن يحيى الراسي، 258
السعدي، 296
سعيد النورسي، 41،
سعيد بن حسن الإسكندراني، 4، 156، 258،
338
السموأل بن يحيى المغربي، 4، 54، 112،
117، 138، 139، 140، 141، 142،
143، 144، 145، 146، 151، 153،
166،
السيوطي، 296، 297
الشاطبي، 280، 281
شاذول (طالوت)، 72
الشهرستاني، 52، 63، 244، 245،
الشيخ طنطاوي، 304
الصفدي، 140، 143،
طغرليك، 119، 120
الطوفي، 295، 297

مغيث الدين محمود، 118
النجاشي، 114
نصر بن يحيى المتطبب، 259، 260
هبة الله بن صاعد، ابن التلميذ، 130
هبة الله علي بن ملكا، 129، 130، 159
هولاكو، 122
ورقة بن نوفل، 114
يهودا هناسي، 88
يوحنا، 102، 103، 104،
يوشياهو، 85
ماكس مولر، 39
عبد الوهاب المسيري، 90

فهرس الموضوعات

1.....	مقدمة
16.....	مدخل مفاهيمي
17..	أولاً: تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان ووظيفته في الرد على المخالفين من أهل الكتاب
18.....	1- مفهوم الدين
32.....	2- تحديد مفهوم علم مقارنة الأديان
39.....	3- وظيفة علم مقارنة الأديان في الرد على المخالفين
39.....	أ- أهمية دراسة علم مقارنة الأديان
47.....	ب- سبق علماء المسلمين إلى التأصيل لعلم مقارنة الديان
57.....	ثانياً: المخالفون من أهل الكتاب في نظر الإسلام
57.....	1- تحديد مفهوم المخالفة
62.....	2- تحديد مفهوم أهل الكتاب
64.....	3- تحديد مفهوم اليهودية
90.....	4- تحديد مفهوم النصرانية
	الباب الأول: التعريف بالمهتدي السموأل بن يحيى بن عباس المغربي وبكتابه
110.....	إفحام اليهود
112.....	تمهيد

117.....	الفصل الأول: السموأل المغربي: عصره وحياته
117.....	تمهيد
117.....	المبحث الأول: عصر السموأل المغربي
118.....	المطلب الأول: الظروف السياسية
123.....	المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والثقافية
138.....	المبحث الثاني: حياة المهتدي السموأل المغربي
139.....	المطلب الأول: مولده ونسبه ونشأته ومؤلفاته
154.....	المطلب الثاني: نشأته العلمية
157.....	المطلب الثالث: كراهيته للتقليد والجمود
159.....	المطلب الرابع: السموأل بين التأثير والتأثر
166.....	المبحث الثالث: قصة إسلام السموأل المغربي ودوافع ذلك
182.....	الفصل الثاني: كتاب "إفحام اليهود"
184.....	المبحث الأول: التعريف بكتاب "إفحام اليهود"
184.....	المطلب الأول: عنوان الكتاب وتحقيقاته
185.....	المطلب الثاني: توثيق صحة نسبة النص لصاحبه
187.....	المطلب الثالث: الغاية من تأليف الكتاب
190.....	المبحث الثاني: قراءة في كتاب "إفحام اليهود"

190.....	المطلب الأول: فصوله ومواضيعه الكبرى
202.....	المطلب الثاني: تحليل الأفكار الأساسية الواردة في الكتاب
213.....	الباب الثاني: كتاب "إفحام اليهود": دراسة ومناهج
	الفصل الأول: منهج القرآن الكريم ومناهج علماء المسلمين في الرد على
215.....	أهل الكتاب
215.....	تمهيد
217.....	المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من أهل الكتاب
217.....	المطلب الأول: تحديد مفهوم المنهج
220.....	المطلب الثاني: مناهج القرآن الكريم في مجادلة أهل الكتاب
238.....	المبحث الثاني: نماذج من مناهج علماء المسلمين في مقارنة الأديان
238.....	المطلب الأول: المنهج التحليلي النقدي
241.....	المطلب الثاني: المنهج الجدلي
247.....	المطلب الثالث: المنهج المقارن
251.....	المطلب الرابع: المنهج التاريخي الوصفي
257.....	المبحث الثالث: مناهج المهتمين إلى الإسلام في الرد على المخالفين
270.....	الفصل الثاني: التعريف بمنهج السموأل بن يحيى المغربي
275.....	المبحث الأول: تحديد مفهوم الإلزام

275.....	المطلب الأول: مفهوم الإلزام لغة واصطلاحاً
278.....	المطلب الثاني: أركان الإلزام وشروط صحته
285.....	المطلب الثالث: تعلق الإلزام ببعض العلوم
291.....	المطلب الرابع: غايات الإلزام
295.....	المطلب الخامس: نماذج من الإلزامات القرآنية
298.....	المبحث الثاني: حساب الجمل
299.....	المطلب الأول: مفهوم حساب الجمل
301.....	المطلب الثاني: حساب الجمل عند المسلمين
305.....	المطلب الثالث: حساب الجمل وأسرار الحروف عند اليهود
308.....	الفصل الثالث: موضوعات الكتاب: عرض ودراسة
309.....	المبحث الأول: إلزام اليهود النسخ
309.....	المطلب الأول: مفهوم النسخ
315.....	المطلب الثاني: إلزام السموأل اليهود النسخ من نص كتابهم
327.....	المبحث الثاني: إلزام اليهود نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام
343.....	المبحث الثالث: إبطال ادعائهم محبة الله إياهم
345.....	المبحث الرابع: كفرهم وتبديلهم للتوراة
345.....	المطلب الأول: كفرهم بالمسيح عليه السلام

347.....	المطلب الثاني: التجسيم
354.....	المطلب الثالث: ذكر السبب في تبديل التوراة
362.....	المبحث الخامس: ما يعتقدونه في دين الإسلام والمسلمين
366.....	المبحث السادس: افتراءات اليهود على أنبيائهم
373.....	المبحث السابع: بيان بعض فضائح اليهود وسبب تشديدهم الإصر على أنفسهم
373.....	المطلب الأول: ذكر بعض فضائح اليهود
378.....	المطلب الثاني: ذكر السبب في تشديد اليهود الإصر على أنفسهم
383.....	خاتمة
395.....	فهرس المصادر والمراجع
429.....	فهرس الآيات القرآنية
435.....	فهرس الأحاديث النبوية
436.....	فهرس الكتاب المقدس
441.....	فهرس الأعلام